عبداللطيف ياسين علي

الوجه الآخر لرقعة الشطرنج



الطبعة الأولى أربيل 2013

الوجه الآخر لرقعة الشطرنج

عبداللطيف ياسين علي

الوجه الآخر لرقعة الشطرنج

اسم الكاتب / عبداللطيف ياسين علي

المواليد: ١٩٧١م

البلد: كوردستان - العراق

البريد الالكتروني: aram71h@yahoo.com

المراجعة اللغوية/ سعد صهيب الزيباري

التصميم / جمعه صديق كاكه

المطبعة /

السنة /٢٠١٣

رقم الإيداع في المديرية العامة للمكتبات العامة

25 ٢٠١١

الإهداء

- إلى روح كل إنسان عاش وتأمل الحياة وتعمق في سبر أغوارها.
- إلى كل عراقي عاش تلك الحقبة وتأمل في تجرباتها ولم يخسر نفسه.
- إلى كل من ساهم في تهدئة وإعادة الحياة إلى هذا الشعب الذي ذاق الحرمان قبل وبعد الإحتلال.
- إلى الأرامل والثكالى واليتامى .

الفهرس

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

فعندما صدر كتاب السفير الأمريكي (بول بريمر) المعنون (عام قضيته في العراق)، تعاملَ معه الكثيرُ من العراقيين باللامبالاة، وعدم الاهتمام به، رغم أنه يُعَدُّ وثيقةً مُهمَّةً بالنسبةِ للعراقيين، ومن جانب آخر يمثلُ هذا الكتاب الوجه الآخر للحكم الأمريكي للعراق، وفي زمن حرجٍ وحسَّاس، كما قلت كان الشارع العراقي كما يقولون (لا من شاف ولا من درى!)، وكان من الأولى أن يهتمَّ العراقيون بهذا الكتاب اهتماماً كبيراً ودقيقاً، لأنه فيه حياتهم ومستقبلهم، وما يخطط ضدهم..! وأين هم على هذه الخارطة الجديدة؟! ومن هم (الكومبارس)؟! ومن هم أبطال هذه المرحلة؟! وما هو المعيارُ الذي يقيمُ بها الأمريكان الأشخاص؟! ولكن ومع الأسف الشديد، لم يُقرأ هذا الكتاب وحتى الآن من قبل الكثيرين من أبناءِ الشعب العراقي، وهذا الكتاب ليسَ حَكْراً على الشعب العراقي، بل يمسُّ السوريين، والإيرانيين، وأهل الخليج، فالكلُّ على رقعة الشطرنج معنيون بهذا الكتاب.

وقد لاحظت ونوعاً من الأهتمــام مــن قبــل وسـط العـراق ولكــن في كردستان ومع الاسف كان تجاهل هذا الكتاب شبه متعمـد مـع أهميتــه للشعب الكردي.

وهذا الكتاب كتبته وتم نشره في مقالات متفرقة ولكن مخـاض ولادتـه تاخر إلى الان.

وهذهِ الدراسة - رغـم أهميتهـا - تمثـلُ جُهْـداً مُتواضـعاً، لـذا فإنـه يُسعدني - كدارسٍ كرديّ، ومراقبٍ في الشأنِ العراقي آنذاك- أن أتلقـى من القُرَّاء الكِرَام استدراكاتِهم وملحوظاتهم القيِّمة، حتّى تتحقّقَ الفائـدة المرجوة بإذن الله، والله من وراء القصد.

عبداللطيف ياسين

أربيل - كوردستان/

العراق

٢٦/١٢/٢٠١٢م

المدخل

نعيش الآن في مرحلة حرجة وضيقة في حياة الأمم المهزومة سياسياً ونفسياً.. وخاصة الدول التي يعيش فيها المسلمون، والتي تسمَّى بالدول الإسلامية. لا يخفى على كل ذي عقل وبصيرة أن العالم الآن يعيش في وضع قد يكون أقرب إلى ما وصفه أحد أبطال فلم (The star chamber). "انظر إلى مَنْ حولك، فالكل يمارس الرياضة، ويضع أجهزة الراديو البشعة على أذنيه، ويبقى الناس في داخل منازلهم، ويقفلون أبوابهم، ويرفعون صوت التلفزيون، كي لا يسمعوا ما يجري، لقد أخذ العالم بأسره الإجازة.."!!

فالعالم في غيبوبة وشبه مخدر لا يجرؤ على السمع، ولا يقوى على النطق، خوفاً من أن يكون ضمن قائمة الإرهاب، فبعد حادثة الحادي عشر من سبتمبر خُيِّمَ على الناس أوهام ومشاعر حجبت الكثير من الحقائق، فلا يجرؤ أحدٌ على قول شيء أمام هذا الواقع الذي أحرق الأخضر واليابس، دون التفريق بين الأبيض والأسود ، ولا الصحيح ولا السقيم. فالقوة المهيمنة شطرت العالم قسمين أو جزئين، وهو إما أن تكون مع أمريكا أو ضدها..! ولم يبق أمام أحد الفرصة ليتفكر أو يتدبَّر، أمَّا في الحلف أو ضدَّ الحلف..!! ولم يأتِ هذا القرار - كما نتصوَّر - كردِّ فعلٍ أمريكي على الحادثة، وأنما كانت الحادثة ذريعة عجلت الأمر. يقول (مايكل فيلد): "أصبح من الضروري الآن اكتشاف حقيقة أن العدو الرئيس في العالم الثالث هو الخروج من الصف". فالعلة هو عدم التراص

بين صفوف القوة المهيمنة، وقد قبل العالم هذا الأمر وكأنه من قانون الطبيعة، ومن المستحيل تغييره، أو تبديله، وذلك بسبب وقعة وضخامة حادثة الحادي عشر من سبتمبر، فقد أذعن الكثيرون لهذا الأمر، رغم قسوته على الشعوب والأمم المتقدمة، والنامية، والشرقية والغربية، فمثلاً هناك شاهد عيان قال: :كنا في النمسا عندما تعرَّضت الولايات المتحدة الأمريكية للحادثة في الحادي عشر من سبتمبر، فعندما أذيع الخبر خرج الناس إلى الشارع ابتهاجاً وفرحاً لما حدث"، واستطرد بالقول: "حتى بعد أن أصبحت للقضية وقعتها، وانعكاساتها غير المتوقعة عند الأمريكيين، وغير الأمريكان، بدأ الناس بالانسحاب إلى بيوتهم، وقد أرغمتهم السلطات على ذلك".

وبعد هذا الحادث أصبح العالم يتلقى الأوامر دون تفهم واستيعاب فيما يُلقى إليه، وذلك لسرعة ما كان تلقى عليه بين الفينة والأُخرى.. فالمصطلحات والقوالب والنعوت والاتهام، وغيرها كانت جاهزة ومعلبة، وتتصدر جملة والشراء واجب..!!

فقد كاد العقد الأخير في القرن العشرين يكشف الكثير من الحقائق، وما كانت تجري وراء الاستار والكواليس، إلا أن القرن الجديد دفن ما كان يبديه القرن السابق..! ولم يسلم شعبٌ من الشعوب من الخوف، وخاصة الدول ذات المصالح المرتبطة مباشرة مع الولايات المتحدة، من أن تقع ضمن التصنيف الذي أصدرته أمريكا، وكان حصة الدول الإسلامية أكثر وأعظم وأهول، وذلك لأسباب نوردها فيما يأتي.

في عام ١٩٩٧م صدر كتاب من تاليف (مايكل فيلد) تحت عنوان (العالم العربي من الداخل) فقد تطرق الكتابُ لمواضيع مهمة وحسَّاسة، وخاصة فيما يتعلق بسياسة الولايات المتحدة أمام العالم.. وفي الفصل الأوَّل (باب الفشل) تناول الكاتب مواضيع متعددة تمسُّ العالم

الإسلامي. فهو يقول على لسان أحد سفراء العرب لم يـذكر اسمـه: "فـإن الناس فقدوا إيمانهم بحكوماتهم هنـاك، إحسـاسٌ بالفشـل، وخلـق ذلـك الإحساس فجوة بين الحاكم والمحكـوم، ثـم أدَّى ذلـك إلى انخفـاض الثقـة بالنفس، والعدواة تجاه التأثير الأجنبي. فالعـالم العربـي- ومنـذ سـنوات عديدة- يُعاني من أزمة تجاه ذاته". هذا ما شخصه السفير العربي، وهـو تشخيص لا يقوله إلا صاحب تجربةٍ، وخبرةٍ سياسيَّة.

الناس لا يثقون بحكوماتهم.

الإحساس بالفشل.

الفجوة بين الحاكم والمحكوم.

انخفاض الثقة بالنفس.

العداوة تجاه التأثير الأجنبي.

الأزمة تجاه الذات.

فهذه النقاط الست إذا قمنا بدراسة كل واحدة منها على حـدة لـبرز لنا أن كل نقطة تحتاج إلى بحثٍ وفصول، وإن أحد هذه النقاط قـد تكـون كافية لسقوط الفرد، ومن ثم المجتمع.. رغم أن التشخيص صائب ودقيق إلا أن المعالجات أتت كلها تنصبُّ علـى الجانـب السياسـي، وذلـك وفـق تصور الغرب للسياسة، هامشة ما تُعانيه المجتمع مـن تلـك النقـاط..! فعالمنا اليوم محـاطٌ بأزمـاتٍ متنوعـة متعـددة، فالجانـبُ الاقتصـادي لم نتناوله كما ينبغي وإنما نمرُّ عليه مرَّ الكِـرام، ونـذكره فقـط فيمـا يمـسُّ واقعنا المعاشي اليومي، أي: آفاق تفكيرنـا في الاقتصـاد منصـبٌّ علـى مـاذا تلبس، ومـاذا نأكل، وأين نسكن، ولم تتوسَّع رؤيتنا الاقتصـادية إلى البناء الاقتصادي كبنية قوية للدولة والمجتمـع، ولم تـأتِ هـذه النظـرة

جزافاً، وإنما كانت ولا تزال هناك عوامل مؤثرة على صناعة وتكوين هذه الرؤية السلبية، أو على الأقل القاصرة للاقتصاد، ولا ننظر إليها كمنظومة قوية عاملة، ودافعة لقيام دولةٍ ذات أركان وطيدة.

وكذا الجانب النفسي لمجتمعاتنا لانتطرق إليه إلا عند جنون أحدنا أو اختلاله عقلياً.. مع أن واقعنا يطلب الكثير لإصلاحه، فأفراد مجتمعنا يعانون من قلق نفسي متأزم، والقيام بتحريك المجتمع نحو التجديد والابتكار والنهضة أمرٌ ملح، وهو فريضة شرعية، وضرورة واقعية. فنحن طلبنا الإصلاح دون تحديد مواطن الخلل علمياً، والتجديد دون النظر إلى ما يمكن تجديده، وما لا يمكن تجديده، والنهضة دون استيفاء شروطها ضربٌ من المستحيل.

لقد أشرنا إلى كلمة (مايكل) في كتابه الموسوم (العالم العربي من الداخل) بعنوان (الفشل) .. فكان محور المسألة يدور حول الإحساس بالفشل، الفجوة بين الحاكم والمحكوم، انخفاض الثقة بالنفس، والعداوة تجاه التأثير الأجنبي، الأزمة تجاه الذات.

وأرى أن الكاتب كان موفقاً في تشخيص، وتحديد الأمر الذي أدَّى إلى الفشل، وكان للواقع السياسي أثرٌ كبير على إنتاجه، والذي سنتناوله لاحقاً إن شاء الله، ولكن تبقى هناك خلافات ووجهات نظر حول عوامل هذا الفشل، وطرق علاجه، فعوامل الفشل، كما نرى لها جانبان:

فالجانب الأول هي العوامل الداخلية.

والجانب الثاني هي العوامل الخارجية.

وكلا الجانبين مرتبطان بعضهم ببعض ارتباطاً وثيقاً، فمن الجانب الداخلي كانت العوامل مهيئة للسقوط والاستعمار، فكانت النفوس مهزومة، وكان هناك استبداد سياسي، وفساد إداري، وتسيُّب في النظام

العسكري والأمني، إذ كانت بأيدٍ غير أمينة، وغير مخلصة، وناهيك عن تفشي الأُميَّة، والجهل بقضايا حساسة وجوهريَّة، حيث أسهمت لدخول العوامل الخارجية، وتفكيك ما تبقى من كيان الأُمَّة وتشتيتها، والحالة محسوسة وغير خافية على أحد إلا من سُلب عقله، وعُميت بصيرتُه.

فالواقع السياسي في العالم الإسلامي منذ قرن ونيف، وحتى الآن لم يكن مندمجاً مع واقع الشعوب، ولم تكن السياسة تستجيب لمطالب الأمَّة ولا الأمَّة كانت قادرة على إيصال صوتها، والإفصاح عن حقوقها، فكان من الطبيعي أن تكون ردود الأفعال والانعكاسات سلبية، فالفجوة كانت عميقة، والشرخ كان واضحاً، والشِقُّ كان كبيراً، والجروح مؤلمة، ورغم القيام بمحاولاتٍ جديَّة لإصلاح هذه الحالة إلا أن ثقل الواقع - بما فيه الجهل، والأمية، والفساد - كان ذا بطش وقوة حالت بين الإصلاح، وذلك مثل إصلاحات السلطان عبد الحميد الثاني، وما تلته مِنَ الحركات الإصلاحية الأُخرى.

كان من الطبيعي أن يقوم العامل الخارجي بتقوية دوره وتنشيطه، وذلك وفق مخططات وبرامج مدروسة ومبرمجة، فمخاوف (جبرتي) ورؤية (محمد قطب) في كتابه (واقعنا المعاصر) هي أمور أصبحت اليوم حقائق. وقد جاء في كتاب (العالم العربي من الداخل) في فصل (الخديعة والتقسيم) "إن جميع الترتيبات التي وضعت بعد الحرب مكرسة لخدمة زعزعة الاستقرار في العالم العربي "[١] وكان الواقع السياسي في العالم العربي يستجيبُ لتلك النداءات، فـ"ياسر عرفات عرف أنهم لا يكونون شيئاً عند نجاح الانتفاضة، ولذا في عام (١٩٨٨م) اعترف بإسرائيل"[٢]. فالعوامل الخارجية كانت مؤثرة في خطواتها نحو ترسيخ مفاهيمها

١- العالم العربي من الداخل، مايكل فيلد، ص٣٧.

٢- العالم العربي من الداخل، مايكل فيلد ، ص٩.

ومبادئها والسلطة السياسية في العالم الإسلامي كانت تتجاهلُ رغبة ومطالب شعوبها، مستهينة بها وغير مبالية بتلك المطالب.

البقاء ضمن سيادة الخلافة:

لم يستفد العرب ولا الشعوب في المنطقة بقدوم الاستعمار، فقد كان البقاء تحت ظل الدولة العثمانية أوفر حظاً مما آلت إليه الأوضاع بعد سقوط الخلافة، يقول الكاتب: "لو امتلك العرب الاختيار لفضلوا البقاء ضمن دولة الخلافة – الخلافة العثمانية - ورفضوا الوقوع تحت براثن الفرنسيين أو الإنجليز، فالجمل خير من الخنزير على كل حال"، فجميع شعوب المنطقة كان أفضل حالاً في حماية الدولة العثمانية الإسلامية. يقول (كارين ارمسترونغ) في كتابه (النزاعات الأصوليَّة في اليهودية والمسيحية والإسلام): "[١] لم يكن يهود العالم الإسلامي مقيدين مثلما كان يهود أوروبا. كانوا يعدون ذميين مثل المسيحيين (أقلية مصونة)، وهذا أعطتهم حماية دينية وعسكرية طالما احترموا القوانين، وسيادة الدولة الإسلامية. لم يكونوا مضطهدين لأنه لم يكن هناك تراث عداء للسامية"[٢] ولكن مع فشل إصلاحات السلطان عبدالحميد في تركيا، وبروز أفكار ومذاهب هدَّامة، ووجود الامتيازات الأجنبية، والفساد الذي كان ينخر عظام الدولة. سقطتِ الدولة، تاركة وراءها بقايا متناثرة، وفريسة سهلة للأطماع الخارجية.

وقد كان من الطبيعي أن تحل محل هذه الامبراطورية دويلات ضعيفة، وعشائر، وقبائل متناحرة، كل هذا أدَّى إلى ما نحن عليه الآن. فكلُّ هذه

١- العالم العربي من الداخل، مايكل فيلد، ص٣٨.
٢- العالم العربي من الداخل، مايكل فيلد ، ص٤٠.

المطالب والرغبات، وما أراده الشعب أصبح هشيماً أمام أطماع وخفة عقول الزعامات الوهمية التي امتاز بها رؤساء العشائر، وضعاف النفوس، والمهزومين أمام كل ناعق.

ففيما يتعلق بمصر يقول مايكل: "كلما تعامل السادات مع رؤساء أمريكا، كان إعجابه يزداد بهم، وكذلك أقام علاقات خاصة مع هنري كسنجر والرئيس جيمي كارتر، وراح يقول: إن واشنطن تملك ٩٠٪ من أوراق اللعبة في المنطقة"[١]، ولم يكن (جمال عبد الناصر) أحسن منه إلا في إغواء الشعوب". راح جمال عبد الناصر يدعو إلى سياسة عدم الانحياز والتعاون الأفرو- أسيوي، ويُهاجم الملوك العرب، بينما هو – في الوقت نفسه – تمتع بعلاقات طيبة مع الولايات المتحدة".

فالشعوب الإسلامية لا تزال ترغب في الرجوع إلى أحضان الإسلام وحكمه، رغم وجود الجهل الكبير بالإسلام في عالمنا الإسلامي - وذلك لأسباب عدَّة - إلا أن فشل الأنظمة العَلمانيَّة في العالم الإسلامي من جانب، وحقانية الإسلام في الجانب الآخر، الذي برهن على صلاح الإسلام لتحسن أوضاع شعوب المنطقة والعالم أجمع، وفي الجانب الآخر يعبِّر (كارين) على أن النموذج العَلماني في الغرب والشرق كان نذير شؤم، "فقد أتى على الغرب حربان عالميين حيث ذهب ضحيتها أكثر من (٦٠) ملايين، ناهيك عن التشويهات الجسدية والنفسية والاجتماعية". وقد فاجأ العقل العَلماني الغربي بهاتين الحربين، وبالمجازر التي حدثت على أيدي العقلانيين، وما غطى هذا الفشل، هو أمران:

الأول إشكاليات في البديل. فالبديل العَلماني في الغرب كان ضعيفاً ومتناقضاً أمام الحركة العقلانية التي أعلنتها الحداثة. فكانت هناك

١- العالم العربي من الداخل، مايكل فيلد ، ص٨٠.

إشكاليات وعاهات في الفكر المسيحي واليهودي، لذا لم يكن هناك مقابل يحل محل العلمانية الفاشلة.

والثاني: الاكتشافات العلمية والصناعية والتقنية عميت الأبصار والقلوب، وغطت عورات العَلمانية، أو النموذج العقلاني المتطرف، لأن العَلمانية استطاعت أن توظف العلم الحديث، وأن تدمج بين العلم والعَلمانية بحيث غدا الناس يؤمنون بأن العلم وليد العَلمانية.

وفَشَلُ العَلمانية في الشرق، كان أفضح وأسوأ، وخاصَّة في بلاد المسلمين، لأنه كان هناك بديلٌ قوي في الساحة، وهو الإسلام، ولكن الضعف كان كامناً في المسلمين، لأنهم تركوا وأهملوا روح الإسلام، واتبعوا البدع والخرافات، وسلكوا مسلك اليهود والنصارى والمجوس في كثير من المسائل الحسَّاسة التي لا يسعنا التطرق إليها في هذا السياق، وقد كان هناك تشنج وشلل أصاب المؤسسات العلميَّة، وكان الناس غارقين في التقليد، ولكن عند نقل الأفكار العَلمانية لم يمضِ وقتٌ طويل حتى برزت مدارس تجديدية على الساحة بخطاب جديد، والدعوة إلى الاجتهاد، وقد كان بالفعل تجديداً، ولكن بروز أسباب ودوافع حالت دون بلوغ غايته المنشودة. يقول مايكل: "وقد أصبح الإسلاميون في كل البلدان، السبب في تردد الحكومات، لأنهم يشكلون تحدياً قوياً إذ يشكلون الكيان الوحيد الجاهز، والذي ينتظر كي يملأ الفراغ عندما يسمع للمعارضة بالتواجد، أما الأحزاب العَلمانية فتفتقرُ إلى الشعبيَّة والجماهيريَّة "[1].

١- العالم العربي من الداخل، مايكل فيلد، ص٨.

الديمقراطية أدَّت إلى نجاح الإسلاميين:

يعترف السياسي البارز (مايكل) وبصريح العبارة، أن "الديمقراطية أدَّت إلى نجاح الإسلاميين"[١] ، ويذهب إلى القول إن:" الإسلاميين وحدهم يملكون تصوراً لدولة المستقبل ونموذجاً لها "[٢]، ويقول: "غير أن الإسلاميين يفوزون دائماً عند استخدام إصلاحات ديمقراطية، وإجراء انتخابات برلمانية حُرَّة فهم أكثر تنظيماً"[٣]، فكان الحل أمام القوة الغربية والمهيمنة أن تشجع وتثير النعرات القومية والطائفية كسد أمام هذا المد الإسلامي، واللجوء إلى استخدام طرق قذرة وإغوائية همجيَّة، وهناك نماذج كثيرة منها كما هم عبروا عنها. والنقطة الأُخرى أن العَلمانية الغربيَّة عندما عبرت المحيطات كان الموالين لها في عالمنا يُقدِّسُونها ويمجِّدونها، وكأنهم في انتظار المخلِّص، ولكن ظهرت الحقيقة المدويَّة ما إن وصلت الدبابات والسفن الحربية، وتوضحت جيداً النية الاستعمارية الحقيقية، بكل ما تحمل من الحقد والضغينة والفساد نحو الشعوب المسلمة، فقد كان هناك دافع ديني، وقد قالوا إن حملتهم لادينية، ولكن توضح أن من كبرى دوافعهم كان الدين، أو الحرب المقدَّسة، وبرز بقوة الدافع الاقتصادي الذي يسعى لفتح أسواق لصرف نتاجاتهم، والحصول على النفط، وهكذا فعلوا، فقد استولوا على خيرات هذه الشعوب، ومن جانب آخر وجدوا مركزاً عملياً لبيع صناعاتهم، وقد أدركت الشعوب بعد أن ذاقت الأمرين أن الفاتحين ليسوا أكثر من غزاة سراق، ذي خلفية دينيَّة حاقدة.

١- العالم العربي من الداخل، مايكل فيلد ، ص٥.
٢- العالم العربي من الداخل، مايكل فيلد ، ص١٨٧.
٣- العالم العربي من الداخل، مايكل فيلد ، ص١٩١.

صناعة المعوقات..!!

كما قلنا آنفاً وعلى لسان (شاهد مـن أهلـها) إن الديمقراطيـة أدَّت إلى نجاح الإسلاميين، وليس (مايكل فيلد) هو الوحيد الـذي طـرح هـذه الرؤية، وإنما البروفيسور (فرانسوا بوركا) يسلك المسلك نفسه، وهو يحلـل أسباب هذه الحقيقة برؤية أكاديميَّة منصفة، وهو قريب إلى حدٍ مـا فيمـا ذهب إليه (فيلد)، إلا أنهما تختلفين في آلية التعامل، وكيفيـة الاشـتغال مع الواقع الإسلامي، فالأستاذ (بوركـا) يـرى أن تسـتجيب الـدول إلى رغبات شـعوبها، إلا أن (مـايكـل فيلـد) يـرى ضـرورة التصـدي للمـدِّ الإسلامي، وقمع الحريات، حفاظاً على الديمقراطية..!!! وهنا سنعرض أهم خطط الغرب، ومؤامراتـه، لإيقـاف المـدِّ الإسـلامي، واجتثـاث جـذوره، وتحويلـه إلى إسـلام (أمريكـي)، أو بعبـارة أدق اسـلام علـى الطريقـة الأمريكية، ولتحقيق هذا المأرب أخذ الغرب بترتيـب وتكـوين وتوظيـف عدة مسالك وآليات نوردها كما يأتي:

١-إبراز بعض الشعائر والمظـاهر الإسـلامية التقليديـة: وقـد ورد في الفصل الرابع في كتاب (العالم العربي من الداخل) فصل عنوانـه (الحكومة الإسلامية)، يؤكـد الباحـث ويحـث علـى إبـراز بعـض المظاهر الدينية، وذلك لإخفاء الحقيقة، وكتم الأصوات التي تنـادي بالحرية، وحق الشعوب.. إلخ، فقد حاول كثير من الدول افتعال هـذا المشروع، وصرف الملايين في سبيل تحقيقـه، إلا أن طبيعـة الإسـلام ترفض هذا المسلك، فمثلاً العَلمانيـة لم تسـتطع أن تمنـع الزنـا، أو شرب الخمر، أو الحد من انتشار الرشوة، والفساد السياسي، أو منـع المواد المخـدرة وغيرهـا، ولا تريـد أن تكـافح هـذه الظـواهر، لأن العَلمانية بدون هذا الجانب، تكون فارغة من محتواها، بل العكـس

من ذلك فإن العَلمانية قد حاولت تطبيع هذه الحالة، إلا أن طبيعة الإسلام ترفض هذا وتحاربه، لأن أي متابع على جزء يسير من الإسلام وشريعته، سيُدرك مدى صلابة الإسلام أمام هذه المحرمات ومناهضتها، وإعلان الحرب عليها. ومن هنا وقعت الحكومات العَلمانية في ازدواج خطير أمام واقع حالها الذي يخلو من مشروع أصيل، هذا من جانب، ومن جانب آخر تظاهرها بالإسلام ومبادئه، وقد أثر هذا الازدواج على الواقع الثقافي العَلماني، وأدَّى إلى نقد مشروعه من قبل مثقفيه وحاملي مبادئه.

٢- أمَّا حاملوا مبادئه فقد كانوا أمثالاً ساطعة للطغيان والدكتاتورية، بدءاً بكمال أتاتورك، ومروراً بجمال عبدالناصر وانتهاءً بصدام حسين، ولا يسعنا هنا إلا أن نذكر ما صنعوا ببلادهم وشعوبهم من قتل وتشريد، وإبادةٍ جماعية، وبيع الشركات للدول الأجنبية، ومنع الحقوق الفرديَّة، والخيانة بصوت الشعب، والتلاعب بالتعليم والعلم والعلماء، والتخلي عن قيم الشعوب وثقافاتها، والتنكر للماضي.

وقد كانوا ملكيين أكثر من الملك. يقول كارين: لم يكن أمين (قاسم أمين) أول من رأى أن الحجاب رمزٌ لكل شيء خاطئ في الإسلام، فعندما وصل البريطانيون روَّعتهم هذه العادة، مع العلم أن معظم الرجال الغربيين في تلك المدة كانوا يهزؤون من الحركات التي تناضِلُ من أجلِ نصرة المرأة، وكانوا يبقون زوجاتهم بأمان في البيت، وكانوا مُعارضين لتعليم النساء، وتحريرهن، وكان اللورد كرومر نموذجاً في هذه النقطة، فكان واحداً من مؤسسي عُصبة

الرجال لمعارضة موضوع معاناة النساء في لندن"[١].

٣- ومن جانب آخر عملت الأنظمة وبإيعاز من الغرب بتعطيل المشروع الانتخابي، للحيلولة دون نجاح الإسلاميين، ومنعهم من الوصول إلى السلطة، يقول الكاتب (مايكل فيلد): "المشكلة الكبرى التي نواجهها اليوم هي مشكلة الانتخابات، ولذلك ينبغي عدم السماح للإسلاميين بالاقتراب من صندوق الانتخابات، وإلا وقعت الكارثة التي لا يحب أحد حدوثها، لقد أخطأت مصر حين سمحت للإسلاميين بالفوز في انتخابات نقابات المهنية العلمية (محاميين – أطباء – مهندسين - أطباء أسنان)"[٢]. وقد افتعلت هذه القاعدة أيضاً في العالم الإسلامي إلا أن ردود الأفعال كانت أكثر قسوة وعنفاً، وكتحليل نرى أن المؤلف يصفُ الانتخابات بالمشكلة، وذلك إذا ما سمح للإسلاميين بالاقتراب من صناديق الاقتراع، ويصف ذلك اليوم بـ(الكارثة)، ويقول كلمته (نيابة عن البشرية) على حد قوله: "التي لا يحبُّ أحدٌ حدوثها"!! لا أدري من فوَّضَ له هذه الصلاحية؟! فكلمة (لا أحد) تحتاجُ إلى تفويض من قبل جميع الناس، ولكني أرى أن الحقد والعنصرية حادا به عن المنهج العلمي. فالتحيُّز الغربي واضِحٌ على رؤيته وتصوره، وإلا كان من الأحرى به أن يقول: إن السلطة الغربية لا تحبُّ حدوث هذا، فذلك أقرب للصواب وأزكى، ويُدين المصريين بأنهم أخطأوا حين سمحوا للإسلاميين الدخول في الانتخابات..!! لا شك أن في هذا الخطاب تحريضٌ على إرهاب الدولة أمام إرادة شعوبها، وقمع الحريَّات، وهذا ما حصل بالفعل. فالحكومة المصريَّة حاولت وبكل

١- العالم العربي من الداخل، مايكل فيلد، ص١٨٥.

٢- العالم العربي من الداخل، مايكل فيلد ، ص٢٠٧.

قوتها قمع الحركة الإسلامية واجتثاثها، إلا أن الشعب أصرَّ على التزامه بدينه ومبدئه، ولكن السلطة استمرت، ولا تزال مستمرة على القتل والتعذيب، وكنتاج طبيعي لتلك الأعمال الهمجيَّة تشكلت وتكونت جماعات تؤمن بالعنف والقتل، وتكفر الآخر، أو على الأقل تكونت جماعات مسلحة، تناضلُ من أجل: الدفاع عن نفسها، أمام هذه الإبادة الجماعيَّة، فماذا كانت النتيجة..؟! فالنتيجة كانت خسارة الشعب بفقدانه الأمل في إعادة شخصيته، والحفاظ على هُويته، هذا من جانب، ومن جانب آخر تفشى الخوف والرعب والذعر بين الشعب، وخرجت خفافيش الظلام، والأيادي السوداء، والنماذج كثيرة لا تعد ولا تحصى، فتجربة البعث العَلماني، ومصر العَلمانية، واليمن ، والجزائر... إلخ كلها كانت تجارب عَلمانية قمعيَّة فاشية وفاشلة وفي كل الجوانب.

٤- وهناك حل آخر يطرحه المؤلف (مايكل فيلد) في كتابه المذكور حيث يقول فيه: "في مرحلة ما بعد الشيوعية، ينبغي استقطاب الشيوعيين القدامى، إذ يمكن اللقاء معهم تحت شعار العَلمانية، في سبيل صدِّ الزحف الإسلامي، وهكذا يمكن إلحاق الهزيمة بالإسلاميين، وفي الوقت الحاضر لا يوجد مانع من دعم الشيوعي السابق، إذ لا خطورة منه، ويمكن الاستفادة من عدائه للإسلام، وفي الوقت نفسه، سيكون مسروراً لعثوره على موطن قدم بعدما انهارت الشيوعيَّة "[1]، وقد استعملت الأنظمة العَلمانية في العالم الإسلامي هذه النظرية بحذافيرها. فقد استطاعت أن تستقطب مفكري ومنظري الشيوعية القدامى، وذلك لوجود علة قوية وفاعلة، وهي العداء للإسلام، لذا فقد رأى المؤلف توظيف هذه

١- العالم العربي من الداخل، ص٢٠٨.

الكراهيـة لصـالح الأنظمـة العَلمانيـة المغروسـة في قلـب العـالم الإسلامي، وهو مع هذا يستهينُ بواقع الشـيوعيين، إذ هـم غثـاء كغثاء السيل، فهو يقول عنهم: "وفي الوقت الحاضر لا يوجد مانع من دعم الشيوعي السابق، إذ لا خطورة منـه، ويمكـن الاسـتفادة من عدائه للإسلام، وفي الوقت نفسـه، سـيكون مسـروراً لعثـوره على موطن قدم بعدما انهارت الشيوعية"، وفي العراق وخاصة في كوردسـتان وجـدنا نمـاذج كـثيرة، وهـي اسـتخدام الشـيوعيين المستهلكين ضد الرغبة الجماهيرية المسلمة نحو الـدين، فقـد قـالوا بغلق المـدارس الدينيَّـة، واتهمـوا الشـعب بالجهـل، لأنهـم يملـؤون المساجد بدون دعوة إعلامية، بينما قاعات الندوات تبقى فارغـة رغم صرف آلاف الدنانير.

ماذا عن الدعم الأمريكي..؟؟

لا نريدُ في هذه السلسلة أن نتهم أحداً، وإنما هو عرض تحليلي يسـتندُ إلى وقائع وأقوال علماء، ومفكرين، وسياسيين بارزين. وكما مرَّ بنا فـإن الغرب لم يُبْدِ وجهَهُ الحقيقي، أو بـالأحرى أن المسـلمين لم يفهمـوا الغـرب على حقيقته، وإن فهمـه الـبعض لم يسـعفه قوّتـه، وإن فهمـه لم يُحْسِـنْ معاملته كندٍ، وذلك لأسباب قد أوردنا بعضها فيما مضى. وفيما يـأتي سنواصل في عرض وتحليل مظاهر الحضارة الغربيَّة من جانب، وعلاقتهـا وأثرها على المسلمين وبلادهم من جانب آخر.

وفي (صناعة المعوقات) أشرنا إلى عراقيل وعقبات صنعها الغرب أو ساهم في صناعتها أو في توظيفها في عالمنا.

ومن إحـدى المشـكلاتِ المعقـدة والمأسـويَّة الكامنـة في ثنايـا العـالم

الإسلامي، والتي صَعُب حتى الآن وضع علاج لها، هي أن مسار الإصلاحات التي قامت به الحركات ونظّمتها لم يكن ضمن ضبطها، وسيطرتها، وهذا ما جعل المسار - بطبيعة الحال – يُفلت، ويخرج من تحت السيطرة.

وبعد أن سقطت الدولة العثمانيَّة، وتبعثرت أشلاؤها، كانت النتيجة ظهور وتشكيل دول ودويلات صغيرة وضعيفة (جغرافياً، سياسياً، عسكرياً، عقلياً، فكرياً... إلخ). وكان من الطبيعي أن تطمع كل قبيلة وعشيرة في السيادة والزعامة، مع افتقاد كل ما ذكرناه آنفاً، وكذلك نقص في كيفية وآلية الوصول إلى هذه المكاسب.

ولهذا نرى بأن الأحوال في هذه الدويلات كانت غير مستقرة وغير آمنة، لذا كان التعيينُ مرة للسيد، والإنقلاب تارة على السيد، والتمرُّد تارة أخرى، لأن آلية الوصول إلى سدة الحكم كانت مجهولة، أو محتكرة بيد أسرٍ، أوعائلات معينة، وعندما ينعدم (الكيف) في استلام السلطة سلمياً، ومن دون إراقةِ الدماء، يكون البديلُ انقلاباتٌ دموية ومُفجعة. يقول مايكل فيلد: "عند فقدان الثقة بين الحاكم والمحكوم فإن الانقلاب يكون قريباً"[1]. وطبعاً فإن هذه الرؤية ليست بهذه البراءة، فإن هناك خلفية، لوجاهة هذه الرؤية، وأيضا فإن دعم الغرب لهذه الانقلابات كان حاضراً بصورةٍ مباشرة أو غير مباشرة، خاصةً في زمن الحروب الباردة.

هذا، وقد "استوعب مخططو السياسة الأمريكية، أننا سنخرج من الحرب قوة عظمى وحيدة، فريدة في تاريخ العالم. وخططوا بحرص - خلال الحرب وبعدها - لتشكيل عالم ما بعد الحرب"[2]. جاء في مذكرة (٢٣)

١- العالم العربي من الداخل، ص١٠٠.

٢- ماذا يريد العم سام؟ نعوم تشومسكي، ص١١.

لعام (١٩٤٨): "عندنا حوالي (٥٠%) من ثروات العالم، وفقط (٦,٣%) من سكانه، ويمثل هذا الوضع لا يمكننا تجنب حسد واستياء الآخرين، مهمتنا الحقيقية في الفترة القادمة هي ترتيب نموذج للعلاقات، يُحافظ على استمرارِ ذلك التفاوت... ولتحقيق ذلك، سيكون علينا التخلي عن الأحلام، والعواطف، وتركيز اهتماماتنا على أهدافنا القوميَّة المباشرة. يجب أن نمسك عن كلامنا المبهم، والأهداف غير الحقيقية مثل حقوق الإنسان، ورفع مستوى المعيشة، والتحول للديمقراطية، ولن يكون اليوم الذي نضطر فيه للتعامل بمنطق القوة بعيداً، وكلما قلّت عوائقنا من جرّاء رفع الشعارات تلك كان ذلك أفضل"[١].

كانت الدول الإسلامية ساحة للقتل، والاغتيالات، والانقلابات، وفي هذه المدة كانت الأجواء غير مستقرة، فمثلاً وقعت في العراق سلسلة من الانقلابات العسكريَّة بعد إعلان الجمهوريَّة، وهكذا في إيران، والجزائر، ناهيك عن الاغتيالاتِ، والصدامِ بين السلطة والشعب، حيث مُلِئَتِ السجونُ بالمواطنين والعُلَماء. يقول (كينان): "علينا أن لا نتردَّد إزاء استخدام الحكومات المحليَّة لشرطتها كسلاح قمع"[٢]. وقد "كشفت دراسة أوسع للاقتصادي (ادوارد هرمان) عن تلازم وثيق بين التعذيب والمساعدات الأمريكيَّة في العالمِ كُلِّه، وزودتنا الدراسة بتفسير ذلك، يرتبط الإثنان (التعذيب، والمساعدات الأمريكية) بتحسين المناخ للأعمال الخاصة"[٣]. و"بيَّنت دراسة قام بها (لارس شولتز) الأكاديمي البارز والمتخصص في حقوق الإنسان أن المساعدات الأمريكيَّة تميل

١- ماذا يريد العم سام؟ نعوم تشومسكي ، ص١٣.
٢- ماذا يريد العم سام؟ نعوم تشومسكي ، ص١٤.
٣- ماذا يريد العم سام؟ ص٢٧.

للزيادة مع الحكومات التي تمارس التعذيب مع مواطنيها"[1]. فكانت حرب الخليج الثانية، وانتهت بهزيمة العراق، وانتصار التحالف، وكانت هذه المعركة مفصلاً زمنياً بين عقدين من الزمان - إن صح التعبير - لأن جميع المعايير التي كانت سائدة ومستعملة آنذاك انعكست، وانقلبت الكثير منها، إن لم نقل كلها. ولم يكن هذا التغيير يمسُّ الشعبَ العراقي والكويتي وحدهما، وإنما كانت التغيرات كبيرة ونوعية شملت جميع العالم تقريباً.

كان هذا الحدث نقطة تحوُّل، وفاصلةٌ بين زمنين، لكُلٍّ واحدٍ منهما سماته الخاصة من حيث المفاهيم، والمصطلحات السياسيَّة، والاجتماعيَّة، فهناك حالة اجتماعية قبل الحرب، وحالة اجتماعية بعد الحرب، وهناك نظام قبل الحرب، ونظام بعد الحرب... إلخ.

بعد هذا الفاصل وُجد فاصل آخر لا يقل عنه أهمية، وهو أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وفي آخر حدث صنع المفصل الثالث، وهو اغتيال رئيس الوزراء اللبناني السابق (رفيق الحريري)، وكلها مفاصل زمنية معتبرة ومتكاملة لمشروع جاهز لتغيير مسار المنطقة.

ومن إحدى قنوات التأثير على العالم الإسلامي المنهك عقلياً، جسدياً، فكرياً، دينياً، عسكرياً.. كانت موجة التحديث، وقد كانت لهذه الكلمة وقعتها القوية على مساحة واسعة في عالمنا. ومن أسباب هذا الوقع القوي حالة الركود التي كانت تعيشها الأمة في جميع جوانبها، ومنها أيضاً الطبقة المتأثرة بالغرب[2]، وهناك أسبابٌ أخرى، ولقد تحدَّث الناس

١- ماذا يريد العم سام؟ نعوم تشومسكي، ص٢٧.

٢- وقد حدثت مفارقة عجيبة عن الغرب والغربيين، فهم عندما يتحدثون عن الإسلام في كتاباتهم وأحاديثهم - بصفة عامَّة - يراعون مشاعر المسلمين،

وحتى في حديثهم عن الإرهاب الذي يُعاني منه عالمنا اليوم، فإنهم يراعون هذا الجانب، ويتجنبون وصف المسلمين كلهم بالإرهابيين، وذلك باستعمالهم كلمة البعض منهم، أو حفنة منهم (كإرهابيين)، ولكن الغريب في الأمر في عالمنا المنهك والمنهزم الذي يطويه اليأس والتبعية في كل جانب، نرى الأمر على عكس ما هم يريدون تقليده، فهم يقلدون الغرب في كل أمر شنيع، تاركين الحكمة، وما هو جميل وحسن، فإن الغرب يهنئ المسلمين في حلول المناسبات والشعائر إلا أن بعض الذين يدعون الثقافة يجاهرون بكل ما هو مخل بآداب المعايشة والتعايش، حتى المسيحيون في البلدان الإسلامية يُراعون هذه المشاعر. ولكن مع الأسف نرى البعض من أبناء جلدتنا المنسلخين عن انتمائهم الديني، ودون علم يجاهرون بالمعصية، وذلك باسم الحرية والتحرر، وخاصة في الآونة الأخيرة، مع أنني لا أرى أية شجاعة أو جرأة في المجاهرة بالمعصية، وعدم مراعاة مشاعر الناس، فالذي يجاهر بالعصيان على الملأ إنما انسلخ حقاً عن كل شيء جميل وإنساني.

وبالعكس فهم يرون كل شيء غير الإسلام جميلاً، وموضع إعجاب ودهشة، فإن الصوم لو كان سنة أمريكية لصاموا، كما يرون الخمر الذي يذهب بالعقل والهيبة معلماً حضارياً، والعري - وهو مذهب المجتمعات البدائية على حد قولهم - حضارة وتمدناً.

أمر التقليد في المجتمعات المهزومة أو المغلوب على أمرها ليس جديداً، وإنما هي سنة قديمة واكبت التاريخ البشري على مرِّ السنين والازمان، وهي غفلة تروق للقاعدين والمستفيدين، ولا تخدم العقول الواعية المبدعة.

وإنني أتعجب كثيراً عندما أرى الذين يدعون بأنهم أهل الثقافة والفكر لا يملكون إلا الهجوم على الدين، وطبعاً ليس كل الأديان، وإنما المقصود هو (الإسلام) في كل مناسبة، وفي كل محفل، مع انهم لا يجيدون قراءة آية من القرآن الكريم، ولا يجيدون حتى تلفظ بعض الكلمات الإسلامية، ويجيزون لأنفسهم بالحديث عن الإسلام دون خجل من جهلهم. وبالعكس فالأديان الأخرى عندهم مقدسة، فإنني سمعت أحد الناقدين للإسلام يمدح ديناً آخر، والآخر يهجم على الإسلام وتراثه، وهو مبهور بالأديان الأخرى.

وهذا لا يعني أنني لست مع النقد، وإنما لكل شيء قواعد وضوابط يجب التقيد بها، ولكن العجيب في الأمر أنهم يكيلون الأمور بمكيالين، وهذه من المفارقات العجيبة التي لا أجد لها أي مبرر.

عن التحديث، وصيغت له أمجاد زائفة فصدقها الغبي واستنكرها الحرُّ الأبي[١].

وفي تعريف التحديث جاء "في الاصطلاح الغربي، أن كلمة (التحديث) يقصد منها: إقرار المصارف الربوية، واعتماد سلسلة طويلة من الإجراءات المادية، كالملابس القصيرة للمرأة، والتعليم المختلط، وتسهيل الممارسة الجنسية خارج إطار الأسرة"[٢]. والغرب كان نشيطاً وفعالاً في توظيف وسائله المتاحة، ولتحقيق مقاصده، ونحن - مع الأسف - لا نفهمُ الغرب حيادياً، وإنما نفسره ونحلله أيديولوجياً، وليس علمياً وأكاديمياً، لذا غالباً ما تأتي الحلول والمعالجات سقيمة وعليلة، وهذا ما سنبينه لاحقاً إن شاء الله. إن ابتداع الوسائل والآليات كان شيئاً مؤثراً وفعّالاً في تحقيق مآربه. فقد استطاع تأسيس صندوق النقد الدولي، واليونسيف، ومجلس الأمن، وغيرها من المنظمات والوسائل وتوظيفها في إنجاح (المشروع الغربي)، ونحن المسلمون في غيبوبة متواصلة، وإذا قمنا فحالنا أشبه بجسد لا روح فيه ولا حياة[٣].

حلول محلية:

إن الغرب استطاع أن يتوغل إلى عمق كيان الأمَّة الإسلاميَّة، وغرس فيها ما يريد غرسه، من عقبات، وقيادات مزيفة وغير شرعية، إلا أن المسلمين أيضاً تراخوا وتقاعسوا عن القيام بدورهم، وإدراك مدى أهمية

---

١ - شعر للاستاذ سيد قطب.

٢- العالم العربي من الداخل، ص١٧٦.

٣- وإنني لا أنكر إقدام أساتذتنا الكرام فيما قدَّمُوه، ولا أبخس أتعابهم وجهادهم، ولا أعنيهم في خطابي، وإنما هو خطابٌ عام للذين يتصفون بهذه الصفات.

وجودهم، وفاعلية مفرداتهم، وأصالة ماضيهم، وعمق تاريخهم، فكان التقاعس والانهزام، والتواري وراء أمجاد الماضي، والاحتماء في أحضانه - على حد تعبير المفكر الاسلامي المعروف الدكتور(عماد الدين خليل) - دون معرفة صلاحه لجميع الأزمان، وتفعيله من جديد لاستلام دوره الحضاري، هي إحدى الطامات التي أصابت هدفها في صميم قلب الأمَّة. وخلال العقود الماضية لم يكن حال المسلمين موضع حسد، وذلك لأسباب متعددة قد تكلم عنها كثير من المفكرين والكتاب، مع تباين في وجهات النظر، وكل ذلك موضع تقدير واحترام، وكلُّ ما نفعله هو محاولة أو محاولات لنشر الوعي بين المسلمين، وذلك كوسيلة لمعرفة ما يدور حولنا والاطلاع عليه، عسى أن يكون باعث خير وهمة وصحوة بين أبناء هذه الأمَّة.

تدبر أم تبرير..؟!

أحداث الحادي عشر من سيبتمبر كانت نقطة تحول في التاريخ البشري في العصر الحديث. نعم لقد كان الحادث فضيعاً وشنيعاً، وقد لا نختلف في هذا، ولكن موضع الخلاف والخطأ هو عندما قامت الولايات المتحدة الامريكية بتوظيف هذا الحادث سياسياً دون مراعاة أي دولة أو أي قيم، وتبرير كل جرائمها بحق الناس أجمعين.

وكان من المؤسف حقاً أن رضي الكثيرون ومن شرائح مختلفة بهذا التوظيف دون تمحيص أو تدقيق لما يجول ويصول خلف الكواليس والأحداث وما يدبر في ظلمات الليل.

فالولايات المتحدة الأمريكية لم تخضع لأي قانون أو شرعية دولية منذ انتصارها في الحرب العالمية الثانية إلى الآن، وقد جعلت من هذا

الحادث غشاوة وتضليلاً لحجب أبصار الناس عن رؤية الحقائق بدءاً من قصف اليابان وتدميرها لفيتنام وتدخلاتها في شؤون أمريكا اللاتينية وآسيا الداخلية.

فقد حاولت الولايات المتحدة الأمريكية أن تحجب الأبصار والعيون عن رؤية الحقيقة، وأكثر ما تأسفت عليه هو أن الشعوب غير الأوروبية وغير الأمريكية - أقصد الشعوب المنهزمة نفسياً والمغلوبة على أمرها - أخذت تزن الأحداث على غير قواعدها وضوابطها، فإنني سمعت أحد المثقفين يبرر كل عمل تقوم به الولايات المتحدة من قتل وصلب وإبادة لأنها معذورة في مصيبتها..!! ولكن الشعب الأمريكي كان واعياً، وأكثر تعقلاً من غيره أمام هذا الحادث الرهيب. حيث قام وطالب الحكومة بمراجعة سياساتها أمام الشعوب والبلدان الأخرى، ودرس أسباب هذه الكراهية، وغيرها من المراجعات.

وكل من طالع وتفهم الواقع يتغير لديه الكثير من المفاهيم، والحق يقال إنه حتى الشعوب الأمريكية لا زالت مغلوبة على أمرها إذ تباع وتشترى بأيدي الذي يحمكون القبضة على المال والاقتصاد، وارجو من النخبة المثقفة أن تطالع هذا الكتاب، ويا حبذا لو وجدت لجنة من الأكاديميين النزيهين لتقصي الحقائق والتحقيق من هذه المعلومات.

ونحن اليوم في كوردستاننا وعراقنا نواجه مصائب وفواجع يجب أن نتعامل معها بتوازن وتعقل، كي لا نقع في أخطاء وزلات سياسية واجتماعية، ونتعرَّض لانفلات أكبر من هذا الانفلات الموجود، وذلك بأن نعيد النظر في ماضينا القريب والبعيد، وأن نواجه اخطاءنا بجرأة وشجاعة لا تفقدنا أمل الإصلاح والصلاح، وأن نتعامل مع الأحداث برؤية علمية حياديَّة منهجيَّة، بعيداً عن الارتجاليَّة والفوضى، وأحكام الضغائن المكبوتة، والأحقاد الدفينة، وتفسيرات الأحلام، وكوابيس

أيديولوجية مستهلكة عفى عليها الزمن، وسقطت في عصر النهضة. ونحن في هذه المرحلة نحتاج إلى إعادة وصياغة الثقة بين السلطة والشعب، والشفافية في التعامل والخطاب، لأننا في سفينة واحدة كما قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) - وليس كما نسبه أحد مثقفينا إلى شخص آخر انتحالاً - أي نواجه مصيراً مشتركاً. ويجب علينا أن لا نخاف من الخطأ، لأننا كلنا معرضون للخطأ والنسيان، ولكن العيب في أن نُبرِّر أخطاءنا، أو أن نحجبها أو نضل بها شعبنا. وكذا أن لا نُحمل غيرنا أخطاءنا، وإنما نطلب يد العون والمساعدة من جميع شرائح وطننا حسب وظائفهم واختصاصاتهم، لأننا شركاء في هذا الوطن.

من يُدير الصراع ..؟؟

لست مع الذين يطلقون أحكاماً مطلقة على الأحداث، وإنما هناك أجوبة جزئية عن كل جانب من جوانب الحدث، وما حدث في الآونة الأخيرة من إعلان إيران عن إتمام تخصيب اليورانيوم، والمناورات العسكرية أدَّت إلى ضجة دولية سياسيّة وإعلاميّة، وسط ردود أفعال متباينة. فهناك جهات تفاجأت بالخبر، وهناك من كان على علم بما وصلت إليه عملية التخصيب في إيران، وهناك وهناك...إلخ. وذلك يدخل حتماً ضمن العملية الاستخباراتية وأجهزتها المتطورة، وليس هذا هو بيت القصيد، وإنما بيت القصيد يتمثل في معرفة من حدد زمان ومكان الإعلان؟

والهدف من تحديد (مَن)، هنا تترتب عليه أمور في غاية الأهمية، لأن الذي يستطيع أن يحدد الزمان والمكان للحدث، هو من يُدير الصراع في الساحة، ومن يدير الصراع هو الذي يتمكن من تحريك المقابل وتوجيهه، وبالتالي كسب الصراع سياسياً وعسكرياً على رؤس الأشهاد.

لفت نظري يوماً قول أحد القادة الميدانيين إذ قال له أحد مستشاريه: إن أحد الأجنحة العسكرية انهزم أمام العدو. فأجاب القائد: وماذا عن المسار الكلي؟ نحن نمتلك إدارة المعركة، فلا ضير من أن تُقتحم إحدى جبهاتنا أو تنهزم! لأن المعركة كرٌّ وفرّ، فهذا أمر طبيعي ووارد، أما الذي يُهدِّد الكيان فهو من يمتلك القدرة على تحريك المقابل، وتحديد ساعة الصفر له..!

ففي هذا الحدث إذا كانت إيران هي من حددت الزمان والمكان فلا شك أن ذلك يمثل نقطة قوة في الصراع الدولي، وأما إذا كان العكس، أي أن إيران قد سحبت البساط من تحت قدميها، وأعلنت الزمان والمكان تحت ضغوطات دولية وإقليمية، فالعاقبة مثل سابقاتها، وهذه القراءة لا تشمل إيران وحدها، وإنما كل كيان مهما كان كبيراً أو صغيراً، فكلُّ حدثٍ اليوم يحتاجُ إلى التعمُّق في الخلفيات بدءاً من مقتل الحريري، وإلى الجميل، وإشعال الفتنة في العراق، أو في فلسطين كل ذلك مرتبط بمن يُدير الصراع، إذا استطاعت جهةٌ أو دولةٌ من ضبط هذه الأحداث، وأن تدير الصراع، وأن تكون مسيطرة على توظيف مصالح الآخرين لكسب المكاسب، فذلك هو النصر مع الحفاظ على ثوابت وقيم ذلك الكيان، وإلا فإن من عاش على فضلات غيره، وحسب ذلك مكسباً وجهبذة، فذلك هو الخسران المبين.

ولو أمعنا النظر في الأحداث التي توالت بعضها البعض، بدءاً بغزو الكويت والحرب التي تبعتها، وأحداث سبتمبر، وحرب أفغانستان، نرى أن الموقف الذي يليه هو الذي يحسم ما كان قبله، سواء كان نصراً أو هزيمة، فالولايات المتحدة استطاعت أن توظف الأحداث لصالحها إلى الآن، وهذا يُعَدُّ نصراً ما لم تتغير المعادلات، وفي المرحلة القادمة إذا استطاعت الولايات المتحدة أن تسيطر على الصراع، وأن تديره فهي في

موقف وموقع المنتصر، وإذا ما أفلت الزِمَامُ من يدها، وكان هناك من يُدير الصراع فأمريكا خاسرة، وإن كسبت بعض المعارك.

الغرب حقيقته..!!

لا أنكر بأن هناك تضارب وتخبط في خطاباتنا عندما نتحدث عن الغرب، فهل القصد من الغرب كما عبر عنه الشيخ العلامة سعيد نورسي تلك الفئة المرتدة على المسيحية، أم السياسة الغربية، أم كما يقول الدكتور محمد عابد الجابري كلمة الصراع بين الإسلام والغرب غير متجانسة وغير دقيقة، لأن الإسلام دين، وإن الغرب رقعة جغرافيَّة، لذا فإن الصراع ليس بين الإسلام والغرب أو الشرق، وإنما الصراع بين الإسلام، وكلُّ ما هو خارج عن الطبيعة الإنسانية المفطورة عليه، وما يأتي إلينا من عند هؤلاء الخارجين عن الطبيعة الإنسانية يدخل في صراع مع الإسلام، وليس مَنْ هم خارجين عن الطبيعة الإنسانية في المشرق، ولكن ثمة فارق بين هذا الخروج وذلك الذي في الغرب وذلك لاعتبارات عِدَّة، وقد أدَّت تلك الاعتبارات إلى خلق واقع راهن في اتخاذ موقف من العالم الإسلامي والمسلمين، نرى أنه لا يكمُن في موضعٍ واحد، أو سبب واحد، وإنما هو توافق بين جملة من الدوافع والأسباب، فمنها أسباب دينيَّة، ومنها اقتصاديَّة، ومنها اجتماعيَّة، ومنها سياسيَّة، فهي إذاً أسبابٌ متنوعة بتنوع آفاق الإنسان، وسعة معرفته. فنحن إذا فكرنا وفق رؤية أوسع، ودخلنا إلى عالم الإنسان - مع مراعاة رغباته وأطماعه وخلجاته - لتقربنا أكثر من موضع الخلل الذي أصابنا، ولكني - مع الأسف - أسمع من في كثير من الباحثين المسلمين وغيرهم ممن هم شركاء في ما نعانيه، وهم يحصرون الأسباب جميعها في سبب واحد، والدوافع كلها في دافع واحد. والحل - كنتيجة طبيعية - يكون في مستوى التفكير

والاستنتاج، ولا يخرج عن الإطار الذي نعرفه ونألفه، فمثلاً إذا حصرنا مشكلة الأُمّة في الاقتصاد - وكما فعل بعضهم - يأتي الحل فقط في مجال الاقتصاد، والحق ليس هكذا، لأن الأزمة ليست في الاقتصاد فقط، وكذا إذا حصرناه في الدين يأتي الحل للدين فقط (هذا إذا كان هناك حل لتقييم ناقص وغير دقيق) مع أن المشكلة أعم وأكبر من ذلك.

إن علينا أن نفهم بأن الغرب لديه مشروع متكامل الأركان ومستوفي الشروط، وهو بهذا يتحرك ويعمل وفق مصالحه الثقافية والسياسية والاقتصادية...إلخ. أما تفسير بعضهم بأن الغرب قد أعلن حرباً دينيَّة بعد أحداث ١١ من سبتمبر، وحصر التفكير بهذا التفسير لهو أمرٌ خطير في حدِّ ذاته، وإنما الرؤية الصحيحة، هي: إن الحرب كانت موجودة منذ زمن بعيد، وإن من أحد الأسباب الكبيرة لهذه الحرب، الدين: لأن نفيه أيضاً يقلل من توازن الرؤية والتقييم، ومن أسبابها أيضاً العامل الاقتصادي، وكذا الطبيعة البشرية الطغيانية التي تجعل من الإنسان - عندما يرى نفسه في موقع القوة - طامعاً في الطغيان، وصدق الله العظيم، حين قال: ﴿كَلاَ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى، أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾[١]. وكي نكون منصفين وأكاديميين علينا أن نمتاز بما يلي:

أولاً: العمق في التفكير، وهذا يعني البُعْد عن السطحية. يقول الأستاذ (ناصر السبحاني) في وصف علومنا الآن بأنها بحر طويل وعريض، ولكن بعمق بضعة أشبار[٢]، وهذا الفهم السطحي له أثرٌ كبير فيما وصلنا إليه، فهو جزء كبير من هذا البلاء الواقع على الأُمَّة، فأيُّ شعبٍ في الوجود إذا فكر بسطحيَّة، وعاش في سطحيَّة لا مكان له في صدر القافلة، وإنما يعيشُ على هامش القضايا

---

[١] - سورة العلق الاية ٧
[٢] - رسالة في علوم الحديث

والأحداث، حتى الإنسان السطحي، غير مؤهل لاستلام القيـادة أو الإدارة أبداً. يقول محمد بن راشد ال مكتوم في كتابه رؤيتي "إن لم تكن في الطليعة فأنت في الخلف"[١] والعمق هو أحد شروط النهضة، فمثلاً: الرعيل الاول أو السلف الصالح - بتعمقهم فيما حـولهم - وصلوا إلى استلام القيادة، فكانوا أئمة في كُلِّ شـيء، هـذا لأنهـم كانوا يقيمون كل شـيء، ويتفكـرون في كـل شـيء بعمـق. حتـى الحضارة الغربية من إحدى سماتها التفكر في كل شيء، فهـي بهـذا التعمق لما حولها اكتشـفت أشـياء وأشـياء وفي مجالات متعـددة ومتنوعة. فالغرب تفكر في السماء، وكيفيَّة الوصـول إليهـا، وفي الدواء وكيفية تحليله، وفي المرض وكيفية الشفاء منـه. وهـذه سـنة من سنن الله في الخلق، وفي الكون، وفي المجتمع، ويتسـاوى فيهـا المؤمن والكافر، بغض النظر عن الانتماء الديني والعقدي. وهناك كتب قيمة كتبت في هذا المجال كمقدمة العلامة (ابـن خلـدون)، والسنن الإلهية لشيخنا الدكتور (عبد الكريم زيـدان)، والتفسـير الإسلامي للتاريخ للأستاذ الدكتور (عماد الدين خليـل)، وقبـل كل ذلك (القرآن الكريم) الذي يعرض هذا الجانـب بشـكلٍ واضـح وبيِّن.

ثانياً: العقلانية في التقييم، والبُعْدِ عن العاطفة. لا شكَّ أن للعاطفـة دوراً مهماً في الإبداع وغيره مِنَ المجالات، إلا أن الإشـكالية تقـعُ في غلبة الرؤية العاطفيَّة على كُلِّ شيء - كما فعلنا ذلـك مـراراً وتكراراً - إلا أن ذلك لم يثمر ولم يـأتِ بشـيءٍ يُـذكر، هـذا، لأن العاطفة هي للاندفاع إلى الأمام وليس لتحديد المسار، إنما العقـل يحدد المسار، والعاطفة تستعمل للتعبئة والاندفاع إلى الأمام، ونحن

[١] - رؤيتي تأليف محمد بن راشد ال مكتوم ص١٥

استعملناها لتحديد المسار والحلول، والعقل منحنا له إجازة، وبهذا اعطبنا كلتا الوسيلتين، وذلك لعدم معرفتنا بوظائف الأشياء ومهامها.

وفي مسألة الشمولية في النظرة والقراءة يُبيِّن الأستاذ الدكتور (علي القرداغي) سبب هجمة الغرب على الشرق، قائلاً: إن للغرب ذاكرتين ذاكرة تاريخية، وذاكرة دينية، فجعل الرؤية التي عليها الآن أعم من الرؤية التي كانت من قبل، إذ السبب ليس واحداً، وإنما هناك تفاسير متعددة، لأن هناك أسباب ودوافع مختلفة وراء تلك الحركات، كما قلنا إن للغرب مقاصد كثيرة ومتنوعة فمثلاً كبار القادة والرؤساء في البيت الأبيض والبنتاغون يملكون كبرى الشركات العالمية للنفط، بدءاً بجورج بوش الأب، وديك تشيني، ورامسفيلد، ناهيك عن امتلاكهم لشركات أخرى كشركات إنتاج الأسلحة وملحقاتها من الوقايات ضد الرصاص والخوذة للجنود، وقد رأينا أن مطالب الجند زادت بسبب إصاباتهم في أماكن متفرقة من أجسادهم، حتى أذعن وزير الدفاع لمطالبهم بصنع وقايات جديدة لهم في العراق. وكلما ازداد آفاق رؤيتنا إلى واقعنا المعاصر تقربنا من تحديد مواطن الضعف والنقص فينا.

فللوجود الأجنبي - إن صح التعبير - على أرض المسلمين أكثر من سبب ودافع، ولكن بعيداً عن الأسباب والدوافع نرى أن الحقيقة التي لا تنكر هي الوجود المادي الملموس لقواتهم. هذا مِنْ جانب، ومِنْ جانبٍ آخر عدم معرفة واقعنا، فعندما نتحدث عن الوجود الأجنبي على أرض المسلمين نرى فيه نوعاً من عدم معرفتنا لما كنا فيه سابقاً، وما نحن عليه الآن، فنحن المسلمون عندما نتحدَّث عن احتلال بلداننا، وإسقاط السلطة فيها، نتحدَّث

وكأن السلطة كانت خلافة راشدة..؟! مع أن الواقع والبراهين كلها تؤكد أن الحكومات في بلاد المسلمين إما فاسدة أو عميلة أو طاغية دكتاتورية، فقام العالم في الشرق، لأن الأمريكيين دخلوا بلادنا مع أن المشروع الأمريكي موجود منذ أمد بعيد. ونتحدَّث عن الظلم والطغيان الغربي مع أن معاناة شعوبنا تحت وطأة حكامها وسراقها أكبر وأشد وأطول مما نحن عليه الآن. فالسلطات العربية ومنذ زمن بعيد أعلنت الحرب على الإسلام وشعوبها، فمواقف (الملك فاروق، وجمال عبدالناصر، وأتاتورك، والشاه الإيراني، وصدام حسين) كلها واضحة للجميع، فهؤلاء قد حاربوا الدين، وقاموا بتحجيمه بكل ما أوتوا من قوَّةٍ ومالٍ وعسكر، والخيرات مستلبة منذ زمن بعيد. والنتيجة هي نفسها إلا أن الآلية قد تغيرت.

رابعاً: العمل وفق المنهجية والبُعْد عن الارتجالية. كثيراً ما أقول إن أصعب الأشياء على الإنسان هو أن يكون منهجياً ووسطياً، لأنه في هذه الحالة يكون الشيطان خاسراً، وأما في باقي الأعمال الارتجالية، والتفريط الكامن بين المد والجزر يكون الشيطان مستفيداً فيه، لأن الإنسان نتيجة للارتجالية والتفريط يبتعد عن الصراط المستقيم، والخط المستقيم - كما هو معروف - أقربُ مسافةً بين نقطتين، وأي انحراف عن هذا المسار هو بعد تدريجي عن النقطتين. طبعاً هناك أدلة نقلية وفعلية كثيرة حول أهمية المدارسة والتخطيط والحركة وفق المنهجية، علماً أن أي شيء حين يُصبح ملحاً - بشرط أن لا يتعارض مع نصٍّ قطعي - يعتبر الأخذ به واجباً، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ويدخل تحت الضرورات كما بينه الشيخ العلامة يوسف القرضاوي، وذلك عند

معرفـة الفريضـة الشـرعية كـنصٍ وضـرورة واقعيَّـة سياسـيَّة أو اجتماعيَّة.

خامساً: العمل على تقوية التنظيم، والبُعْد عَنِ الفوضى. لا شـكَّ أن لهذه المسألة شواهد وأدلة كـثيرة قـد نكتفـي بالإشـارة إلى عمـل النبـي (صلى الله عليه وسـلم) في بدايـة الـدعوة في مـا يُسـمى بالدعوة السريَّة، وإعـداد الجيش والأمـراء، والكتمـان في إرسـال السرايا. ناهيك عما هو موجود في الكـون والإنسـان مـن تنظـيم ودقة. وهناك أبحاثٌ في هذا المجال.

سادساً: التركيز في التفكير والعمل، والبُعْدِ عن التشـتيت، والشـرود الذهني والحركي، وذلك لإتقان العمل، وإدراك ملابسـات مـا نحـن بصدده مهما كان عملنا صغيراً.

سابعاً: محاولة السيطرة على مسار الحركة، أو الجماعة، أو المشـروع، أو أي شيء نحن بصدده، فهناك شواهد كثيرة في السيرة النبوية، وسنة النبـي (صلى الله عليه وسلم)، وإذا مثلنا بالحضارة الغربية كيف استطاعت أن توظف غيرها لمآربها ومشـاريعها مـع الحفـاظ علـى مسارها، وهناك المئات أو الآلاف من غير الأمريكيين يعملـون في مشروعها بدءاً بالسينما إلى كبرى الوظائف، ولا شكَّ أن هذه القوة تُعَدُّ ركيزةً مهمة في مشروعها الحضاري.

ثامناً: التعبئة العلميَّة الأصيلة. نعم نحن نحتاج إلى الثقافة اليوميَّـة، ولكن هذا لن يكون بديلاً عن تمسكنا بالعلوم الشـرعيَّة، وإعـداد كوادر متفرغة، وتهيئة الأرضية المناسبة للإتقان والإبداع، لأنَّ فهم الواقع دون معرفة النصـوص يجعلنـا سـطحيين والعكـس يجعلنـا متزمتين.

اعترافٌ لا بُدَّ منه حتى نكون من الفضيلة أقرب، وهي أننا أمة القراءة لا نقرأ، لقد سامحنا أنفسنا على تقصيرنا، وكزيادة للاطلاع، ومعرفة ما جريات الأمور من حولنا، علينا الإلمام بالكثير من الأمور التي تجري حولنا فما قاله الشيخ جبرتي (رحمه الله) عن أطماع الاستعمار، وأثرهم على مستقبل مصر، وكيفية سيطرتهم على التربية والتعليم، وعلى الاقتصاد المصري، إلا أنه - مع الأسف - لم يؤخذ ذلك بعين الاعتبار، وقد رأينا ما وصلت إليه مصر من جوع وبطالة وفساد في القيم والأخلاق، والهزائم المتتالية، ولست هنا بصدد محاكمة التاريخ، وإنما ذكرت ذلك لوجود سبب أو الاشتراك في العلة بين تلك الحقبة والوضع الراهن في العراق عامَّة، وهو مجي السيد بريمر إلى العراق، وعامَهُ العسليِّ، وهو قراءة في كتابه الموسوم (عام قضيته في العراق)، بعد خروجه سالماً غانماً مخططاً لحقبة قد أخالف الكثيرين في تحليلي:

كريستوفر في بلاد الرافدين(١):

رحلة مع رجل ارتبط اسمه مع تاريخ يُعَدُّ حقبةً حسَّاسةً مِنَ الزمن، ومرحلة زمنيَّة فاصلة لشعبٍ ذاق الحِرْمان والمرارة، قد تكون هذه المرحلة

١- كريستوفر كولومبوس (١٤٥١ - ١٥٠٦م) رحالة إيطالي مشهور، ينسب إليه اكتشاف العالم الجديد (أمريكا). ولد في مدينة جنوة في إيطاليا ودرس في جامعة بافيا الرياضيات والعلوم الطبيعية، وربما الفلك أيضاً. عبر المحيط الأطلسي، ووصل الجزر الكاريبية في ١٢ أكتوبر ١٤٩٢م لكن اكتشافه لأرض القارة الأمريكية الشمالية كان في رحلته الثانية عام ١٤٩٨ م. بعض الآثار تدل على وجود اتصال بين القارة الأوروبية والأمريكية حتى قبل اكتشاف (كولومبوس) لتلك الأرض بوقت طويل (ويكيبيديا).

بالنسبة لبريمر حدثاً تاريخياً، ولكن بالنسبة لهذا الشعب مسألة حياة أو موت، مرحلة فاصلة بين حكم دام ثلاثة عقود ونيف، وبين آتٍ لا يعلم له صفة، ولا يُعَرَّف غير وعود وورديَّة، وجنةٍ موعودة بين أطلال شارك الكثيرون في هدمها، أطلال على أشلاء مبعثرة لا يعرف لكثيرين منهم هُوية أو جنسية، ولا نعلم بأي ذنب قُتلوا.

رحلة مع رجل كان نجاحه أكبر همه، حيث عمل وسوف يعمل على تحديد مسار حياته، وتسجيل نقاط نجاحه في مذكراته التي كانت تبعثه لزوجه وزيادة رصيده من من الأموال والأوسمة.

رحلة مع رجل كُلف بإعادة إعمار ما هدم وسيهدم لاحقاً، فإذا كانت الحرب والأسلحة دمرتا العمران، فإن الأكياس والسجون دمرتا النفوس، وحطمتا الكبرياء والإباء.

رحلة مع رجل كان على موعد مع أناس لتصفية حسابات قديمة، على أرض وطن نازف مقهور وجريح، مغامرات في استديوهات أقرب إلى أرض رعاة البقر، بين أطلال في مشرق البلاد. وقد جاء في (القدس العربي): " إن مدير المخابرات اللواء محمد عبدالله الشهواني الذي عينته سلطة الاحتلال الأمريكي ذاتها في نيسان (أبريل) الماضي، اقترح في مذكرة رسمية على بريمر بإصدار قرار يغلق حدود العراق مع دول الجوار، ومنع السفر إليه لفترة شهر، وسجن كل من يتسلل أو يتوجه إلى العراق في هذا الشهر، والقيام بحملة تفتيش في بغداد والمحافظات، في الفنادق والمزارات، عن الأغراب والأجانب واحتجازهم، غير أن السيد (بريمر) رفض الاقتراح جملة وتفصيلاً، بل إنه استدعي الشهواني، وحذره من الحديث في مثل هذه الموضوعات، قائلاً له: يبدو أنك لا تفهم استراتيجيتنا أيها الجنرال..!! نحن نريد أن تبقى الحدود العراقية مفتوحة ومشرعة لتغري (الإرهابيين)، وتشجعهم على القدوم إلى هنا، حتى

نتمكن من اصطيادهم، وبذلك نكـون قـد منعنـا ذهـابهم إلى أمريكـا وأوروبا ومناطق أخرى، وحرمانهم من القيام بعمليات فيها".

مع هذا فإنني لا أنكر أنها رحلة مع رجل دولة، رجل أصبح موضـع جدل ونقاش بين زخم وزحام المنكرين والمؤيدين، وقضى عامه بين المنكرين والمؤيدين، وقد كشف عن أسـرار لا تـزال تحتمـي في أحضـان المجهـول. وأعطى رؤوس خيط مقطعة لأبواب من غير عناوين تذكر، رجل قوي كما وصفته زوجته: "إذا كان هناك مـن يسـتطيع القيـام بـذلك فبإمكانـك القيام به".

رجل مشى في وسط دهاليز وممرات تفصـل بـين حضـارتيين وتـاريخين. عندما كنت اقرأ كتابه المذكور كان يتبادر إلى ذهـني أنـني أمـام فلـم يتحدث عن عبور الزمن كما ذهب إليه (أنيشتاين) فقد بـدأت القصـة عندما فاتح (بريمر) زوجته (فرانسي) أنه يريـد أن يـذهب إلى العـراق، وقد كان بمثابة عودة البطل في مركبة قادرة على خرق الـزمن، والعـودة إلى الماضي حيث الدخان المتصاعد وحرارة الصيف دون كهرباء أو إنـارة، وحياة مليئة بالحرمان، وربما رأى (بريمـر) نفسـه شـبيهاً بـــ(كريستوفر) عندما وجد القارة الأمريكية، والتقى بأناس لا يعلمون من الحضارة شيئاً إلا أن الله أنقـذهم بمهـاجرين جلبـوا معهـم الحضـارة والثقافـة بجرعـات يتجرعونها في كؤوس مرعبة..!!، ونالوا بعدها الطمأنينة والراحة الأبدية؟

وقبل أن ندخل في تفاصيل الكتاب ودراسته، يجدر بالقـارىء الكـريم أن يكون على اطلاع جزئي على حياة هذه الشخصية، لـذا نقـوم بسـرد جانب من حياة هذا الحاكم المدني العراقي السفير (بول بريمر)، فهـو مـن مواليد ١٩٤١ عينه الرئيس الأمريكي (جـورج بـوش) رئيسـاً لـلإدارة المدنية، للإشراف على إعـادة إعمـار العـراق في ٦ مـايو ٢٠٠٣. قبـل تعيينـه في ذلـك المنصـب كـان (بـول بريمـر) يـرأس شـركة استشـارية

للأزمات، تابعة لشركة (مارش)، و(ماكلينان)، وهي شركة تقدّم خدماتٍ للشركات، وتساعدها على التعامل مع أو التعافي من أي أزمة قد تواجهها مثل الكوارث الطبيعية، واستعادة منتجاتها من الأسواق، والعنف في مكان العمل والإرهاب.

كان (بريمر) قد انضم إلى السلك الدبلوماسي عام ١٩٦٦، حيث كان مسؤولاً سياسياً، واقتصادياً وتجارياً في سفارتي بلاده في أفغانستان ومالاوي. وفي الفترة بين عامي ١٩٧٦- ١٩٧٩ كان نائباً للسفير، وقائماً بأعمال السفير في سفارة أمريكا في (أوسلو) في النرويج، كما تولى منصب المساعد التنفيذي والمساعد الخاص لستة من وزراء الخارجية الأمريكية.

وعين الرئيس الأمريكي السابق (رونالد ريجان) بريمر سفيراً لبلاده في هولندا لمدة ثلاث سنوات منذ ١٩٨٣. وفي عام ١٩٨٦ عين سفيراً في وزارة الخارجية الأمريكية لشؤون مكافحة الإرهاب، حيث كان مسؤولاً عن تطوير وتنفيذ السياسات الدولية لمكافحة الإرهاب التي تتبعها الولايات المتحدة، كما كان كبير مستشاري الرئيس، ووزير الخارجية الأمريكية بشأن الإرهاب في الأعوام الثلاثة التالية.

وعقب ٢٣ عاماً قضاها في السلك الدبلوماسي انضم (بريمر) إلى شركة (كيسينجر اسوشيتس)، وهي شركةُ استشاراتٍ يرأسها وزير الخارجيّة الأمريكي السابق (هنري كيسنجر) عام ١٩٨٩.

يذكر أن (بريمر) أيضا عضو في المجلس الاستشاري للأمن المحلي الذي يرأسه الرئيس الأمريكي (جورج بوش)، كما رأس اللجنة القومية لمكافحة الإرهاب، وأثناء توليه هذا المنصب، نشرت اللجنة في يونيو تموز ٢٠٠٠ تقريراً توقعت فيه أن تتعرّض الولايات المتحدة لهجوم إرهابي

بحجم هجوم (بيرل هاربور).

كورش المخلص..!!

لا أنكر إنني عندما بدأت قراءة هذا الكتاب بدا لي وكأنني أمام فلم حديث الإخراج عن قصة مطبوعة كما هو الحال في العديد من الأفلام، فقد رأيته كعمل درامي وجدت المعروض منه قد تم اختياره من قبل المخرج أو (مقص الرقيب) بعد التصوير وإعادة التصوير، هذا وناهيك عما يدور وراء الكواليس والأبواب المغلقة وما كتب بالحبر السري..!

فعند تحليق السفير بريمر بطائرته سي- ١٣٠ - في ١٢ أيار \مايو ٢٠٠٣ في سماء العاصمة العراقية المنهكة (بغداد) قال: "عندما كانت طائرة القوات الجوية سي- ١٣٠ تحلق فوق منعطف نهر دجلة، أدرتُ الكرسي الذي كنت أجلس عليه، وبدأت أحدِّق عبر النافذة المستديرة في طائرة الشحن، وكانت العاصمة العراقية تمتد إلى الشمال تحت جناح اليمين، وقد غطاها غبار ذو لون بني فاتح وأعمدة من الدخان الداكن ترتفع تحت شمس ما بعد الظهيرة، وبدأت أعدها ثلاثة، خمسة سبعة"[(١)].
ويقول بريمر على لسان الوفد المرافق له:" كان إلى جانبي زميلي السفير المتقاعد (هيوم هوران) يتحدث عن أمرٍ ما غير أن صوته غرق في ضجيج أزيز المحركات، وأخرجت قطعة الفلين التي كنت أستر بها أذني التي وزعها علينا طاقم الطائرة عند ركوبنا على متنها في ذلك الصباح في الكويت، وارتفع صوت (هيوم) في صراخ وسط صوت المحركات مبان حكومية، مكاتب حزب البعث، وأشار إلى الدخان الذي ارتفع فوق انحناء النهر، معظم الوزارات تتركز في تلك المنطقة، فقد كان (صدام

١- عام قضيته في العراق، ص٩.

حسين) يحب إلقاء نظرة عن كثب على مواطنيه""[1] ومن أوائل ما قاله السفير عن التركيبة الاجتماعية للعراق، والتي لا تخلو من أجندة مفبركة وأمور مدروسة وراء الكواليس. يقول (بريمر) عن تقسيم العراق: "والمناطق التي احتلوها تختلف كاختلاف التنوع البشري في العراق، فقد اتخذت قوات التحالف موقعاً لها في منطقة الأهوار في دلتا شط العرب لنهري دجلة والفرات، وفي المدن على ضفاف النهر والمدن المقدسة في الجنوب، حيث يتركز الشيعة الذين يشكلون ٦٠ في المائة من مجموعة السكان، وعلى مسافة ٥٠٠ ميل إلى الشمال هنالك مواقع لقوات التحالف في سلسلة الجبال التي تغطيها أشجار الصنوبر في مناطق الأكراد الذين يشكلون حوالي ٢٠ في المائة من مجموع السكان، كما تتوزع وحداتنا في المناطق السهلية الصحراوية في وسط العراق وغربه التي تتشكل المناطق الداخلية للأقلية السنية العربية التي تشكل حوالي ١٩ في المائة من مجموع المواطنين العراقيين، وقد ظلت تسيطر على المجتمع العراقي منذ قرون""[2].

لا شك أن السفير يشير إلى أمر دقيق وحساس لأنه يقصد أن ١٩ في المائة الذين يسيطرون على العراق أو المهيمنين على العراق هم مِنَ السنة وهذا القول يقوم بالإفصاح عنه في موضع آخر، وكما قلت فإن لهذا المشهد ملابسات وديباجات ومونتاج يقاس وفق خطط المرحلة الراهنة والاستراتيجية التي ترسمها القوات الأمريكية، وهذه الرؤية الأمريكية لم يكشف عنها إلا بعد خروج بريمر، وجاء في صحيفة القدس العربي الإعلامي[3]: "بدأت تتكشف حكايات وأسرار عن مشروع الفوضى

١- المرجع نفسه.

٢- المصدر نفسه، ص٩.

٣- صحيفة القدس العربي الإعلامي، ١٢-٠٧-٢٠٠٤.

الأمريكي الذي زرعه السفير (بول بريمـر) في العـراق، وتركـه يسـتفحل ويكبر ويزداد خطورة في هذه المرحلة الحرجة، وكأن الحاكم الأمريكي السابق لم يرد أن يغادر موقعه في بغداد ويعود إلى بلاده دون أن يترك في العـراق آثاره التخريبية وبصماته العدوانية".

أسرار في كنف المبهمات

إننا نعلم وكما يعلم غيرنا أن حركة الحياة تحمل في طياتها الكثير مـن الأسرار الغامضة مقابل ما تعرضها واضحاً بيناً للعيان، فهناك الكـثير من المسائل لها وجهان: وجه خفي لدى العامة ووجه واضح لـدى الخاصـة، ولكل واحد منهما نظريته الخاصة في كيفية التعامل مع هـذين الـوجهين للحياة، فأحدهما يجامله ويداعبه والآخر يتمرد عليه ويواجهه، فمـثلاً أن القوات الأمريكية حين دخلت العراق ادعت أنهـا جـاءت محـررة وليسـت محتلة، وعند رفع أول علم أمريكـي في سـاحة العـراق تحـول الموقـف إلى مرحلة جديدة، وبعد فترة من الزمن تحول التحرير إلى احتلال..!![1] وذلك

١- عش رجباً ترى عجباً
هناك أمثال وأقوال لها أثرها على السامع، وخاصة الحكم القديمة وكثيراً سمعنـا مقولة: "عش رجباً ترى عجباً"، ونحن بعد كل هذه التغييرات الـتي حـدثت ولا تزال تحدث في محل رجب حيث لا محل له من الإعراب، رأينا الكثير الكـثير مـن الأعاجيب، وفي بعض الأحيان يكون وجه العجب أعمق أثراً في النفوس.
سمعنا من أفواه المعنيين والقادة السياسيين الأمريكيين والعـراقيين بعـد سـقوط النظام عن تدخلات إيرانية في شؤون العراق الداخلية، تارة تلميحاً وتارة أخـرى تصريحاً، ووفق الحالة الجوية السائدة وما يعتريها من الأعاصير والزوابع.
وهذا التدخل لا أستغربه ولا أسـتبعده لأن لكـل دولـة سياسـتها وقوانينهـا الداخلية وتفرض إجراءات وتحت مسميات متعددة ومتنوعـة كـالأمن القـومي وحماية الحدود..الخ. وتعتبر نوعاً ما إجراءات وقائية لحماية مصالحها وكيانها. ولكن

حتى تأخذ الأمور مجراها القانوني وذلك ضمن آلية التعامل مع البلد المحتل الذي هو العراق..!! وقد طافت الأوجاع على الشعب الذي تحرر من ظلم الدكتاتورية والطغيان، وبدأ يذوق الهوان والحرمان بأيدي المحررين الأغيار..! بدءاً من سجون (أبي غريب) ومروراً بهتك الأعراض

الغريب من الأمر أن يكون هذا التدخل سافراً ظاهراً وعلنيا وعلى رؤوس الأشهاد، ويكون ضمن اتفاقية معلنة تسمى بمفاوضات أمريكية ـ ايرانية، وهذه الاتفاقية بمثابة عقد بكل ما يحمله هذا اللفظ من معنى حيث يتضمن تسويات إقليمية ودولية، والعراقيون في موقف المتفرج لا أكثر ولا أقل! والمتبايعان بالخيار؟ كثيرا ما أقول إن الشعب العراقي شعب تعوَّد على المفاجآت حتى أصبحت هذه المفاجآت مَلَكة..! وإلا ما يجري على الساحة العراقية يكفي لقتل أمة بذبحة صدرية أو جلطة دماغية..!
والدول المجاورة للعراق اصبحت آمرة و ناهية وما يندى له الجبين هو مقولة ان المشروع الامريكي باء بالفشل أي فشل وأي مستنقع امريكا لاتزال تسيطر على مسار او بالاحرى على الاقتصاد العراق، والبقية الباقية موظفون شبه اكفاء. والذين يرون قتل جندي هنا والاخر هناك قصير النظر والادراك ما يضر قتل جندي او عشرة في حين ان امريكا لاتهمها قتل جنودها، لانهم جاءوا ضمن مشروع تجاري ووفق عقود مبرمة مع شركات خاصة بهذا المجال، ولاتزال امريكا هي الوحيدة المسيطرة على النفط والطاقة وتتلاعب باسعار بالبنزين والوقود وليس للعراقيين في المناصب لا امر ولا علم بما يجري ولا يستيطع احد من الوزراء وغيرهم ان يتحكم في الوقود، واذا قيل ان الحكومة لاتسيطر امنياً الا على منطقة الخضراء وكما سميت بحكومة الخضراء، ففي الجانب السياسي والاداري لايملك الا عرض مناصبهم الجامدة والا ما هذا الغلاء في الوقود والمواد، ماهذا الفوضى المضحك ما هذه المزايدات الايرانية حول استقرار الامن في العراق، وما هذه المزايدات التركية حول الحدود والتركيبة السكانية في كركوك، ولا ارى في هذه العضلات الا كعضلات (عادل امام) في مسرحية مدرسة المشاغبين، ولولا دماء الابرياء وبكاء الثكالا وانين الارامل وصيحة الايتام لاضحكني هذه المواقف اكثر من كل مسرحية شاهدتها بعنوان مسرحية العراق الجديد.

إلى سجون السراديب، وتعذيب الأجساد، ففيها رسالة يفهمها اللبيب ويشتريها الثري لقاء بيع مستوف شروطه، والأسواق تموج بالزائرين والوافدين من وراء البحار، والسفن تطوف على شواطىء لم يبق لها بر للأمان، الكل قاتل والكل مقتول، الطامح والمطموح محلون على أخشاب طافية يحسبها المستغيثون أنها طوق النجاة، أعذار الفاعلين تشيب لها الرؤوس ويصدق عليهم قول القائل: "إن كنت تعلم فتلك مصيبة.. وإن كنت لا تعلم فالمصيبة أعظم" لقد انكشف النقاب الآن عن بعض ما يعانيه هذا الشعب في ظل الغوغاء الذي يشهده العراق تارة بأيدي القوات الأمريكية، وتارة بأيدي القوات العراقية، وتارة بأيدي القتلة، وتارة بأيدي اللصوص، وتارة باسم المقاومة. ويا ترى كم هناك من أسرار أخرى لا يعلمها إلا الله، وكم من مبهمات سيواجهها الشعب العراقي حتى يستقر الأمان والعدل، وكم من الأطفال سيُحرمون من حنان الأبوة، وكم من النساء سيترملن وتحرق قلوبهن المآسي، وكم من أمهات ستحرق أكبادهن على أولادهن..!!

ومن كبرى المهام التي قام بها السفير هو زراعة بذور التفرقة المذهبية والفتنة الطائفية بدءاً بما قاله قبل هبوطه، إلى أن خرج من العراق، ومن يتصفح هذا الكتاب يرى بوضوح نية السفير وراء أقواله وتصرفاته، فهو يقول : "جاء انتقام صدام سريعاً ووحشياً. فقد اجتاحت القوات الموالية للنظام - وحدات الحرس الجمهوري التي يهيمن عليها السنة والتشكيلات شبه العسكرية لأجهزة المخابرات - جنوب العراق. طورد كل من كان في سن العسكرية من الرجال وقتلوا. وهاجمت المروحيات العسكرية القرى وقصفتها بالصواريخ. ونقلت جاليات بأكملها - رجال ونساء وأطفال - في الشاحنات إلى مواقع معزولة مثل هذا الموقع، وأطلقت عليهم النار بالمدافع الرشاشة، وكومت جثثهم في حفر وردمت". قلت : "إن ذلك

شبيه بـ(اينساتزغروبن) في أثناء المحرقة"[١].

ويقول في موضع آخر: "وعلى الرغم من سني القمع، دافع الجنود الشيعة بشجاعة عن وطنهم ضد الإيرانيين الشيعة في الحرب العراقية الإيرانية "[٢]، ويقول: "لقد كانت المقابر الجماعية في الحلة شاهداً صامتاً أيضاً على دور الجيش في القمع الوحشي للثورة الشيعية في السنة ١٩٩١، وهكذا أصبح جيش صدام أداة للنظام المتوحش بالنسبة للأكراد والشيعة"[٣].

ونراه يقول في سياق آخر: "اغفلوا الواقع المعيشي القاسي للمجندين الشيعة الذين عانوا الأمرين على أيدي الضباط ومعظمهم من السنة، وبالتالي لم يكن لديهم أي ولاء لقادتهم ولا حافزاً للحفاظ على سلامة الوحدات العسكرية". "فغالبية ضباطه كانت من العرب السنة"[٤].

وفي الإجابة عن سؤال وجه السيد عبدالعزيز الحكيم فمن سيكون هؤلاء الضباط الذين سيقودون الكتائب قال: "قلت مستخدماً لقبه بالعربية أعدك يا سيد بأن يكون قائد الكتيبة الأولى شيعياً"[٥]. وهنا نجتزئ فقرات من أقواله، وهي:

"سنواجه المزارعين الغاضبين، ومعظمهم من الشيعة"[٦]. "وساعد في إكساب الائتلاف احترام الشيعة المعتدلين"[٧]. "مع ذلك فإن القطريين

١- عام قضيته في العراق، ص٧٠.
٢- عام قضيته في العراق، ص٧٣.
٣- المصدر نفسه، ص٧٣.
٤- المصدر نفسه، ص٧٥.
٥- المصدر نفسه، ص٨٠.
٦- المصدر نفسه، ص٩٢.
٧- المصدر نفسه، ص٩٣.

الذين التقيت بهم في اجتماعات باكرة في ذلك اليوم أظهروا موقفاً استعلائياً تجاه الغالبية العراقية الشيعية، الذين اعتبروهم مزارعين منحرفين ومضللين. وعندما أشرت إلى وجود طبقة مهنية قوية في العراق، بدأ الارتياب على مضيفي بعباءاتهم الصيفية الناعمة"[١].

عند الإجابة عن سؤال بوش "استناداً إلى محادثاتي مع قادة العشائر الشيعية في الجنوب وسواهم، لا يريدون أن يعبث هؤلاء الأشخاص من إيران بالوضع في العراق"[٢]. وعندما ينقل ملاحظات بوش، يقول: "سألني هل سيتمكنون من إدارة بلد حر. بعض القادة السنة في المنطقة يشككون في ذلك إنهم يقولون: كل الشيعة كاذبون"[٣].

وفي مقولة أخرى يعرض حواراً دار بينه وبين (كولن باول)، جاء فيه: "وقد ظل (باول) صامتاً طوال اللقاء. وأنا أكنُّ احتراماً شديداً له، وتربطني به علاقة جيدة منذ كان قائداً عسكرياً رفيعاً في أوروبا إبان الحرب الباردة، وكنت سفيراً في هولندا. ولكنه تحدث أخيراً قائلاً: "إنه في أفضل الأحوال، ستكون هناك حكومة تمثيلية في العراق يهيمن عليها الشيعة، فهل سيكون هناك قانون تطبيق الشريعة الإسلامية كما في نيجيريا وباكستان؟ فأجبت: إنني أفهم أنه سيكون هناك قوانين من الشريعة وأخرى من القوانين الغربية. كما هو الحال في قطر، على سبيل المثال، حيث يقتصر تطبيق الشريعة على الأحوال الشخصية."[٤].

١- نفسه، ص٩٥.
٢- نفسه، ص٩٦.
٣- عام قضيته في العراق، ص٩٦.
٤- المصدر نفسه، ص٩٨.

مكفولون قسرياً ..!!

تناولنا في الجزء السابق نظرة السفير (بريمر) إزاء الشيعة وانطباعه وتعامله معهم في عامه الذي قضاه في العراق، هذا وخلال قراءتي للكتاب وقفت وقفات أمام هذا الكتاب، وهو أني لا أؤيد كل ما جاء فيه ولا أنكره أيضاً، وإنما نقوم بالعرض والتعقيب إذا قضت الحاجة إلى ذلك. يقول (بريمر) عن الشيعة: "نحن نأمل أن يتعاون القادة المسؤولون في الطائفة الشيعية مع هذا المسعى، ولا شك في أن ارتكاب الشيعة اليوم الخطأ نفسه الذي ارتكبوه في سنة ١٩٢٠ يعد مأساة، بالمقابل تعاون العراقيون العرب السنة، الذين تمتعوا بقرون من المعاملة التفضيلية في ظل الحكام العثمانين الأتراك السنة، مع الاحتلال البريطاني، وبقوا الطائفة المميزة تحت حكم الملكية التي انشأها البريطانيون أولاً، ولاحقاً في أثناء النظام البعثي" ص١٠٨-١٠٩، عند هذا المقطع نرى (بريمر) يخرج بوثيقة جديدة أو وصاية جديدة تكون الشيعة بموجبها تحت وصاية أجنبية، لأنهم لم يحسنوا التصرف في حياتهم، وأن القوات الأمريكية وبريمر على الخصوص هو القائم على شؤون الشيعة، و(بريمر) يرى في نفسه (كورش) الفارسي أو (استير) مخلص شعب الله، أو مخلص البشرية (السيد المسيح)، وكأن الشيعة عديمو الأهلية فلا يجيدون التصرف لا في أنفسهم ولا في بلادهم، وكأن زعماء الشيعة على علم برؤية السفير، ولم يكن السفير يتردد في نعت زعماء الشيعة السياسيين بالإيرانيين أو الموالين لهم، فيقول: "كان يلحُّ علي (إبراهيم الجعفري) حول زيارته في بيته في كربلاء وقبلها يقول: عزمني على آيس كريم (دوندرمه)، وهو يسألني ويردد: (بريمر بريمر.. هل الدوندرمه مالتي أفضل لو دوندرمة عبد العزيز الحكيم؟) أي: إن الأخير قام بالعزيمة نفسها قبل الجعفري، رهو

يقلده، وكأن (الجعفري) هو الذي صنع الدوندرمه، وبعـدها ذهـب (بـول بريمر) إلى مدينة كربلاء ليحضر عزيمة (الجعفـري) وهـو يصـف البيـت والمكان الراقي، فأحضر له (الجعفري) أكلة (الفسنجون) فسأله بول بريمر (هل هذه الأكلة عراقية؟) أجابه الجعفري: نعم إنها عراقية ممتازة فرد بول بريمر: لا لا إنها أكلة إيرانية وليست عراقية". ولكن (بريمر) كان محنكـاً ماهراً في إدارة الصراع الطائفي والحزبي، فقد استفاد من عقلية الشـيعة والسنة من جانب، واستفاد أيضاً من الأحزاب الشيعية المتفرقـة كحـزب السيد الحكيم والسـيد الجعفـري وجماعـة الصـدر. فقـد وصـلت العقليـة الأمريكية إلى أنه ليست هناك سيطرة تامة أو كاملة، وإنما هي المشاركة بشرط أن يكون له حصة الأسد، لذا كان من الطبيعي أن يستفيد الحـاكم (بريمر) من هذه الجولات، وكان ذكياً عندما كان يعطـيهم مـن القصـعة قليلاً، وهم كانـت لـديهم قناعـة و(القناعـة كنـز لا يفنـى)..!! ولـيس بالضرورة أن تكون هذه القصعة وجبات شهية كما اعتـادوا عليهـا، قـد تكون هذه القصعة معلومات قيمة، والعراقيون - كما تربوا علـى ذلـك في بلد الاستخبارات - مفتونون بالمعلومات الاستخبارتية، لذا ولأسباب أخرى كثيرة كان (بريمر) فالحاً في إدارة الصراع، والإفادة من كل ثغـرة أو ضعف كامن داخل التركيبة الاجتماعية للشعب العراقي.

يقول في وصف السيستاني: "فيمـا كانـت وسـائل الإعـلام العربيـة والغربية تندب الانقسام المفترض بين آية الله السيستاني والائتلاف، كنت أنا وهو نتواصل بانتظام بشأن القضايا الحيوية من خلال الوسطاء طـوال المـدة الـتي قضـاها الائـتلاف في العـراق"[١]. ويقـول أيضـاً: "أبلـغ السيستاني الربيعي بأن خياره المفضل هو ألا يبقـى مقتـدى. وافترضـت

١- عام قضيته في العراق، ص ٢١٤.

بذلك أنه يريد أن يقتل الشاب"[١]. وفي الرسالة نفسـها جاء مـا يلـي: "وأذهلني الربيعي بمعلومة أخرى فقـد أخبره السيسـتاني بـأن الـرئيس السوري (بشار الأسد) بعث إليه رسالة سـرية تقـترح ان يصـدر آيـة الله "فتوى تدعو إلى الجهاد ضد الائتلاف"، مثلما فعـل القـادة الشـيعة في سنة ١٩٢٠ ضد البريطانيين". فهنـا مـرة أخـرى يقـوم السـفير بتـذكرة الشيعة بأنهم تحت الوصايا ويقول بريمر: "تبادلت مع السيستاني حوالي ٣٠ رسالة"[٢].

ونقل عما دار بينه وبين الدكتور ربيعي: "قلت دعـني أصـارحك يـا دكتور ربيعي. إذا أصـر الشـيعة علـى هـذا الموقـف، فسـيكون لـذلك نتيجتان على الأرجح. وكلاهما سيئة ستقسم المجلس وبالتالي سـتدمره ثم ساضطر إلى إبلاغ الشعب العراقي بأن هذا التأخير مرده إلى الشـيعة. بدا الربيعي أكثر تجهماً. وقلت: تذكر لقد قطع الائتلاف شـوطاً للتكيـف مع آية الله السيستاني، وعلى كل شيعي في العراق أن يُدرك ذلك"[٣].

كان (بريمر) يعلم كيف يستطيع أن يدير الصراع الموجود بين الشـيعة والسنة، وأن يستفيد من الخلاف الدائر بين التيارات الشيعية، ومن جهـة أخرى عندما أراد (بريمر) أن يخالف السيسـتاني والشـيعة حـول إجـراء انتخابات مبكرة قال: "وعندئذ أبلغ (السيسـتاني) (الحكـيم) أن رجـال الدين الشيعة يمكن أن يكونوا مَـرِنين في "مسـألة الانتخابـات". لكـن لحفظ مـاء الوجه في الظاهر، اقترح آية الله العظمـى أن تطلـب الولايـات المتحدة قدوم فريق من الأمم المتحدة لتقييم الجـدول الـزمني لاتفـاق ١٥ تشرين الثاني/ نوفمبر، وإعلان عدم إمكانية إجـراء الانتخابـات ضـمن

١- المصدر نفسه، ص٢٥٤.

٢- عام قضيته في العراق، ص٢٥٤.

٣- المصدر نفسه، ص٢٩٤.

الإطار الزمني للاتفاق، وعندئذ يمكن أن تقترح الأمم المتحدة حلاً عملياً أكثر للمشكلة، وسيقبل به آية الله ورجال الدين الشيعة"[١].

وهناك اتهام صريح من قبل (بريمر) للسنة يقرر فيه بأنهم رموز البعث. وعند اعتقال (صدام حسين) قال: "ربما يُدرك الآن السنة المعتدلون أن البعثية ماتت أخيراً"[٢].

لا يغرنكم ضحكة الظالم..!!

عند استقباله لرئيس الوزراء البريطاني (توني بلير) وعندما سئل عن موقف السيستاني، وضح له موقف السيستاني، أجابه بريمر قائلاً: "في رسالة وجهها لي بتاريخ ١٥ كانون الأول - ديسمبر قال السيستاني: إنه يريد أن تأتي لجنة من الأمم المتحدة إلى العراق لدراسة المسألة لمدة ثلاثين يوماً، ثم تقديم تقرير له بعدم إمكانية إجراء الانتخابات بحلول ٣٠ حزيران/ يونيو. وقلت لبلير: وذلك يعني على ما أرجو أنه يبحث عن إنقاذ ماء الوجه"[٣].

وإنني هنا لا أسيء الظن بالسيد السيستاني، فهو عالم دين، ألا أنني أتعجب من مواقف الشرقيين، وحتى لو كنت في مكان السيد السيستاني لأرجأت الانتخابات، لأن الوضع الأمني الحرج، وافتقاد آلية واضحة لتسيير الانتخابات يحتم تأجيلها، ولكن العتاب يأتي عندما يحاول أحد القادة السياسيين - الذين هم في موضع القرار - العمل بموقفين متناقضين، لأن السيد السيستاني أو أياً كان من القادة كان

١- المصدر نفسه، ص٣١٢.
٢- المصدر نفسه ، ص٣٣٢.
٣- المصدر نفسه، ص٣٤٠.

عليهم أن يكونوا شفافيين مـع شـعبهم، لأن مـن اختـار التعامـل مـع القوات الدولية، ورأى ذلك صواباً - كما فعله كثير من الأحـزاب – مـا كان عليه أن يواري عمله، كأن يبطن موقفاً ويظهر موقفـاً آخـر، فمـثلاً هناك من اختار المقاومة والعنف علناً، أمـا مـن اختـار التعـاون سـراً والمقاطعة علناً، فإن ذلك هو موضع الضعف والعتاب، وهو مأخذ جدي، لذا كان حرص السيد السيستاني على إجراء الانتخابات في محله، إنما كان عليه أن يعلن للناس ما يريده، ويعلن عن أسباب تأخير الانتخابـات دون تردد، لأن وجود الشفافية بين الراعي والرعية هو مكمن القـوة وتوحيـد الصفوف، وهناك المأخذ نفسه على قادة الكورد أيضاً، لأنهم لا يطلعـون شعبهم عمّا يجري وراء الكـواليس إلا عنـد الاضـطرار، ولـو أن السـيد السيستاني ظهر على المسرح، ولم يـدع مجـالاً لسـخرية (بريمـر)، وأطلـع الشعب على مجريات الأمـور لمـا تجـرَّأ أحـد عـن كشـف مـا يُـدار وراء الكواليس. وفي الصفحة نفسـها، يقـول: "أبلغـت الـرئيس في الأسـبوع الماضي أننا قد نكون أمام أساليب التفاوض الفارسية التقليديـة، كلمـا قدمت تنازلاً، يأتي الآخر بمطالب جديدة. ولا شك في أن هذه هي تجربتنـا مـع السيستاني في الأشهر الأخيرة. وهز بلير رأسه موافقاً: "إنهم يتبعـون هذا الأمر منذ مدة طويلة". وفي الصفحة نفسها كلمات أخرى تتراوح بين اتهام الشيعة، والدفاع عنهم تارة أخرى، وهنا على الشـيعة أن ينتبهـوا إلى ما يحاك لهم في الخفاء، فلا يغرّنهم كلام بريمر المعسـول ولا ضـحكته، وإنما عليهم أن يستفيدوا من الأحـداث لا أن يقعـوا في الدوامـة..! فهـم يعلمون وكما تعلم أمريكا وكما نعلـم نحـن إن مكونـات البعـث كانـت تتكون من السنة والشيعة. فرثاء بريمـر، لا يبكـي إلا شـاعراً لاهيـاً أو حالماً تحت ضربة الشمس، فلم يكن السنة يـديرون حـزب البعـث، كمـا لم يكن الشيعة أيضاً. فالبعثيون - سواء كانوا سـنة أو شـيعة - هـم مـن كانوا يديرون البعث لا غيرهم..!

فحزب البعث لم يكن حزباً طائفياً ولا مذهبياً، وإنما كان حزباً علمانياً يضم في صفوفه السنة والشيعة والمسيحيين والكورد والتركمان وغيرهم من مكونات المجتمع العراقي، فمثلاً كان مؤسس الحزب والأب الروحي له مسيحياً وهو (ميشيل عفلق)، ومن منظريه أيضاً (شبلي العيسمي)، وصدام وأبناء عمومته كانوا سنة كما كان سعدون حمادي، ومحمد سعيد الصحاف، ومحمد حمزة الزبيدي من الشيعة، وطه ياسين، وطه محي الدين معروف كانا كورديين...إلخ، لذا كان علينا جميعاً سنة وشيعة كورداً وعرباً أن نستفيد من الماضي، لا أن نحكم وفق الماضي إلا ضد من أجرموا بحق أي مواطن كوردياً كان أم عربياً أو مسيحياً. ويتحدَّث عن دعمه للسيستاني، وأنه يحترم الإسلام، وأن الدستور: "يحترم الإسلام ويجعله دين الدولة"[1]. وفي جانب آخر يوجه ضربة إلى الشيعة من خلال السيد السيستاني يقول فيه: "كان موقف آية الله (ليناً) بشأن دور الإسلام". لا شك أن إبراز كلمة "لين" في كتاب السيد (بريمر) لها دلالتها الخاصة، لأن (السيستاني) رجل دين مسلم، وعندما يكون "ليناً" أمام الإسلام، وقصده هو العمل السياسي الإسلامي في العراق الجديد، نرى في ذلك دلالات ومغاز سلبية لتاريخ مضى، ولغد آت يُكتب لاحقاً.

وبين فينة وأخرى يعيد بالذاكرة الشيعية إلى عام ١٩٢٠ قائلاً: "أرجو أن تتذكروا دروس العام ١٩٢٠. فهذا الدستور المؤقت هو الطريقة الوحيدة لكي يحصل العراق على حكومة دستورية منتخبة. لقد انتظر شعبكم هذه الفرصة أكثر من ثمانين عاماً"[2].

وفي مكان آخر من كتابه يقول عن (الشهرستاني) الرجل الديني

١- عام قضيته في العراق، ص٣٧١.

٢- المصدر نفسه ، ص٣٩٩.

الشيعي المرشح من قبلهم لدور يخوضه في العراق، حيث جاء: "تبيَّن لنا أن (الشهرستاني) شيعي منغلق إذ لم يكن لديه الكثير من الاتصالات مع العراق شمالي بغداد. ثم إنه صدمنا بقوله بأنه والسيستاني متفقان على ضرورة أن تتولى شخصية سنية رئاسة الوزراء. ستكون المهمة شديدة الصعوبة على أيٍّ كان، وسيفشل كل من سيتولى هذا المنصب على الأرجح، لذا فليكن الفاشل واحداً من السنة""[1].

وفي الصفحة ٥٠ رداً على قول (الشهرستاني) المفعم بالولاء والإخلاص للشيعة..!! يقول: "قلت له بصراحة بالغة: هذا ينمُّ عن قصر نظر، ويحمل في طياته مخاطر تكرار الخطأ المأساوي الذي ارتكبه الشيعة في العشرينيات من القرن الماضي عندما فضلوا الابتعاد عن العملية السياسية، وجلبوا على أنفسهم ثمانين عاماً من المنفى الداخلي"، فإن (بريمر) كان يرى في نفسه - كما أشرت سابقاً - إلى أنه أحد المجتهدين المنظرين لتصحيح الفكر الشيعي، وتخليص الشيعة أنفسهم من النفي والتهميش، ويبني لهم عروشاً يستظلون بها في ظل سيادة رسالة الرجل الأبيض الملطخة بالدماء، بدءاً من مغامرات الغرب الأمريكي إلى (هيروشيما)، و(ناكازاكي) وجولة داخل غابات (فيتنام) المحروقة، وإلى مذابح (غواتيمالا) والتدخلات الديمقراطية داخل (فنزويلا) وصولاً إلى أفغانسان المحررة الآمنة من الخوف والمنقذة من الجوع..!! ووقوفاً على أرض بلاد الرافدين حيث نرى فيها تصفية للحسابات، ومحطة لنقل الفوضى، وتصدير الخوف والإرهاب..!!

وفي نظرة لافتة قبل أن ينهي كتابه يقول: "على الرغم من أن آية الله رفض الاجتماع بسلطات الاحتلال، فقد تبادلتُ وإياه في الشهور الأربعة عشرة الماضية ما يزيد على ثلاثين رسالة عبر مختلف الوسطاء. وأنا أيضاً

١- المصدر نفسه ، ص٤٤٩.

وجدتها مفيدة للغاية"[١].

تحليل بريمر لمخاض العراقيين:

وفي جانب آخر يقوم السفير (بريمر) بتلخيص أهم الأخطاء التي ارتكبت عند التحرير، وإبَّان عهده، في نقاط عديدة، وأنه لم يزر العراق من قبل، وهو غير ملم بالعراق، ولم يكن (بريمر) يعرف العراق قبل سفره إليه، ولا يدَّعي ذلك، بل أكَّد في كتابه - وفي مقابلة له على الفضائية العربية -، بالقول: "أنا شخصياً لم أكن قد زرتُ العراقَ في السابق، بل عشت لفترة في أفغانستان، وتجوَّلت بين دول الشرق الأوسط في إطار وظائفي السابقة مع وزارة الخارجية الأمريكية، ولم أدَّعِ أبداً أنني خبير في الشأن العراقي، وهذا السبب الذي دفعني لاصطحاب أحد الخبراء مع إلى العراق من دبلوماسيين أمريكيين وبريطانيين واستراليين كانوا قد عملوا أو عاشوا في العراق، فكنت أعتمد على مشورتهم". ويري (بريمر) أن مجمل الأخطاء الأمريكية تتمثل في:

١- ترك عملية اجتثاث البعث التي يرى أنها كانت ضرورية لفئات عراقية، ممَّا جعلها وسيلة لتصفية حسابات عراقية سياسية ضيِّقة. وكان يجب أن تناط هذه العملية إلى جهة قضائية محايدة. وكما هو معلوم أن (أحمد الجلبي) هو من كان يترأس هذه العملية، وقد عمل مع هذا الملف معاملة سياسيَّة ضمن تصفياتٍ شخصيَّة، يقول (بريمر) في مقابلته على العربية: "بالتأكيد لم يكن عشوائياً بل كان قراراً مدروساً بدقة، وكان يشمل نطاقاً محدوداً، إذ ينصُّ القرار على أن أكثر من ١٪ من مسؤولي حزب البعث لا يمكنهم

١- عام قضيته في العراق، ص٤٧٩.

الحصول على وظائف في القطاع العام، لكن بإمكـانهم أن يعملـوا في التجارة أو الزراعة، وإن لم يرتكبوا أي جرائم بوسـعهم مغـادرة البلاد ، وبالتالي فهو قرار محدود ، إلا أن الخطأ الـذي ارتكبتـه هـو أنني سلَّمت تنفيذ هـذا القـرار إلى السياسـيين العـراقيين الـذين قاموا بدورهم بتوسيع نطاق تنفيذ القـرار خـارج حـدود السياسـة التي رسمتها، وهذا ما سبَّب لنا مشكلة، لكن ما كان عليَّ فعلـه في ذلك الحين، وقد أصبح الأمر واضحاً الآن بعد مروره، كان علـيَّ نقل آلية تنفيذ القرار إلى هيئة قضائية وليس إلى كيان سياسي.

وقد سئل: ماذا تقصد بأنه لم يجب أن يتـولى مسـؤولون عراقيـون هذه المسألة، ماذا فعلوا..؟! يعني: هل كانوا انتقائيين؟ هل كـانوا فرديين؟ هل انتقموا بشكل شخصي؟ فأجاب بريمـر: لم أقـل إنـه لا يجب إعطاء العراقيين المسؤولية بـل يجـب ذلـك. وقـد ردت عليـه المذيعة بالقول: ذكرت أنه لم يكن يجب أن يتولى التطبيق مسؤولون عراقيون هذا ما فهمته من إجابتك..؟! فأجابها بريمـر: كـلا يبـدو أنك أسأت فهمي، ما قلته هو أنه كان عليَّ تسليم القـرار لقضـاة عراقيين. ثم استطردت المذيعة بالقول: أنا فهمت بشـكل صـحيح، فأنت تعتقد أنه ليس الجسم السياسي هو من كان يجـب أن يتـولى هذه المسألة، بل الجسم القضائي. لماذا ترى أنه كان خطـأ أن يتـولى الجسم السياسي عملية اجتثاث البعث هذا هو سؤالي..؟! فأجـاب بريمر: لأن ما حدث هو أن المسألة أصبحت كمباراة بين السياسيين العراقيين، وقاموا بتنفيذ القرار بأوسع من نطاقـه، فعلـى سـبيل المثال تبيَّن أنهم أقـالوا نحـو ١١ ألـف معلـم، وهـذا خـرق كـبير لسياستنا التي رُسمت لتشمل فئات محدودة، وبالتالي كـان علينـا في ربيع ٢٠٠٤ إعادة هؤلاء المعلمين إلى عملـهم في تعلـيم أبنـاء

العراق.

٢- ويـتهم (بريمـر) تلـك الشـريحة أو الكتلـة الـتي يسـميها بـ(البيروقراطيين)، ويقول: كان يجب التخلص من بطء الإجـراءات البيروقراطية الحكومية الأمريكية، من أجل الإسـراع في عمليـات إعادة الإعمار، ويرى فيه أن الإعمار كـان يسـاعد علـى إرضـاء العديـد مـن العـراقيين مـن أداء الإدارة الأمريكيـة في إدارتهـا للعراق، ويستعمل كلمات جارحة لمعارضيه في واشنطن.

٣- السماح بحالة الفوضى التي وجد العراق نفسه غارقـاً فيهـا بعـد انتهاء العمليّات العسكرية الرئيسـة. ويـرى (بريمـر) أن التغطيـة الإعلاميـة الدولية الواسـعة، وبخاصـة الإعـلام العربـي لعمليـات السرقة والنهب، جعلت الولايات المتحدة تبدو بلا قوة في العـراق، في نظر الكثيرين من العراقيين. يتحدَّثُ في بدء كتابه بكلمة بغداد تحترق يجيب في مقابلته: "لا أعرف كيف تفسرين ذلـك". فالسـيد بريمر يتهم الاعلام علـى أنـه طبـل لحـرق العـراق، وغطـى علـى الايجابيات لكن الكلمات الأولى من كتاب بريمر هي بغداد تحترق..!

أما فيما يتعلق بحوادث السرقة، فقد أكّـد (بريمـر)، أنـه لم تكـن مجرد حوادث، وحقيقة أننا لم نسيطر علـى عمليـات النهـب منـذ البداية، وكان خطأً كبيراً، وهذا ما قلته في كتابي، وذلـك بـالنظر إلى الدمار الاقتصادي الذي خلفه النهب، وقـد قـدرناه بنحـو ١٢ مليار دولار، وهذا مبلـغ كـبير، وكـان خطـأً أيضـاً لأنـه أعطـى انطباعاً أننا غير جادين بمسألة الأمن والنظام، وهذا أمر اسـتحوذ على اهتمامي طوال أجزاء الكتاب".

كان هناك تأثير مباشر من قبـل الإعـلام العربـي علـى الموقـف الأمريكي في العراق حتى في أفغانستان وخاصة الجزيرة الفضـائية

- وفي فصل مستقل أتحدث عن موقف (بريمر) من القنوات العربية، وخاصّة الجزيرة -.

٤- يقر (بريمر) بأن أهم الأخطاء التي تتعلق بإدارة المشروع العراقي، والتي ما تزال آثارها ظاهرة حتى الآن، هو عدم إرسال الولايات المتحدة أعداداً كافية من الجنود، لتوفير الأمن، بعد نجاح الجزء الأول المتعلق بهزيمة القوات النظامية العراقية، واحتلال العراق. ويؤكد (بريمر) في كتابه أن الأمريكيين لم يكونوا على دراية بما يواجهونه في العراق من مقاومة وعنف، ولم يتوقع الأمريكيون والعراقيون من حلفائهم اتساع عمليات المقاومة والتمرُّد، لتستمر حتى هذا اليوم.

جهلاء عصر الثورة المعلوماتية:

أشار بريمر إلى أسبابٍ عديدة أدَّت إلى عدم ضبط العراق كلياً من قبل قوات التحالف وعزا ذلك إلى الجهل:

١- إذاً كانت نتيجة هذا الجهل هو ما سيتعرَّضون له بعد سقوط بغداد، يقول السفير (بريمر) إن أحد أصدقائه القدامى، وهو السفير جيم دوبينز Jim Dobbins والمحلل بمؤسسة راند Rand Corporation قد قدَّم له دراسة من (راند) بخصوص عدد القوات الأمريكية المطلوبة لتثبيت الأمن والاستقرار في العراق، وكانت دراسة مؤسسة (راند) تطالب بضرورة وجود ٥٠٠ ألف جندي، وليس ١٧٠ ألف جندي فقط. يقول في كتابه: "وبينما كنت أنظر في هذه المسألة أضاف (جيم دوبنز) - الدبلوماسي السابق والمحلل ذو الخبرة في مؤسسة (راند) للأبحاث

- بعداً آخر عندما جاء إلى مكتبي في (البنتاغون)، وقال وهو يقدِّم لي وثيقة (جيري)، وقال عليك الاطلاع عليها، وكنت أعرف أن مؤسسة (راند) تعد واحدة من أكثر مؤسسات البحث التي تحظى بالاحترام.

وكانت الوثيقة مسودة لتقرير (راند) بتقديرات حجم القوات الضرورية، لتحقيق الاستقرار في عراق ما بعد الحرب، وكانت دراسة محايدة وصريحة. فالمهنيون في مؤسسة (راند) لا يتعاملون مع السيناريوهات الوردية، بل إنهم يطبقون المنطق البارد فيما يتعلق بالمشكلات. فقد تناولت الدراسة العلاقة فيما بين حجم القوات، والاستقرار خلال سبعة احتلالات سابقة، من حجم قوات الحلفاء ما بعد الحرب العالمية الثانية في ألمانيا واليابان، إلى غزو الصومال في عام ١٩٩٣م، والبلقان في وقت لاحق في ذلك الوقت، وكذلك تجربتنا الأخيرة في أفغانستان، وبالرغم من أنني لست من الخبراء العسكريين، فإنني وجدت النتائج التي تمَّ التوصل إليها مقنعة، وفي الوقت نفسه، تثير الانزعاج، وعليه أرسل السفير (بريمر) رسالة عاجلة بعد عدة أشهر في العراق، وتأكد (بريمر) من استلام وزير الدفاع الأمريكي لرسالته، إلا أنه لم يتلق أي رد. هذا في الوقت الذي خصصت الإدارة الأمريكية فريقاً كبيراً مكوناً من ١٤٠٠ شخص برئاسة (ديفيد كي) للبحث عن أسلحة الدمار الشامل العراقية التي كان يقال إنها موجودة لدي النظام العراقي، ولم يهتم المخططون الأمريكيون كثيراً باحتمالات حدوث عمليات تمرُّد أو مقاومة عسكريَّة بعد سقوطِ نظام صدام حسين.

٢- غياب استراتيجية واضحة لإدارة ما بعد انتهاء المعارك العسكريَّة، وعبر (بريمر) لنائب الرئيس (ديك تشيني) في نهاية

شهر نوفمبر ٢٠٠٣ عن غياب استراتيجية عسكريَّة واضحة للنصر في العراق، ورد نائب الرئيس أنه يوافق رأي (بريمر). وهذه مفاجئة حيث أن الخطاب السياسي الأمريكي الرسمي على لسان نائب الرئيس كان يُعبِّر علناً عن عكس ذلك. وفي مقابلته مع فضائية (العربية) عندما سئل بول بريمر: عن طلبه بزيادة القوات الأمريكية في العراق أجاب منفياً: كلا، في الواقع أنا لم أطلب إرسال الجنود إلا في الفترة الأخيرة من عملي في العراق أي في إبريل نيسان من عام ٢٠٠٤م لكن دراسة مركز (راند) كانت عبارة عن مسودة اطلعت إليها قبل ذهابي للعراق، وهي إشارة إلى حاجتنا لمزيد من الجنود، عندها لم تكن لدي فكرة عن الموضوع، ولم أكن أعرف العراق بعد، ولم أكن أعرف حقيقة الوضع هناك، لكنني أرسلت هذه الدراسة إلى وزير الدفاع، وطلبت منه دراستها، وليس إرسال المزيد من الجنود، فلم أكن أعرف شيئاً، ولكن مع مرور الوقت وما بين إبريل نيسان ومايو أيار ٢٠٠٤م حصل ما كنت متخوفاً منه، وهو أن قوات الأمن العراقية التي نقوم بتدريبها أثبتت عدم فعاليتها، وهذا يشمل قوات الأمن، والحرس الجمهوري، والجيش، كما كنا نعاني بعض المشكلات مع قوات التحالف الأخرى التي لم تكن تقوم بعملها بكفاءة، وفي تلك المرحلة كان المقاتلون والإرهابيون يهاجمون أنابيب النفط، مما أدَّى إلى مصاعب جمّة، ووصلنا إلى مرحلة كنت سأضُطر فيها لتقسيم وجبات الجنود الأميركيين إلى حصص، عند تلك المرحلة فقط وفي نهاية فترة خدمتي في العراق قدمت توصية بأن نفكر بإرسال وحدة عسكرية إضافية أو اثنتين للعراق.

وجاء في (واشنطن مانشستر رويترز) (٨/١/٢٠٠٦م) قوله في

تصريحات لشبكة (سي ان ان): "إن هذه الموجة من العنف خارجة على المألوف"، وفي موضع آخر ينقل اعتراف (بـول بريمـر) رئـيس الإدارة المدنية الأمريكية في العراق بعـد غـزوه في عـام ٢٠٠٣م : "بأن الولايات المتحدة لم تكن تتوقع مجابهة في هذا البلد".

ونقلت (رويترز) عن (بريمر) قوله في مقابلـة مـع شـبكة التلفـزة الأمريكية (إن بي سي) حول كتابـه الـذي نشـره عـن تجربتـه في العراق: "إن القوات الأمريكية لم تكن تتوقع أن تلاقي مجابهـة في العراق، مُعرباً عن قناعته بأن تركيز الحرب على العـراق كـان في المكان الخطأ".

حرب الإعلام العالمية:

كلنا نعلم مدى تأثير الإعلام في الصراع الدولي في العصر الحـديث لا سيَّما بعد أحداث الحادي عشر من سـبتمبر. أعتقـد أن تفجـير المبنـيين، واستهداف الـ(بنتاغون)، وجملـة مـا دار في ضـرب الولايـات المتحـدة الأمريكية لو لم تكن هناك فضائيات وبث مباشر لما كان لهذا الحدث تلك الوقعة في نفوس العالم بهذا الشكل، وحتى لا نذهب بعيداً نحـن نعلـم أن هناك المئات من الأطفال الفلسطينيين قتلوا على أيدي الإسـرائيليين ألا أن قتل (محمد الدرة) كان له أثر على ضـمير البشـريَّة، وذلـك لأن هـذا الحدث قد بث عبر الفضائيات. وهناك نماذج كثيرة وعديدة مـن الأحـداث التي هزّت العالم، يقـول الصـحفي (أحمـد زيـدان) في هـذا الصـدد: "لم يفاجئني ما قاله لي صاحبـي العامل في فضائية عربية حين قـال علـى سبيل السخرية: إنه ينتظر حرباً كبيرة حتى يكسـب شـعبية لفضـائيته، لكن العقل الباطن لصاحبـي ولكل إعلامـي يقـول إنـه يتمنـى ذلـك.

فالحروب هي بوابة الشهرة الإعلامية..! ألم تشتهر قناة الـ(سي إن إن) الأمريكية في الحرب علىٰ العراق..؟! ألم يحصد مذيعوها كل جوائز الشهرة والصيت..؟!

ألم تشتهر قناة الجزيرة الفضائية بسبب الحرب على أفغانستان، واستئثارها بالتغطية الإعلامية لوحدها، ثم تغطيتها المميزة في العراق..؟!!

وقبل هذا كله ألم يضع الإعلام الغربي أولى مراحل الشهرة المثلة في: (حيثما يكون الدم يكون الخبر..؟!)

كل ذلك يشير إلى مدى خطورة الإعلام في تقصير أمد الحروب والعذابات على البشرية وإطالتها، حين قرَّر الإعلام حسم الحرب في الفيتنام. بدأ ببث الصور التي تظهر فظاعة الاحتلال الأمريكي لذلك البلد، وتهافت الإعلام الأمريكي على نشر صور الضحايا الأمريكيين هناك، لتهيئة الرأي العام الأمريكي للهروب الكبير، وكأن عشر سنوات من الاحتلال الأمريكي لم تكن كافية لتحرك آلة الإعلام الأمريكية حتى يخسر الشعب الأمريكي".

وعندما بدأت قوات التحالف الزحف على العراق، لإسقاط النظام البعثي، شرعت قوات التحالف بمنع الصحفيين من مرافقته، واستثني من ذلك فضائية (فوكس نيوس)، و(سي ان ان)، وذلك لأسباب وذرائع كثيرة، وعندما دخلت قوات التحالف العاصمة العراقية بغداد، استهدفت مقر (الجزيرة) الفضائية، وأودت بحياة الصحفي (طارق أيوب). قد لا نحتاج إلى إثبات قوة وأثر هذه القناة على الساحة الدولية، بحيث أصبحت تنافس القنوات العالمية، (وهذا لا يعني أنني أتفق معها في رؤيتها واستراتيجيتها)، ولا يخلو كتاب (بريمر) المذكور من إشارات إليها

تصريحاً أو تلميحاً. يقول د. قيس جواد العـزاوي، رئـيس تحريـر صـحيفة (الجريدة) الصادرة في بغداد: "وتنقل صحيفة "الفاينانشيال تـايمز" عـن السيد إبراهيم الجنابي الذي عين لرئاسة هذه اللجنة قوله: "على الـرغم من أن اللجنة لم تفرغ بعد من صياغة قانونها الذي اصطلح على تسميته بـ"الخطوط الحمراء"، فإن القانون سيشمل حظر توجيـه الانتقـادات غـير المبررة لرئيس الوزراء العراقي". وكـان مـن أوائـل الإجـراءات القمعيَّـة لوسائل الإعلام أن أصدرت حكومة العلاوي قراراً بالإغارة على مكتـب "قناة الجزيرة" في بغداد، وإغلاق قوات الأمن له. أما التهمة التي وجهت للجزيرة فهي كما ذكرها رئيس الوزراء نفسه للإعلام "التحـريض علـى العنف، والتغطية غير الدقيقة للأحداث". وفي البداية منعت الجزيرة لمـدة شهر، ولكن الشهر مدد إلى يومنا هذا..!

جدلية الارهاب بين أمريكا والجزيرة:

وتجربة " الجزيرة " مع القوات الأمريكية في العراق بدأت قبل احتلال العراق. فقد سـبق للقنـاة أن أعلمـت (البنتـاغون) بإحـداثيات موقـع مكتبها في بغداد، ومع ذلك تعـرَّض مكتبهـا للقصـف في الثـامن مـن أبريل ٢٠٠٣م من قبل القوات الأمريكية الذي أدى إلى مقتـل مراسـل الجزيرة في بغداد (طارق أيوب). وقـد اعتـبر الصـحافيون العراقيـون أن القيود المفروضة على قناة "الجزيرة" مقدمة واضحة لبدء قمع الصـحافة في العراق". وقد تناول كتاب (بريمر) قناة الجزيرة مـرَّاتٍ عديـدة، ومـن الملفت للنظر قيام (بريمر) بتهميش الكثيرين في كتابه، ألا إن المواجهة مع (الجزيرة) أخذت حيزاً كبيراً في كتابه، وذلك قياسـاً مـع حجـم الكتـاب وكثرة الأحداث، تدل على أن للجزيرة قوة لا تستهان بهـا. يقـول بريمـر: "بعد مشاهدة المـؤتمر الصـحفي علـى التلفزيـون في كنـدا، اتصـل دان

سينور :"أراهن أنه حتى (الجزيرة) لا تستطيع أن تلفق حكاية سيئة عـن هذه الأخبار"[١]، ويقصد بالأخبار القبض على صدام..!

ويذكر كلام (بوش) عندما كان أعضاء (مجلس الأمن) يتكلمون عـن إلقاء القبض على (صدام حسين) يردف قائلاً: "كانت غرفة الاتصـالات خانقة كالعادة. وعلى الشاشة، ظهر أعضاء مجلس الأمن القومي جالسـين حول الطاولة في غرفـة الأوضـاع في البيـت الأبـيض. نظـر الـرئيس إلى الأعلى، وسأل: كيف أوردت (الجزيرة) الخبر يا جـيري؟" قلـت مبتسـماً:" حاولوا جاهدين العثور على أنباء سيئة، سـيدي الـرئيس، فقـد أرسـلوا فريقاً إلى أطول رتل من السيارات التي تنتظر لتعبئة البنزين في بغداد ، وسأل المراسل السائق الأول الـذي يجـري معـه المقابلـة: "أنـت واقـف في الطابور مـنذ خمس ساعات للحصول على البنزين، ماذا تقول عـن ذلـك للائتلاف؟" رفع الرجل يده في الهواء، وقال: لقد قبضوا على صدام" لذا حاول مراسل (الجزيرة) التحدث إلى سائق آخـر، فصـرخ، الحمـد لله لقـد قبضوا على صدام"، وطرح المراسل السؤال نفسه ثـلاث أو أربـع مـرات، وحصل على النتيجة نفسها". فقال الرئيس: هذا خبر عظيم"[٢].

يدل هذا على مدى قوة وأثر هذه القناة على البيـت الأبـيض، بحيـث أوجدت نوعاً من الإرباك داخل الإدارة الأمريكية، واستولت على مساحة كبيرة في ذاكرة أصحاب القرار الأمريكي.

ويتحدَّث (بريمر) عن دور (الجزيرة) في الحرب على الفلوجـة، فيقـول: "أرسل (سانشيز) خـبراً بـأنهم يتقـدَّمون في ضـواحي الفلوجـة، وبـدأوا يواجهون مقاومة، وقال: لا شيء كبير بعد"، لكن تلفزيون (الجزيرة) كان

١- عام قضيته في العراق، ص ٣٢٥.

٢- عام قضيته في العراق، ص٣٣٦.

يعرض فيلماً لما يزعم بأنهم مدنيون غير مسلحين قتلوا في الفلوجة، وبعد ظهر ذلك اليوم بثت تلك المحطة شريطاً صوتياً من أبي مصعب الزرقاوي يهدد بجني رؤوس أعداء الإسلام في العراق"[١].

وهذا ما دفع بـ(بريمر) على أن يظهر على الشاشة، ويقول:"قلنا إننا آسفون لفقدان أي نفس بريئة، ودون أن أعطي مصداقية للجزيرة. أشرت إلى أن الإصابات في صفوف المدنيين تحدث في أي حرب"[٢].

وقد حاول (بريمر) بتوجيه أعضاء مجلس الحكم كي يشن هجوماً على هذه القناة "بعدها قدَّم مراسل قناة تلفزيون الجزيرة، التي كثيراً ما تهاجم التحالف، كلمة في شكل سؤال طرحت ما ذكره مراسل (بي بي سي)، وقد أحدث هذا الأمر سلسلة من ردود الفعل في أوساط أعضاء مجلس الحكم. فقد دحض (الباجه جي) بشدة، التلميح القائل "إن المجلس ألعوبة"، وأشار إلى أنه من الأفضل بالنسبة لوسائل الإعلام العربيَّة أن تلفت الأنظار إلى التغيرات الفعليَّة التي تجرى في العراق.

وهاجم (نصرت الجادرجي) الجزيرة، بقوله: "أقول هذا للإعلام العربي: توقفوا عن تقديم النصائح للعراقيين لمقاتلة الأمريكيين"، وقوبل ذلك بعاصفة من التصفيق من الحضور ومن بينهم، حسب ما لاحظنا، بعض الصحافيين العراقيين.

وقاد ذلك السيد (بحر العلوم) إلى الوقوف حيث قال: "كل تغطيات التلفزيونات العربية للحرب والتحرير غير متوازنة ومنحازة ضد العراقيين"، وقال وقد ارتفع صوته إلى درجة قريبة من الصياح: "إن وسائل الإعلام هذه ظلت تهددنا منذ أول يوم من بداية الحرب وإلى

١- المصدر نفسه ، ص٤٠٧.

٢- المصدر نفسه ، ص٤١٢.

اليوم..!"، وحال جلوسه على المقعد كان المزيد من التصفيق مما أدى إلى وقوفه مرة أخرى، وقال: "أنتم ممن تمثلون (الجزيرة)، و(العربية) وغيرهما، لم تغطوا البتة الفظائع التي ارتكبها صدام حيث قتل مئات الألوف من العراقيين..! وقضى على العراقيين بالغاز..! لماذا لم تعرضوا المقابر الجماعية على مشاهديكم..؟!"، وارتفع المزيد من التصفيق عندما عاد السيد (بحر العلوم) إلى الجلوس. وقد حثه (الطالباني) على الحديث مرة أخرى، وراق ذلك (بحر العلوم) الذي بدا وكأنه لن يتوقف عن الحديث".

ويقول في موضع آخر: "لكن التطبيل المتواصل في الصحافة العربية غيَّر الأوضاع على الأرض في العراق، وعلينا أن نأخذ العواقب السياسية في الحسبان"[1]. وقال: "وبحثنا هل سيتمكن وفد من مجلس الحكم من تهدئة الأمور بالشكل الكافي لكي توقف (الجزيرة) نقلها للأخبار."[2]. بعد أن اطلعت على دور هذه القناة، ومدى فاعليته قلت في قرارة نفسي: ماذا كانت ستفعل أمريكا إذا لم يكن هناك إعلام وصحفيون يفضحون أمرها وشرورها، ماذا لو كان العراق مثل الفيتنام بعيداً عن عين الكاميرا وضجيج الاعلاميين؟. ويظهر من أقوال (بريمر) الأخيرة أن الإعلام جعلهم يُغيِّرون الكثير من الخطط والآليات من ضغط وسائل الإعلام الأجنبية والعربية، ولا أخفيكم سراً أنني عندما قرأت قول (بوش) وهو يسأل عن موقف (الجزيرة) تغير صورة (بوش) أمامي، وكأنه طفل لاهٍ ركبه العناد..!

١- عام قضيته في العراق، ص٤٢٠.

٢- المرجع نفسه، ص٤٢٢.

إنه النفط يا غبي:

يذكر السفير بريمر أن من أسباب الفوضى، وتفشي السلب والنهب بعد سقوط بغداد تعود إلى عدم توقع قوات التحالف ما يواجهونها من تدمير واستسلام الجيش العراقي من جانب، ومن جانب آخر بروز مقاومة بهذه الشراسة كما قال بريمر، ولكن من المفارقات العجيبة والداعية إلى السخرية أن المؤسسات النفطية سالمة غانمة عزيزة وبأيدٍ أمينة!![1]. جاء في كتابه المذكور "عين رامسفيلد الجنرال المتقاعد جاي غارنر على رأس هذا المكتب، وكان المبرر الأصلي لوجود هذه المنظمة كما يدلُّ على ذلك اسمها، مراقبة وترميم البنية التحتية الحيوية المتضررة من الحرب في العراق، بما في ذلك حقول النفط، والمستشفيات، والطرق، وشبكات الاتصالات، بالإضافة إلى أولوية أخرى تتمثل في الحيلولة دون وقوع كارثة إنسانية (مجاعة وأوبئة) بين آلاف اللاجئين الداخليين الذي يتوقع أن يشرعوا في النزوح قبل الحرب بأشهر، ورغم وجود ملحق للقيادة المركزية فإن المنظمة كانت ترفع تقاريرها رأساً إلى مكتب وزير الدفاع في البنتاغونِ". هذا ما جاء في النص ألا أن الذي حفظ وبقي كان النفط. ولم يكن هذا الحفظ جزافاً، وإنما خصصت القوات الأمريكية قوة خاصة للقيام بهذا المهام كما جاء في الكتاب "حين سحبت صورتان التقطتا بالأقمار الصناعية من بين كومة الوثائق وجدت أن حقول الرميلة النفطية في الجنوب التي استهدفها البعثيون بالتدمير لم تصب بأضرار بليغة، لأن قوات القيادة المركزية استولت على الآبار المفخخة قبل أن يتلقى العراقيون الأوامر بتفجيرها".

ويقول أيضاً: "إن النظام والأمن والقانون الذي كان سائداً في عهد

١- سنأتي لاحقاً على دور النفط في فصل العراق أولاً.

صدام كله انهار، وإن كل الوزارات دمرت بفعل السلب والنهب باستثناء وزارة النفط، لأن القوات الأميركية تلقت الأوامر بحمايتها، وتضم هذه الوزارة أرشيفاً ووثائق حول حقول الشمال والجنوب"[١].

وكان الحلم الأمريكي في العراق حلماً كبيراً، وهو السيطرة على حقول النفط، وهذا لا يعني أن نحصر الرؤية الأمريكية في المنطقة على النفط فقط، ومتى ما حصرنا التواجد الأمريكي على دافع النفط فقط يكون قد فوتنا الكثير. فالتواجد الأمريكي أمر مرسوم ومخطط له من عهد بعيد ألا أنهم أذكياء في تماسكهم بالخطط والدراسات، فلهم سيناريوهات متعددة ومتنوعة أمام كل حركة كي لايتفاجأوا بين الفينة والأخرى، وأطماعهم ومقاصدهم كبيرة واللبيب تكفيه الإشارة.

يقول بريمر:" كان من بين أهم الأولويات بالنسبة لي، أن يعود إنتاج العراق النفطي والتصدير مرة أخرى. ولكن ذلك كان تحدياً كبيراً. وأبلغني مدير مصفاة الدورة المهندس الكفوء (وشار خشاب) أن هذه المصفاة بناها الأميركيون عام ١٩٥٥م ولم يتغير أو يرمم فيها شيء حتى الآن، أي أنها ظلت تعاني من الإهمال لأكثر من خمسين عاماً".

وفي موضع آخر يقول: "لكننا في الواقع، كنا نحتاج إلى ما هو أكثر من الشجاعة. فالنفط يمثل شريان الحياة للاقتصاد العراقي، وإذا لم يتدفق النفط، فإن الاقتصاد سيموت، ويمتلك العراق ثاني أكبر احتياطي من النفط في العالم، وتقدر احتياطاته بـ ١١٢ مليار برميل، وكان العراق ينتج ٢,٥ مليون برميل يومياً قبل الحرب، وتوقف الإنتاج تماما بعد التحرير، لأن العمال كانوا يخشون القدوم إلى أماكن العمل، ولم يكن العراق يصدر أي شيء من النفط لدى وصولي، الأمر الذي يعني أن

١- عام قضيته في العراق، ص٢٩.

الاقتصاد لا يمتلك أي عوائد".

ويقول (بريمر) حيث يفصل القول حول واقع الأسعار في العراق وخاصة المحروقات والطاقة: "في أحد الأيام بعـد عـودتي مـن زيـارتي لإحـدى مدارس بغداد، طلبت من (فيل كارول)، كـبير مستشـاري وزارة النفط الواصل حديثاً، زيارتي في المكتب. كان (فيل)، وهو رجل طويـل حاسـر الشعر يتحدث بلكنة أهل تكسـاس، مـديراً محترمـاً متقاعـداً في شـركة (شل) للنفط، وأصبحت أعتمد عليه كثيراً لتقديم النصـح بشـأن قطـاع النفط الحيوي. قلت: في طريق عودتي إلى القصر هذا الصباح، لاحظت يا (فيل) تزايد طول طوابير انتظـار تعبئـة البنـزين. طلبـت مـن القـوات العسكرية تقديم توصيات بشأن التعامل مع التهريب.

دعم الاقتصاد متفش في الاقتصاد بأكمله. وقد لفـت (مـاكفيرسـون) انتباهي في أحد اجتماعـات الهيئـة الصـباحية إلى أحـد أكثـر الأمثلـة الهدَّامة. قـال (بـيتر) متوضـحاً: "العراقيـون يـدفعون أسـعاراً رمزيَّـة للكهرباء. لكن في عهد صدام كـان نظـام الفـاتورة متقطعـاً في أحسـن الأحوال. كما أن الصناعة العراقية تدفع تكاليف غير اقتصـادية مقابـل الطاقة. على سبيل المثال، كانت مصانع الإسمنت لا تـدفع شـيئاً تقريبـاً نظير الكهرباء التي تستهلكها.

وقد سمح ذلك للمصانع طلب أسعار أدنى مـن سـعر السـوق مقابـل الإسمنت. وذلك بدوره يعني أن صناعة البناء تقوم علـى افـتراض زائـف بتدني تكلفة المواد، وهكذا دواليك في كافة الأنشطة الاقتصادية""[١].

يشيد (بريمر) على منهجهم ومقصدهم، بقولـه: "وشـددت علـى أن الاقتصاد يتقدم إلى أمام" عند القبض علـى صـدام حسـين. لمـاذا هـذا

١- عام قضيته في العراق، ص ٨٨ - ٩١.

الحرص الأمريكي على السيطرة على موارد النفط والغاز، يقول (فرانسيس بويل) مجيباً على هذا التساؤل[١]: "نعم الحادي عشر من سبتمبر استُخدم كذريعة لسياسة انتهجتها الولايات المتحدة لتقوم ما سماه أستاذي بالهيمنة في العالم، من أجل السيطرة على موارد النفط والغاز في العالم والذي وضعها الله تحت تصرف الشعوب العربية والإسلامية في معظم أجزائها، وأيضا للتخلص من أية معارضة في العالم، وهذا أمر خطير للغاية. التخطيط لسرقة حقول النفط العربية يعود إلى فترة عهد (كارتر) وما يسمى قوة التدخل السريع التي حاولوا إنشاءها، وكانت كردة فعل على المقاطعة العربية للنفط ضد أوروبا الولايات المتحدة في عام ١٩٧٣، وتضامنا مع الدول التي حاولت استرجاع أراضيها التي سرقتها إسرائيل التي تدعمها الولايات المتحدة، أنا أوثّق هذا في كتابي. هذه كانت سياسة استغرقت نحو ثلاثة عقود لتطوير القوات الجوية والعسكرية التي تسمى الآن بالقيادة المركزية والمعدات والتدريب لتنفيذ هذه المهمة، وهذا ليس محض مصادفة، هذه الحرب ضد أفغانستان وضد العراق كانت قيد التجهيز لفترة من الزمن، هناك خطة ونحن نرى القوات العسكرية الأمريكية وهي تمارس عملياتها في مختلف أنحاء العالم، وأيضا في محاولة للهيمنة على احتياطيات كبيرة من النفط والغاز أيضا في بلدان أخرى مثل جيبوتي وغيرها التي يجب أن يتدفق عبر أراضيها هذا النفط، إذاً المسألة ليست هي حاجة أمريكا من النفط والغاز بل قدرتها على التحكم على مستقبل اقتصاد العالم الذي يستند إلى النفط والغاز فالكل يحتاجهما".

١- البروفيسور فرانسيس بويل أستاذ القانون الدولي والعلاقات الدولية والعلوم السياسية في جامعة إلينوي في شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية، برنامج (بلا حدود).

يقول (اندرياس فون بولون): "لكن الخطط التي وضعت ودونت قبل الحادي عشر من سبتمبر بكثير، من ممثلي الإدارة الأمريكية المسؤولين، لا تتطرق لقلق الإدارة إزاء نقصان الديمقراطية في الشرق الأوسط، بقدر ما تصبو إلى توطيد سيادة أمريكية عالمية للقرن القادم، وكبح جماح[1] شعوب آسيا العملاقة، كالصين والهند، كذلك إعاقة نهوض قوة مضادة على القارتين الآسيوية والأوروبية، وفي النهاية، وضع اليد على مستودعات البترول، هذه المادة التي ستصبح نادرة، وذات مكانة استراتيجية كبيرة في المستقبل".

محاولات أمريكا للسيطرة على حقول النفط من ضمن استراتيجياتها القديمة، وهذا لا يعني استبعاد الدوافع الأخرى، حتى أن الدولة الاسرائيلية تحاول من خلال ما يعانيه العراق من الفوضى وعدم الاستقرار أن تثبت موضع قدمها، وخاصة السيطرة على النفط، وذلك مكسب اقتصادي وعسكري في آن واحد.

لا تكن ثالثاً فتهلك:

بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر قسمت الإدارة الأمريكية العالم إلى قسمين لا يجوز معها النقاش، وهو إما أن تكون مع القطب الأوحد أو ضده، إذ لا مجال لثالث فتهلك، ولم يكن هذا القرار اعتباطياً ولا ارتجالياً، وكما ذهب إليه المفكرون الغربيون كثيراً، كان هذا المضمون موجوداً ولكن بأسماء مختلفة كالخروج من الصف، أو نعتهم بأنهم أعداء

---

[1] - الـ (سي. آي. إيه) و١١ أيلول ٢٠٠١ والإرهاب العالمي ودور أجهزة الاستخبارات، ص١٨.

الديمقراطية...إلخ. ولكن بعد أحـداث الحـادي عشـر مـن سـبتمبر كانـت الأجواء مهيئة والأرضية خصبة لخروج (الغودزيلا) من محبسـها، وتفتـك بالناس - لأعذار واهية - إذ إن الأجواء على هذا الحيوان المنقرض غريبة وغير معتادة على رؤية الناس والتآلف معها، لذا من الطبيعي أن يثـور ويقتل ويدمر المدن كما عرض على شاشات السينما في فلم (الغودزيلا)، هكذا الأمريكان خلقوا لأنفسهم جـواً ويشـرعون لأنفسـهم قـوانين تحـت مسمَّيات شتى، وهم يخوضون الآن حرباً استباقية، والـتي تسـمى أيضـاً حرباً كونية..؟!

وأقول إن الأرضية كانت مهيئة، لأن أكثر دول العالم كانت مسـتعدة لقبول هذا التقسيم دون تردد. نعم كانت وقعة (الحادي عشر من سبتمبر) كبيرة ومؤذية ومؤلمة، إلا أن السـكوت عـن رد الفعـل الأمريكـي كـان أدهى وأمر، ولم يكن رد الفعل الأمريكي منحصراً على الشرق أو الدول الإسلامية، وإنما تجاوز على كثير من قيمهم الإنسانية، والتي بها تقام هذه الامبراطورية. يقول البروفيسـور فرانسـيس بويـل: "علينـا أن نفهـم أن معظم النظام العالمي الذي رأيناه يعود في تاريخه إلى فترة تأسيس منظمة الأمم المتحدة، وكل قواعد القـانون الـدولي والمؤسسـات الدوليـة الـتي تأسست تحت رعاية الأمم المتحدة والتي كانـت حـين ذاك فكـرة الـرئيس (فرانكلين روزفلت). الآن ما ترونه في ظـل حكـم (جـورج بـوش) الابـن والمحافظين الجدُد مـن البيروقـراطيين هـي محاولـة لتهـديم هـذا النظـام العالمي، وتقويض الأمم المتحدة، وعكـس بعـض أسـس القـانون الـدولي وحقوق الإنسان، وفي كتابي أقول: إن هذا مشـابه تمامـا لـذلك الوضـع الذي رآه العالم في منتصـف الثلاثينيـات عنـدما رأينـا هجومـا علـى عُصبة الأمم من قِبَل القوى الفاشية المهيمنة في ذلـك الوقـت وأرى مـا

نراه اليوم أيضا..."[١].

بعدما قسم العالم إلى قسمين كان من الطبيعي أن يكون العراق وأفغانستان ضمن الدول التي عليها دائرة السوء، ومحور الشر - على حد تعبيرهم – رغم أن هناك من يقول إن مشروع أو أجندة (غزو/ تحرير) أفغانستان والعراق مرسوم قبل أكثر من ثلاثة عقود[٢]، إذ إن هناك مشروع السيطرة على نفط بحر قزوين، وأيضاً مشروع نقل الأنابيب، ومشروع خط (تابلاين) النفطية...إلخ ناهيك عن دوافع أخرى دينية وسياسية واجتماعية وتاريخية و...إلخ.

ومن يقرأ الكتاب الذي نحن بصدده يرى أن هناك أجندة خفية تكمن وراء السطور، إذ إن السفير (بريمر) جعل من بعض صفحاته ككلمات متقاطعة، ومن بعض صفحاته كالكتابة الصينية تحتمل أبعاداً أربعة في القراءة.

فعندما أراد (بريمر) تعيين أو اختيار أحد القادة الكورد الشيوعيين في منصب عضو مجلس الحكم قام باختباره اختباراً غير مباشر، وعندما أجابه ذاك المرشح بأجوبةٍ لا توافق رغبات أو أجندة (بريمر) أقصاه عن ذلك المنصب، واختار الآخر، وهو (حميد مجيد موسى)، والعلة في ذلك كما يقول السفير (بريمر) ضمن كلماته المبهمة، لأنه حتى الآن يظن أن العالم في أيدي الشيوعيين وتحت قبضتهم، وثانياً عدم القناعة بمبدأ الاقتصاد الحر أو الخصخصة الأمريكية. يقول في ص١٢٦: "وهكذا في ٨ تموز/ يوليو، كنت في مكتب (ساوزر) في مواجهة (عزيز محمد) الأمين

---

١ - البروفيسور فرانسيس بويل أستاذ القانون الدولي والعلاقات الدولية والعلوم السياسية في جامعة إلينوي في شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية، برنامج (بلا حدود).

٢ - راجع كتاب العراق أولاً.

العام للحزب الشيوعي العراقي المتقاعد مؤخراً. كان كردياً في التاسعة والسبعين، وتبدو عليه آثار السنين ويشعر بها، وبعد وصف خططنا بشأن المجلس، سألته عما تعلمه من سقوط الشيوعية السوفياتية. استطرد (عزيز) في ردّه مستذكراً أن (برجنيف) كان يتسلم رسائل لا يقرؤها قط، ويرسل رسائل لا يكتبها البتة.

تركت ملاحظاته لديَّ انطباعاً مميزاً بأنه يعتقد أن (برجنيف) لا يزال يتولّى مقاليد الأمور في موسكو. ولم يكن لديَّ الشجاعة لأبلغه بأن (ليونيد) لم يكن بحال جيدة مؤخراً. وهكذا شطبنا (عزيز) من اللائحة.

ومن حسن الحظ أننا، أنا وساورز، أجرينا مقابلة مع بديل (عزيز) في قيادة الحزب، (حميد مجيد موسى). وكان رجلاً ربعاً نشيطاً في أواسط الأربعينيات من العمر يدرك بوضوح الحاجة إلى تشجيع القطاع الخاص في العراق. وأثبت (موسى)، وهو شيعي، أنه أحد أكثر أعضاء مجلس الحكم تأثيراً وشعبية".

وعند تشكيل مجلس الوزراء العراقي، يقول: "دعوت إلى أول اجتماع مع الوزراء العراقيين في ١٦/ أيلول بعد تهنئة الوزراء أخبرتهم أنني معجب بشجاعتهم وتفانيهم في إعادة بناء العراق. أنتم الآن مسؤولون عن اتخاذ القرارات اليومية التي تؤثر على حياة العراقيين في وزارتكم، ولديكم صلاحية كاملة في تحديد موازناتكم واختيار موظفيكم، لكنني نبهت إلى أن عليهم أن يعلموا كبار مستشاري سلطة الائتلاف المؤقتة مسبقاً بشأن مبادرات السياسات الكبرى المقترحة".

"أحببتم ذلك أم كرهتم – وليس من الممتع أن تكون خاضعاً للاحتلال، ويمكنني أن أضيف أو أن تكون المحتل - الائتلاف هو السلطة السيدة هنا"ص٢٠٥. أعتقد أن هذا النص يعرض حقيقة

مضمون وصلاحية الوزراء في العراق الجديد.

وفي مشهد آخر يقوم السفير (بريمر) بعـرض مرشـحه لمنصـب رئـيس الوزراء الجديد، جاء في كتابه: "وفي اليوم التالي، أتيت على ذكر اسمه في اجتماع هاتفي لمجلس الأمن القومي. في ذلك الاجتماع، انتقـل الـرئيس إلى صلب الموضوع كما كان يراه، من المهم أن يكون هناك شـخص علـى استعداد للوقوف وتقديم الشكر للشعب الأمريكـي علـى مـا قـدم مـن تضحيات في سبيل تحرير العراق. أنا لا أتوقـع أن نختـار رجـلاً يمالئنـا، ولكنني أريد شخصاً شاكراً لنا على الأقل. هل يرغب (الشهرستاني) في تولي المنصب؟ وهل سيدعمنا؟ وهل سيتحلى بالشجاعة الكافية؟"[1].

هذا هو بيت القصيد، هل الذي ينتخب يلائمنا ويستمع لما يُقال لـه، وهو قادر على تنفيذ ما يصدر منا؟ ينقل الكتاب عبـارة علـى لسـان (رامسفيلد) يقـول فيهـا: "يجـب أن يكـون لـدينا رئـيس وزراء صـلب كالصخر". بالتأكيد أجاب الرئيس علينـا أن نكـون متأكـدين مـن أن رئيس الوزراء الجديد لن يطلب منا الرحيل بعد يوم من نقل السيادة"[2].

وفي اختيار (علاوي) لمهامه الجديدة جاء في الكتاب: "أجاب الـرئيس حسناً، عليكما أن تذكرا الناس بأنـه لم يمـض سـوى سـنة واحـدة علـى التحرير. والتحول إلى الديمقراطية يتطلب بعض الوقت، وينبغـي علينـا أن نتحلى بالصبر - كلنا، الائتلاف والعراقيين. ولهذا السبب أنـا مهـتم بسماع بيانات موحدة من الحكومة العراقية الجديدة تدعم الائتلاف"[3].

طبعاً في هذه النصوص وغيرها تتضح للقارىء نقـاط مهمـة وردت في

---

١ - المصدر نفسه، ص٤٤٩

٢ - المصدر نفسه، ص٤٥١

٣ - المصدر نفسه، ص٤٥١

كتاب (بريمر) المذكور:

١- شروط الذين يُقبلون في إدارة العراق.

٢- أجندة التحالف أو المحررين.

٣- عقلية الرئيس الأمريكي.

٤- دور الاقتصاد الأمريكي في العراق الجديد.

٥- دور الآيديولوجيا في الواقع السياسي.

٦- أهمية صناعة التجارة الحرة في العراق.

٧- السخرية من بعض القادة العراقيين.

٨- استعمال الأمريكيين سياسة التخويف أمام الطوائف العراقية ومن ضمنهم الكورد.

٩- وصف بعض القادة بالازدواجية، واللعب على حبلين، وتدبير الأمور بالليل.

فالذين لم يذكر أسماؤهم أو أعمالهم في هذا الكتاب لا يعني أنهم متروكون، وإنما هناك أسرار أخرى بقيت خلف الكواليس، وستعرض في أيام موقوتة، وهي ستستعمل ضدهم في معارك قادمة تخاض، ولا أقصد بالمعارك الصواريخ والدبابات فقط، وإنما هناك معارك سياسية وآيديولوجية، ولا أحد يأمن من الحداثة والعولمة الأمريكية..!!

ملاحظات وانطباعات:

أعتقد أن كل من طالع كتاب (بريمر) يرى أنه حاول أن يهمش بعضهم ويسخر من بعضهم الآخر، ويهين آخرين، ولكني أرى أن كتابه دخل التاريخ كغيره من الكتب، ومع هذا لم أر رداً يماثله في الحجم وفي الاعتبار المعنوي، إذ كان من الواجب أن يصدر أعضاء مجلس الحكم

الذين كانوا هم المعنيون - نظراً لذكر أسمائهم - على تأليف كتاب رداً أو توضيحاً أو تعقيباً لأنهم هم الشهود، وكما قلت هم المعنيون بالدرجة الأولى، ومن ثم الشعب العراقي، ولكن مع الأسف لم أر سوى مقالات متفرقة، ومن كتاب كانوا ولا يزالون غائبين على الساحة السياسية، مع مقابلتين للدكتور (إياد علاوي) مع السيد (بحر العلوم).

قام (بريمر) بتوجيه انتقادات لاذعة ومغرضة إلى اشخاص ومؤسسات دون مراعاة لأي أحد، ومع هذا كما وصفه الذين كانوا معه أنه كان دكتاتوراً بحق، وقد تفرَّد في كثيرٍ من القرارات دون الرجوع إلى رأي أحد، وعندما كان يريد أن يعين شخصاً لعمل ما يقوم بتزكيته بنفسه، ويدافع عنه، ومع هذا لم يوجه إليه مباشرة أي اتهام حول هذه المسألة. يقول أ. د. حازم طالب مشتاق في مقال له بعنوان بريمر يفضح المتعاونين: "ويبقى بريمر مسؤولاً عمَّا يقول وما يكتب، صدقاً أو كذباً أو تهويناً أو تهويلاً"، فعندما يتحدَّثُ (بريمر) عن أعضاء مجلس الحكم "يسخر بريمر كون أعضاء المجلس الـ٢٥ كانوا دائما ما يختلفون حول كل القضايا صغيرها وكبيرها، إلا أن الاستثناء ظهر حينما حدث توافق بين الأعضاء عندما تعلق الأمر بموضوع المخصصات المالية للأعضاء، وتم إنجاز هذا الموضوع بتوافق غريب بين الأعضاء الذين لا يجمع بين أغلبيتهم أي توافق أيديولوجي أو عرقي.

وخصص المجلس لأعضائه مبلغ ٥٠ ألف دولار سنوياً بالإضافة إلى مخصصات لبنزين السيارات الخاصة بهم بلغت ٥ آلاف دولار شهرياً، هذا في حين كان يتقاضى الوزير في الحكومة العراقية المؤقتة مبلغ ٤٠٠٠$ شهرياً. وهذا ما استدعى (بريمر) لكي يتدخل ويوضح للأعضاء أن مخصصات المجلس تفوق مخصصات وزارة التعليم التي يعمل لديها أكثر من ٣٥ ألف عراقي، كذلك تدخل أحد مساعديه ليوضح للأعضاء أن

مخصصات البنزين تسمح لسياراتهم بالسير لمسافة ٥٠ ألف ميل شهريا..!!!."

يرى (بريمر) أنهم كانوا موفقين في اختيار المكان والزمان المناسب لتصفية الحسابات بينهم وبين الإرهابيين على حدِّ تعبيرهم، وهناك قيل وقال حول وقوع القوات الأمريكية في مستنقع العراق أو أفغانستان، وإنهم يريدون الهروب من العراق، لا أشك بأن هذه النظرة نظرة قاصرة لمجريات العالم على الصعيد الدولي والإقليمي، لأن قوات التحالف واستراتيجية الولايات المتحدة تحتم عليهم البقاء في العراق، لأنهم يؤكدون على اختيار ما هم يريدونه أن يسود ضمن الانبوب الانتخابي، ويشترطون أن يكون ممن لا يرضي الرحيل ولو كان عند الرحيل، وإنني معجب بالصيغة التي يقولونها عند الحديث عن رحيلهم، يقولون نذهب عندما يُطلب منا، وذلك عندما لا يكون هناك حاجة لبقائنا، فما دام هناك حاجة تلزمهم البقاء فعليهم البقاء تلبية لنداء الواجب الإنساني!!، "أثناء زيارة مفاجئة قام بها (توني بلير) رئيس الوزراء البريطاني إلى بغداد في الثاني والعشرين من مايو/ أيار، تعبيراً عن النصر، قال: إنه يتوقع أن تتسلّم القوات العراقية المسؤولية عن "أمن أراضيها" في قطاع كبير من البلاد بحلول نهاية هذا العام. ثم أضاف: "إن العنف هو الذي يضطرنا إلى البقاء هنا، والسلام هو الذي يسمح لنا بالرحيل" وأريد أن أطمئن القائلين بكل هذه الآراء أن انسحاب أو خروج أو رحيل سموه ما شئتم للقوات الأمريكية ضمن استراتيجية أمريكية في العراق أمر مرتبط بموعد مقرر عليه مسبقاً ضمن أجندة مدروسة، وليس هناك خيار الآن لذلك الخروج أو الرحيل، لأن الشرطين اللذين اشترطهما الأمريكان لخروجهم معدومان.

أولاً: ليس هناك من يريد أو يجرؤ على قول هذا.

ثانياً: وهناك أكثر من مبرر منطقي تفرض بقاءهم.

قالت وزيرة الخارجية البريطانية في تشرين الأول ٢٠٠٦م (مارغريت بيكيت): "إن القوات البريطانية ستظل بالعراق ما دامت هناك حكومة عراقية تطلب ذلك تفادياً لحالة عدم استقرار أكبر في حال أي انسحاب مفاجئ للجيش البريطاني من العراق. وحذرت وزيرة الخارجية البريطانية من أي انسحاب من العراق قبل أن تشعر الحكومة العراقية بالثقة في قدرتها على إدارة شؤون الأمن بنفسها، مشيرة إلى أن أي انسحاب قبل هذه اللحظة سيعني ترك الحكومة العراقية بلا وسائل لكبح التصاعد في العنف وبلا أدوات لفرض القانون".

قولوا ما شئتم ولا نسمع الا ما نشاء..!

(تزايد خطر الإرهاب بسبب التدخل الأجنبي في العراق) هذا المانشيت تصدر أو استحوذ على رقعة كبيرة من الخطابات والمقالات والصحف والمجلات العالمية والدولية والإقليمية وهي تؤيد هذه الرؤية "ففي استطلاع أجرته إذاعة الـ (BBC): الرأي العام العالمي، هل ضاعف التدخل العسكري الأميركي ـ البريطاني في العراق من التهديد الإرهابي في العالم؟ كان الجواب عن هذا السؤال بالنسبة لأغلبية السكان في (٣٣) بلداً هي "نعم". جاء هذا كنتيجة لاستطلاع قامت به إذاعة الـ(BBC) شمل ٣٥ بلداً في العالم.. وجاءت الآراء النيجيرية والمكسيكية لتؤكد بأغلبية وصلت إلى ٦٠٪ من السكان على أن التدخل الأجنبي في العراق ضاعف من تهديد الإرهاب مقابل ١٢٪ منهم يعتقدون بعكس ذلك و١٥٪ منهم، لم يمثل الأمر بالنسبة لهم أي شيء يذكر.

وكانت الآراء أكثر وضوحا في الصين إذ يعتقد ٨٥٪ من الأشخاص

المشاركين في الاستطلاع بأن تهديد الإرهاب هو وليد التدخل الأميركي ـ البريطاني في العراق، ووصلت النسبة في كوريا الجنوبية ٨٤٪ وفي مصر ٨٣٪، وتقاربت النسب في بعض الدول الأوروبية، فقد أيد ٨١٪ في إيطاليا و٨٠٪ في ألمانيا و٩٧٪ في اسبانيا الرأي الأول، واعتبروا أن تزايد تهديد الإرهاب جاء بسبب التدخل الأميركي ـ البريطاني في العراق بينما تقاسم ٧٧٪ من الأشخاص المشاركين في بريطانيا هذا الرآي ومثلهم ٧٥٪ من العراقيين، و٥٥٪ من الأميركان، وبلغت النسبة ٦٧٪ في فرنسا مقابل ٢٧٪ منهم حملوا رأيا معاكساً.

وحول السؤال عن النتائج والآثار المترتبة على التدخل الأجنبي في العراق جاءت الإجابة أن ٢٠ بلداً ومنها فرنسا، ستتخلص من تلك النتائج بعد انسحاب قواتها من العراق في الشهر المقبل مقابل ٩ دول اختارت رأياً معاكساً مع ذلك، قد تنقلب النتائج حول بقاء القوات الأجنبية بعد تشكيل الحكومة العراقية، وفي هذه الحالة، لن يبقى أمامنا إلا (١١) بلداً يفضل أغلبية سكانها مغادرة القوات الأجنبية العراق. العراقيون بدورهم، انقسموا أيضا ففضل ٤٩٪ منهم بقاء القوات الأجنبية في بلادهم، بينما يرى البقية بأن عليها أن تغادر مبكراً. وكشف الاستطلاع أيضا بأن (٥٦٪) من البريطانيين و(٥٨٪) من الأميركان يؤيدون بقاء قواتهم في العراق. أما في فرنسا فقد أيد ٣٤٪ بقاء القوات حتى وصول البلد إلى مرحلة الاستقرار، وكان ٥٦٪ من الخاضعين للسؤال مع وجوب مغادرتها حالاً.

وأخيراً فقد كانت النتائج الأكثر دهشة، تلك المتعلقة بخلع صدام حسين، ففي ثلثي الدول التي شملها الاستطلاع والتي بلغ عددها ٢١ بلداً، رأى أغلبية المشاركين في الاستطلاع أن الإطاحة بصدام حسن، كان قراراً خاطئاً، فقد كانت النسب في أوروبا متقاربة ما بين ٦٥٪ لإسبانيا، و

٦١٪ لألمانيا و٥٠٪ لفرنسا مقابل ٣٢٪ منهم رأوا في خلع صدام قراراً صائباً، وشمل هذا الرأي (١١) بلداً وجدت في إزاحة الدكتاتور السابق فائدة كبيرة، وكان أولها العراق الذي بلغت النسبة فيه ٧٤٪ إضافة إلى ٦٠٪ في الولايات المتحدة و٤٩٪ في بريطانيا".

سذاجة عنتر:

عندما تسنم بوش الابن الرئاسة الأمريكية بعث رئيس النظام البائد برقية تهنئة إلى الرئيس الأمريكي المنتخب. هذا، فمن السذاجة النظر إلى أمريكا بنظرة شرقية حيث يتواجد القائد الأعلى والزعيم الأوحد والبطل الكاريزمي، لأن الغرب يتبنى ومنذ زمن بعيد النظام المؤسساتي، حيث التخطيط والأجندة والمشاريع المبرمجة هو المهيمن فيه، وإنني لا أنكر دور الفرد في حياة أي مجتمع أو دولة، ولكن يبقى نظام المؤسسات والتخطيط هي المهيمنة على مسار هذه الدولة، ومن يتابع المراحل التي جاء بها الغرب إلى العالم الاسلامي يرى ما نقوله في غاية الوضوح والبيان، لأن للغرب عقلية تختلف عما تعودنا عليه في عالمنا حيث الفرد أو العائلة هي من تصنع التاريخ وتبني وهي - إذا أرادت - تدمر وتهدم كما رأينا بأم أعيننا ما حدث في العراق، وستبقى السياسة الأمريكية في المنطقة كما كانت عليه مع مراعاة ما طرأ على الاستراتيجية من تقدم وإنجاز وتغييرات وقتية. وعندما دونت رأيي حول هذا الكتاب طالعت الإنترنت فوقع بصري على تصريح للوزيرة الخارجية البريطانية في ١١\١١\٢٠٠٦م تؤيد رأيي هذا، قالت وزيرة الخارجية البريطانية (مارغريت بيكيت): "إنها لا تتوقع أي تغيير كبير في السياسة الأميركية في العراق في أعقاب فوز الديمقراطيين في الانتخابات التشريعية، وإنما إعادة تقييم لتلك السياسة". وأرى أن تعبيرها أدق

تعبير للمرحلة القادمة.

ويبقى سؤال مهم ملح ويفرض نفسه، وهو هل أرادت أمريكا فعلاً أن تجتث المقاومة والنظام البعثي في العراق، وخاصة هي المبرر الأول لبقائهم فيه، لأن مؤسسة (راند) نبهت (بريمر) كما أبلغ (بريمر) سادته بها أن قوات التحالف في العراق تحتاج إلى أعداد أخرى للسيطرة على الوضع، ألا أن مطالبه أهملت رغم علم الرئيس الأمريكي، ووزيرة الخارجية، ووزير الدفاع بالأمر. يقول (بريمر): إن الجيش العراقي كان مُنْحَلاً قبل أن نقوم نحن بتفكيكه، لأنهم بعد أن رأوا فلول الجيش يباد ويدمر بدأ البقية بالرجوع إلى أهليهم وذويهم.

ألا أنهم أرادوا أن ينشطوا هذا الجيش لصالحهم باستخدامهم ضدهم، وذلك بوسائل متعددة ومختلفة كالتجويع والإهانة والترغيب والترهيب، والمجتمع مقسم بطبيعة الحال إلى عناصر متنوعة، فهناك من يغير على أهله ولا يرضى الهوان، كالذين نشطوا في المعتقلات، وذلك حسب ما رأينا وسمعنا، ومنهم من هتك عرضه بطريقة أخرى، ومنهم من يحب المال، ويحملُ نفساً ذليلةً بين جنباته، يقتل وينهب من أجل المال، ومنهم من استدرج إلى حيث لا يعلم، ومنهم كان معداً من قبل لخوض هذه المعركة من قبل النظام السابق كما كشفته الصحف الأمريكية إذ إن النظام كان قد أعدَّ عناصر وقوات مجهزة لخوض ما يُسمى بالمقاومة المنظمة.

وإنني هنا سمعت رأيين أولاً: إن الولايات المتحدة الأمريكية أخطأت في حساباتها إذ لم تحسب للأمر كما ينبغي له، ثانياً: إن الولايات المتحدة كانت قاصدة لما يجري في العراق لتجييش الفتن، وإشعال الفتنة الطائفية، حتى في اللقاء الذي أجرته (جيزيل الخوري) في برنامجها (بالعربي) على قناة (العربية) الفضائية مع الرئيس (جلال الطالباني)، فقد لخصت

المذيعة هاتين الرؤيتين في أسئلتها للرئيس العراقي.

- كانت ضمن الأجندة الأمريكية مسألة تنمية الاقتصاد العراقي، والذي تحدث عنه السفير (بريمر)، وقد تحدثت عنه في موضعه ألا أن العتاب والنصيحة هنا موجهة إلى القادة العراقيين من العرب والكورد والسنة والشيعة إذا كان هذا هو المشروع الأمريكي للعراق، وذلك وفق تصوراتهم وأجندتهم، ولكم هذا لا يعني استسلامنا لهم لا سيَّما إذا كان هذا الاستسلام يمسُّ الشعب في صميمه ومعاشه حيث الأزمة أو الأزمات داخل كل بيت وفي كل شارع، وقد ساهم مشروعهم الاقتصادي في استشراء الفساد في كل مرافق الحياة، حتى أصبح سمة من سمات الوزارات المتعاقبة.

- وقد استطاع (بريمر) أن يسيطر على الوضع الإداري ويتفرد بقراراته الموصوفة بالدكتاتورية. نشرت مفكرة الإسلام في ١٤٢٤/٤/٨هـ: "عين الحاكم المدني الأمريكي للعراق (بول بريمر) أمريكياً لإدارة مصرف (الرشيد) ثاني أكبر المصارف العراقية بعد مصرف الرافدين الحكومي".

وأوضحت أنباءٌ صحفيَّة أن الأمريكي (ريكس) كُلف بإدارة هذا المصرف خلفاً لمديره العراقي السابق (فائق العبيدي) الذي أقيل من منصبه بسبب اتهامه بالانتماء إلى حزب البعث كما عين لـ(ريكس) ثلاثة نواب يتولون معه إدارة المصرف الذي يمتلك ١٦٠ فرعاً في أنحاء العراق. وأضافت هذه الأنباء أن (ريكس) يعد أول أمريكي يتولى إدارة مؤسسة عراقية حكومية"، وكانت النتيجة فقدان نحو تسعة مليارات دولار.

وأكد تقرير رسمي أعده المفتش العام لإعادة الإعمار - والذي حلَّ

لاحقاً في العراق - الحقوقي (ستيوارت باون) ونقلته مجلة "التـايم" أفـاد أن سلطة الائتلاف فقدت نحو تسعة مليارات دولار كانت مخصصة لإعـادة إعمار العراق.

وقالت المجلة إن السلطة تركت "مبالغ كبيرة من أصل ٨,٨ مليـار دولار الخاصـة بالخزانـة العراقيـة مُعرَّضـة لعمليـاتِ احتيـال ورشـاوى واختلاس". وانتقد التقرير إدارة (بريمر) لإهمالهـا في قطـاع المحاسـبة، والتقصير في الشفافية. وأكد (باون) مثلا أنه يمكن التأكد من أن مبالغ سددت لـ٦٠٢ شخصاً على لائحة بالنفقات تضم ٨٢٠٦ أسماء في غياب أي وثيقة تثبت دفع أجور الآخرين. وتابع أن السلطة سمحت أيضاً بصـرف مبالغ لـ١٤٧١ حارساً لكن تبين أن ٦٤٢ من هـؤلاء فقـط موجـودون. وتضمن التقرير مثالا آخر، مشيراً إلى أن سلطة الائتلاف سمحت لمسـؤولين عراقيين بتأخير الإعلان عن ٢,٥ مليار دولار تلقتها الحكومة الموقتة من أموال برنامج "النفط مقابل الغذاء".

وقالت المجلة إن (بول بريمـر) الـذي قلـده الـرئيس (جـورج بـوش) الوسام الرئاسي للحرية، كتب "ردا قاسياً مـن ثمـاني صـفحات" علـى نتائج التقرير الذي أعده (باون)، وأدان الأخطاء فيه، ووصـفه بافتقـاده إلى الدقة. وقال (بريمر) إن: "تقرير المفتش العام يؤكد أن سلطة الائتلاف كان عليها احترام معايير الشفافية في الميزانيـة، الـتي لا يمكـن حتـى في الدول الغربية التي تعيش بسلام وتكن احترامها. وأضاف إن "هذه المعايير غير واقعيَّة نظراً للوضع الذي كانت فيه سلطة الائتلاف".

وطلب النائبان الـديمقراطيان (هنـري واكسـمان)، و(تـوم لانتـوس) الاستماع إلى رئيس سلطة الائتلاف الموقتة السابقة في العراق (بول بريمر) والحقوقي الذي أعدَّ تقريراً يتحدَّثُ عن فقدان نحو تسـعة مليـارات دولار في العراق. وطلب (واكسمان) و(لانتوس) في رسالة مفتوحة عقد جلسات

استماع في إطار هـذه القضـية، موضـحين أن لجنـة الإصـلاح الحكـومـي "مسـؤولةٌ عَـنِ التحقيـق والاسـتماع لافـادات المسـؤولين الحكـوميين الأميركيين المتهمين بقضايا من هذا النوع". كما طالبا بتوضيحات حـول تاريخ نشر هذا التقرير الذي انتظر حتى غداة الاقتراع في العـراق. وكـان صندوق تنمية العراق أنشئ بالقرار ١٤٨٣ لمجلس الأمن الـدولي الـذي سمح لسلطة الائتلاف بإدارة العائدات النفطية للعراق وأموال أخرى".

نقل شبكة كربلاء عن السيد (محمد بحر العلـوم) العضـو السـابق في مجلس الحكم العراقي المنحل حول مصروفات بريمر: "قام بسرقة أكثر مـن ٢٥٠ مليار دولار من أموال العراق، وبلغ أيضاً عن: "سرقات أمريكيـة وعمليات نهب منظم لأموال العراق جرت بشكل سري وتحت أغطية رسمية وغير مشروعة قادها الحاكم المدني السابق للعراق (بول بريمر). وقال أيضاً :"إن السرقات تمت من خلال مسؤولين أمريكيين تولوا مناصب رسمية في العراق بعد سقوط نظامـه السـابق، مُوَضِّحاً أن الحـاكم المـدني للعـراق السفير (بول بريمر) الذي انتهت ولايته بعد تسليم السلطة للعراقيين قـام بسرقة أكثر من ٢٠ مليار دولار من أموال العراق ممثلة بأرصـدة نقديـة وكميات كبيرة من الزئبق وغيرها من الموجـودات. ويـتهم الـدكتور بحـر العلوم أن بريمر تصرف في أموال العراق، وأبرم اتفاقيـات بـدون الرجـوع إلى مجلس الحكم وغيره من الأعمال تعتبر انتهاكـاً لسـيادة العـراق". وفي الختام أرجو من جميع العراقيين كـورداً وعربـاً أن يقـرأوا هـذا الكتـاب، ولكن بعين نافذة دون الغرق فيه، لأن الذي كتب فيه ليس كل ما وقع في أرض الواقع، وليس كلها أحداثاً حقيقية، لذا فإني أعتـبر هـذا الكتـاب نوعاً من الأجندة السياسية، ونمطاً من مشروع توسعي، وما خفـي كـان أعظم.

سياسة التجارة بالحريات..!!

قد طال بنا الحديث حول الحرية ولا تـزال الألسـن طريـة بهـا، إلا أن الواقع له حكمه وأثره على القرار والممارسة والسلوك، وفي هذا العقد من الزمان وفي خضم الحديث عن الحريَّات، واستقلال الشعوب المضطهدة، وحق تقرير مصيرها، وما تحملها الرسالة الأمريكيـة للشـعوب المغلوبـة علـى أمرها، كان من المفترض أن تكون الأمور جاريـةً في هـذا المجـرى، وقـد ذهب أسامة القفاش في مقالـه (أمريكـا وسياسـة التغـيير) إلى أنـه في ١٩١٧م دخلت الولايات المتحدة الحرب إلى جانب دول الحلفاء ضد الألمان والنمساويين والأتراك تحت شعار (نقاط ويلسون) الراميـة إلى مـنح حـق تقريـر المصـير للشـعوب والقوميـات الـتي كانـت تحـت سـيطرة هـذه الإمبراطوريات القديمة. ومنذ ذلك التاريخ، يتوالى التدخل الأمريكـي في دول العالم كله تحت شعار "الـدفاع عـن الديمقراطيـة". وقـد ازداد هـذا التدخل بشكل واضح بعد الحـرب العالميـة الثانيـة، ومـع انقسـام العـالم "لدول الستار الحديدي"، أو الكتلـة الشـيوعية، "ودول العـالم الحـر" أو الكتلـة الرأسماليـة" وتحـت شـعار "درء الخطـر الشـيوعي"، أو "نظريـة الـدومينو" الـتي تهـدف إلى منـع تسـاقط الـدول المختلفـة في بـراثن الشيوعية. تزايد التدخل الأمريكي في كل أنحاء العالم، بدءًا مـن كوريـا عام ١٩٥١م ثم إيران ١٩٥٤م ثم فيتنام ١٩٦٤م وكذلك الهند الصـينية ١٩٧٠م. وكان لعالمنا الإسلامي حظه الوافر من هذه التدخلات، وأصـبح مسرحاً لحسابات العملية الغربيَّة، بغض النظر عـن المسـمَّيات، فـالغرب يبرر تدخله في حياتنا السياسية بحجة تغيير السلطات الاستبداديَّة، ولكـن عمله لا يدلُّ على أقواله إن لم يخالفها، ومثال على ذلك أنـه قبـل أكثـر من عام أعلن حركة الإصلاح التي يتزعمها الدكتور سـعد الفقيـه عـن مسيرة سلمية مناهضة لسياسات الحكومـة السـعودية، وذلـك بأسـلوب

مدني على حدٍّ تعبير الغرب، وكان الإعلان عبر قناة الإصلاح الفضائية، وقد تابعتُ سير الأحداث بكثافة عبر الفضائيات ووسائل الإعلام الأخرى لأرى مدى قوة الحركات الإصلاحية في الشرق وأثرها على شعوبها، ومن خلال متابعتي رأيت خبرين متعارضين. أحدهما جاء عبر قناة الاصلاح ومفاده إن جمعاً غفيراً شارك في المسيرة، وقد تم القبض على ما يقارب ألف شخص، أما بالنسبة للإعلام المقابل فقد بث خبراً على النقيض من الأول، إذ هوّن الأمر وقلل من شأنه، مؤكداً أن الذين شاركوا في المسيرة كانوا قلة محدودة من الناس، ولم يلق القبض إلا على أشخاص معينين، على كل حال يبقى الخبر موضع شك يحتاج إلى توثيق، ولكن ليس هذا هو بيت القصيد، إنما بيت القصيد فيه أن حامل رسالة الحرية والديمقراطية جعل تلك الحركة في قائمة الإرهاب، وأيَّدت ذلك الحكومة البريطانية في اليوم التالي، وأغلقت الفضائية وحظرت الحركة. إنها معادلة لا يفهمها كثير من الناس، ويتجاهلها البقية الباقية من الناس، هذا من جانب ومن جانب آخر كان هناك تعتيم إعلامي حول هذه المسألة، وكما يقول المثل (هنا حفرنا وهنا طمرنا) وبالتالي تم وأد الحركة في مهدها، وقد تم فتح القناة مرَّة أخرى، وليست لدينا معلومات وافية حول هذه الحركة، ولكن يبقى السؤال وارداً ومحيراً للبعض لماذا هذا التعتيم والإقصاء..؟!

والقصة كما أرى هي عبارة عن صفقة بين الجانب السعودي والأمريكي، لأن المعادلة لا تقبل غير ذلك، فالتنظير الذي ينظر لها أمريكا هو عبارة عن توطيد أركان هيمنته، والحفاظ على مصالحه في المنطقة.

وما يحدث الآن في تايوان، فإن الصين هددت تايوان باستخدام الجيش إذا سولت لها نفسها أن تعلن عن استقلاليتها، وقد سكت الشارع التجاري!! عن إبداءِ أي إعتراض عن الموقف الصيني في زمن الحريات

المحتكرة، وفي الشيشان التجارة في أوج قوتها وفاعليتها إذ المعادلات جارية في مجراها التوافقي بين أصحاب المتاجرين بالقارات وناهبي الخيرات.

هل هناك حرب دينية أو (حرب مقدَّسة)..؟!

هناك أنباء متضاربة بين أبناء الأرض الواحد حول الدوافع الحقيقية وراء رغبات الغرب في الشرق هل هي دينية أو اقتصادية أو إنسانية أو... أو... وقد قرأنا كتباً حول هذا الجدل، ومن أروعها كتاب لمؤلفه حمدان حمدان (على أعتاب الألفية الثالثة)، وهو يتحدث فيه - كما هو مكتوب على غلافه - عن (الجذور المذهبية لحضانة الغرب وأمريكا لإسرائيل) فالكاتب هنا يسلك مسلكاً حديثاً غربياً نوعاً ما في قراءة واقع الغرب، ودمجه مع تاريخه، وكذلك ربط جميع جوانب الأحداث بصورة جميلة ومنسقة، ومن كبرى جماليته هو عدم إهمال أي جانب من جوانب الحياة الإنسانية كالاقتصاد، والتربية، وأثر البيئة على صياغة وتكوين العقول، وهو في عرضه يستند إلى مصادر وتواريخ تهتم بالأحداث وملابساتها، وأرى فيه أنه سلك نهج المفكر (جارودي) في كتبه، وخاصة كتابه (أمريكا طليعة الانحطاط)، وقراءةُ كتبٍ كهذا ليس بالأمر الهين لاتساع مساحة حركة الحدث، فمثلاً يبدأ الكاتب بتصوير فاعلية وأثر (المطبعة) على المسيرة التاريخية وأول ما تم طبعه، ونتساءل لماذا كان الإنتاج الأول للمطبعة هو (العهد القديم)، وكان سفر المزامير أول كتاب صدر في أمريكا، وأول مجلة صدرت كانت باسم (اليهودي)، وأول دكتوراه منحتها جامعة هارفارد في العام ١٦٤٢ كانت بعنوان (اللغة العبرية هي اللغة الأم)..؟! لا شك أن هذه أسئلة وجيهة رغم أن الإجابة عنها واضحة للعيان.

إن الكاتب يبدأ طرحه عن أثر المطبعة وظلام الأديرة ونسخ الكتب. إن مما لا شك فيه أن (صناعة المطبعة) كانت انطلاقة ونقلة في مجال التدوين والتأليف والقراءة، وذكر الأديرة يوحي الجمود والتزمت، ويتحوَّلُ الكاتب إلى الحروب الأوروبية، ومن ثم إلى سيرة الملوك وإلى مسائل لاهوتية حساسة ومعقدة، ويرجع إلى الحركات الإصلاحيَّة، وبروز كوادر لاهوتية وسياسية في حياة المجتمعات الأوروبية، وربط النبوات التوراتية بعقيدة رؤساء أمريكا السابقين والمعاصرين والكتاب والشعراء والعلماء وغيرهم، والكتاب اقترب إلى واقع حال الأوروبيين من التركيبة الدينيَّة والاجتماعيَّة والنفسيَّة، حيث نرى نوعاً من التخبط والفوضى في معتقداتهم فمثلاً يورد كلمة أحد اللاهوتيين حيث يقول: "لقد أصابنا الضر جرَّاء دمج الإنجيل بالتوراة" وينقل أيضاً[١] "وقد وقف أوغسطين شيخ الكنيسة الكاثوليكية[٢] الأول، موقفاً مجازياً لا حرفياً في تأويل التوراة، وهذه التفسيرات المجازية هي التي أصبحت الأسلوب الرسمي للتفسير التوراتي كما وضعته الكنيسة الكاثوليكية الرومانية منذ أوغسطين، فوطن اليهود في أرض التوراة، كان للعبرانيين القدامى من أنبياء الله لا لقتلة المسيح من اليهود اللاحقين، فالله طرد اليهود من فلسطين إلى منفاهم في بابل عقاباً على الإثم الفظيع الذي ارتكبوه بحق المسيح مخلص الإنسانيَّة، وعندما أنكر اليهود أن عيسى هو نفسه المسيح

---

[١]- الجذور المذهبية لحضانة الغرب وأمريكا لإسرائيل: ص٢٥.

[٢]- المسيحية الكاثوليكية: هي أكبر طوائف الدين المسيحي. يقع مركزها في مدينة الفاتيكان، مقر البابا. يتواجد أتباعها في كثير من دول العالم، وخاصة في جنوب أوروبا وأمريكا اللاتينية. من الطوائف المسيحية الكاثوليكية: كنيسة الروم الكاثوليك، كنيسة السريان الكاثوليك، الكنيسة المارونية، الكنيسة الكلدانية الكاثوليكية، الكنيسة الكاثوليكية القبطية، كنيسة الأرمن الكاثوليك، كنيسة اللاتين في القدس.

المنتظر، نفاهم الله ثانية على يد روما، وانتهى ما يُسمى الأمة اليهودية إلى الأبد، لذلك فإنه في الكاثوليكية، ليس لليهود أي مستقبل جماعي في أرض فلسطين، أما خلاصهم الروحي فلا يكون الا بالارتداد إلى المسيحية. وبخصوص النبوءات المتصلة بعودة اليهود إلى فلسطين، فقد فسرت المدرسة الأوغسطينية الحدث على أنه جرى وانتهى"، وينقل عن هيلاري بولوك "بأن الله إذا ما اختار اليهودي لأمر ما فإنه للعنة"، وينقل الكاتب أدلة كثيرة عن موقف الأوروبيين من اليهود، وقد يشاركه في هذا الرأي أناسٌ كثيرون، حتى أن (هرتزل) مؤسس الحركة الصهيونية لديه القناعة نفسها إزاء اليهود، وفي لفتة يفسر الكاتب سبب دعم الغرب لليهود وفق دراسة أجراها في كتابه على أن لهذا الدعم أو الاحتضان - على حد تعبيره - خلفيات دينية مستمدة من العهدين القديم والجديد "[1].

بعد احتلال بيروت عام ١٩٨٢م اعتبر الحاخام ايلعازر فالدمان، بأن عملية الخلاص تتقدَّم. صفق ستمائة وثلاثون حاجاً من الإنجيليين الأمريكيين لمحاضرة وزير الدفاع الاسرائيلي (موشي أرينز) عندما قال بأن نجاح العملية العسكرية في لبنان هو حدث من أحداث النبوءات العظيمة لإسرائيل والعالم الحرّ، وقد وصف أحد الحضور (الكاتبة غريس هالسل) بأن الحجاج الأمريكيين صفقوا ١٨ مرَّة، وكانوا يضربون الأرض بأقدامهم صائحين (آمين/ هلوليا). ويضيف الأستاذ جورجي كنعان في كتابه (الأصولية المسيحيَّة، ص١٢٩): "عندها سألت غريس هالسل صديقها الإنجيلي جورج من تكساس، كيف يمكننا التصفيق للغزو وتذبح الأبرياء؟ أجاب: إن غزو لبنان من إرادة الله، إنها حرب مُقدَّسة، إن حدث لبنان بالغ الأهمية كونه يؤكد النبوءة التوراتية، إن ذلك يعني

---

[1] - الجذور المذهبية لحضانة الغرب وأمريكا لإسرائيل: ٢٦.

انـا نقترب من هرمجدون". وهرمجدون هذه، سهل يقع إلى الشرق من عكـا شمال فلسطين، وقد اشتهر هذا السهل، نتيجة لورود اسمه في نبوءة حزقيال القائلة بنهاية الزمان في هذا السهل.

وقد تناول الغرب هذا الحدث الآتي المستقبلي في كثير من أدبيـاتهم، وكذا هناك أفلام تحمل هذا الاسم أو تتطرق إليـه في السـياق الـدرامي، وهناك أيضاً استعدادات لهذه الحـرب القادمـة حسـب الرؤيـة التوراتيـة والتي يؤمن بها الكثير من الإنجيليين الأمـريكيين، وقبلـهم البريطـانيون وليس بالضرورة أن يكون هذا التبني أو هذا الاعتقـاد نـابع مـن قلـب مؤمن بل قد يكون هذا الاسم بمثابة رأس مال بالنسبة للأغنيـاء وتجـار القارات والشعوب، وقد يكون صفقة سياسية، فالـدوافع متباينـة إلا أن الهدف واحد، فمثلاً يستشهد الكاتب بموقف الملـك هنـري[1] "لقـد ظـل هنري حتى آخر أيامه يمسك عصاه الغليظة من منتصفها فهو تارة، يحرق اللوثريين لهرطقتهم، وأخرى يشنق الكاثوليك لخيـانتهم، حيـث العـرض فوق الجميع". وكما يقول: "إن قضايا اللاهوت كانت تنتصر أو تنهزم في أرض المذابح لا في أرض القناعة والحوار"[2]. نعم قد يكـون هـذه الرؤيـة للحفاظ على العرش أو الكسب أو... أو... ولكن علينا أن لا نتجاهل أنه كان هناك رؤساء يعتنقون هذه العقيدة داخل قلوبهم وضمائرهم الدينية. "ويؤكد الرئيس الأمريكي الأسبق (رونالد ريغـان) إيمانـه المطلـق بهـذه النبوءة. فعندما سأله (جيمس ميلـز) رئـيس مجلـس الشـيوخ في ولايـة كاليفورنيا حول نبوءات الكتاب المقدس، أكد (ريغان) حازماً أن الفصل ٣٨. سفر حزقيال ينص"[3] على أن أرض إسرائيل ستتعرَّضُ لهجومٍ تشنه

---

[1] - الجذور المذهبية لحضانة الغرب وأمريكا لإسرائيل، ص٣٧.

[2] - المرجع نفسه، ص٣٩.

[3] - المصدر نفسه، ص٤٦.

جيوش الأمم الكافرة بما فيها ليبيا طبعاً" ويضيف (ريغان) "إن تحول ليبيا إلى الشيوعية يشير بأن هرمجدون بات قريباً" وعندما قاطعه (ميلز) بقوله: "لكن الحبشة داخلة في النبوءة، ولا أستطيع أن أرى الامبراطور هيلا سيلاسي أسد يهوذا، شيوعياً ليخوض الحرب ضد شعب المختار"، رد (ريغان) بعصبيَّة "لذلك يجب أن تتحوَّل أثيوبيا إلى الشيوعية تحقيقاً للنبوءة". وبعد ثلاث سنوات صدقت نبوءة (ريغان) في هيلامريام الماركس في أثيوبيا فكتب (ميلز): "لعلَّ (ريغان) سيكون ممتناً لرؤية التحقيق الواقعي لتحول أثيوبيا ومجيء المسيح".

لقد طفق ريغان منذ أن كان حاكماً لولاية كاليفورنيا إلى أن بات رئيساً للولايات المتحدة "هل نحن الجيل الذي سيشهد هرمجدون النووية؟!".

وفي الصفحة نفسها "يشير اندرو لانغ أشهر المعلقين السياسيين في الولايات المتحدة، أن "اعتقاد الرئيس شخصياً بأن الله قدَّر حرباً نووية مسبقاً، يثير عدداً من الأسئلة التي تبعث الرعب في النفس، والرعشة في البدن. فهل يؤمن رئيس (دهري) حقاً بجدوى مفاوضات لنزع الأسلحة النووية ؟ وهل سيكون مثل هذا الرئيس منزوياً وعاقلاً في حال نشوب أزمة نووية ؟ أم سيكون متلهفاً للضغط على الزر النووي..!؟ وهو يشعر في أعماق نفسه أنه يساعد الرب في تنفيذ خطته التوراتية المقرر مسبقاً لنهاية الزمان"..!!.

عند قراءتي لهذا الكتاب راودتني أحاسيس ومشاعر غريبة أمام هؤلاء العقلانيين! رغم أن الغربيين كانوا على دراية وعلم أن اليهود ليسوا أهلاً للثقة والمساعدة، ولكن على حدٍّ قناعتهم أصبح الأمر مرهوناً بتنبؤات الكتاب المقدس وليس في اليد حيلة..! يقول (شافتسبري): "يظهر أنه من السهل أن نقتلع اليهود في الغيتو، ولكنه

ليس من السهل أن نقتلع الغيتو من اليهود". وقد استشهد أيضاً في الصفحة نفسها بقول شافستبري: "وقد استخلص شافستبري من عناد يهود بلاده، وقد عبَّر على طريقة لوثر اليائس ليسوا أهلاً للخلاص لكنهم عنصر حيوي في أمل المسيحية بالخلاص، بالرغم أنهم متعجرفون، سود القلوب ومنغمسون في الانحطاط الخلقي والعناد والجهل بالإنجيل".

هنا يتبن أن اليهود لم يكونوا مرغوبين بالعودة إلى أرض الميعاد لأسباب عقائدية، لأن "اليهود كانوا يعتقدون بأن الرجوع إلى فلسطين بدون (مسيا) كفر وضلال إلا أن المسيحيين هم أرادوا ذلك"[١]. والمسيحيون يرون وخاصة الانجلوساكسونين أن عودة اليهود إلى أرض فلسطين بادرة أو مقدمة لرجوع عيسى.

الرجوع إلى أرض الميعاد..!

كما قلنا يستشهد الكاتب بأقوال الكثير من اليهود وحتى الكتب المقدسة لليهود لا يجوز العودة إلى أرض الميعاد إلا بعد أن يأتي (مسيا) المخلص، ولكن اعتقاد المسيحيين بعودةِ المسيح إلى أرض فلسطين لن يأتي إلا بعد عودة اليهود أو بني اسرئيل إلى فلسطين، وتمكينهم هناك، ففي النظرة اليهودية أن (المسي) لم يأتِ إلى الآن، وأمَّا عند المسيحيين فإن عيسى هو (المسي)، وقد جاء وبلغ رسالته، وأما المسيحيُّون فينتظرون عودة المسيح وليس بعثته، واليهود ينتظرون المسيح ليجمع شملهم ويلم شتاتهم، والمسيحيون ينتظرون رجوعه وهو لا يرجع إلا بعد أن يتمكّن بنو إسرائيل من دخول الأرض المقدَّسة والتمكين فيها، وليس من العدل أن نفسر جميع الأحداث وفق تفسيراتٍ دينيَّة عقائدية، لأن هناك أموراً كثيرة مرتبطة أو كامنة داخل الكينونة الإنسانيَّة، وليس من السهل

١- الجذور المذهبية لحضانة الغرب وأمريكا لإسرائيل، ص٧٩.

الاطلاع عليها، لأن قضية اليهود مرتبطة بعناصر مُتعددّة، فاليهودُ مثلاً يتمثلون الآن عناصر متعددة في التركيب الوجودي، فهم قوم وعقيدة وسياسة واقتصاد، فهذه العناصر متداخلة وليس من الحكمة تبعيض هذه الأشياء عند اليهود فيهود مثل (روتشيل) وحتى هيرتزل رغم أنهم من اليهود الأقحاح إلا أنهم كانوا يتاجرون في المواد التي تعتبر في شريعتهم مُحرَّمة، كـ(الحرير، وأكل لحم الخنزير، والمتاجرة فيه...إلخ)، فهناك تداخل بين هذه العناصر، وقد تكون هناك عناصر أخرى فعّالة في الحياة اليهوديَّة، ولكننا نرى أن عنصر التكوين عند المسلمين لا يتضمَّن عنصر القومية، وإنما التجمع والوجود قائمٌ على أساسِ العقيدة، رغم احترام الإسلام واهتمامه بالأقوام، باعتبارهم آيةً من آياتِ الله، ولكن وجود المسلمين غير قائم بها، ونرى أن الاقتصاد يمثلُ عصب الحياة المهم، ولكن لا يرتفع إلى مستوى العقيدة، أو الإيمان بالله ورسوله، ولكن اليهود عند تمسكهم بهذه العناصر الأربعة، فهم لا يفصلون واحدة عن الأُخرى، فهم مرابون ومقامرون، ومحتكرون، وهم في الوقت نفسه يعملون لإقامةِ دولتهم، والحفاظ على خصائصهم القوميَّة، كما فعلوا في الـ(غيتو)، والتزاوج بينهم، وكذلك التمسك ببعض شعائرهم التلمودية، كدم فطيرة صهيون، والقرابين وغيرها من الشعائر.

وكذا عودتهم إلى أرض الميعاد له أكثر من مسوغ فقد جاء في كتاب الجذور المذهبيّة لحضانة الغرب وأمريكا لإسرائيل:[١] "إن الإنكليز كانوا أكثر حماسة من اليهود لتأسيسِ دولةِ اليهود في فلسطين، وبناء معبد سليمان، وأن صهيونتهم هي التي انتشلت حركة الصهيون من هامشيتها، وجعلت منها قوة عالميَّة.

وبالفعل، فإن الصهيونيَّة ظلت حتى منتصف القرن التاسع عشر،

١- الجذور المذهبية لحضانة الغرب وأمريكا لإسرائيل، ص٧٨.

استراتيجيَّةً إنكليزيَّة، ومن الجانب العقائدي لم يكن هناك أي دور لليهـود فيها، فقد كان أولئك الذين اختاروا مناصرة الشعب اليهـودي وحقـه في العودة إلى أرض التوراة، يؤمنون بما لا يؤمن به اليهود أنفسـهم، ففيمـا كان يؤمن اليهود بأن العودة دون إشارة مـن السـماء (هبـوط المسـي)، مسألة تندرج في عداد الكفر والضلال، كان المسيحيون المتهـودون (ربمـا بفعل تطور علوم الكيمياء) قد توصلوا إلى إمكانيَّةِ مـزج إرادة السـماء بإرادة الأرض، على أن (المسي) يمكن أن يؤجل هبوطه إلى ما بعد قيـام الدولـة اليهوديَّـة في فلسـطين، أو يؤجـل هبوطـه إلى موعـد لاحـق في السماء..! ولم تكن هذه النظريَّة الساخرة، بعيدة عن الإيمان الـذي يعتقـد بالنبوءات، فقد أتاحت مدرسة التأويلات البروتستانتية، مجالات شخصيَّة واسعة، لوضع النبوءات والتوقيتات والأحداث والأماكن والشـعوب.. في محل اجتهاداتٍ تفسيريَّة أدَّت فيما أدَّت إلى انقسام البروتستانتية نفسـها، فإذا كان من الصحيح، أن البروتستانتية تؤمن بحرفيَّةِ التوراة، إضافة الى عصمتها، ألا أنها لم تستطع أن تضمن جماعيـة التفسـير لهـذه الحرفيـة، ولعلَّ الأسباب أكثر من أن تعد وتحصى، فما هو حـرفي في مـدلول لغـة ما، قد لا يكون حرفياً بذاته في لغة أُخرى، وحتى أهل التـوراة أنفسـهم، فإنهم هاموا طويلاً بين الملل والنحل التوراتيَّة، ولعلَّ بعض اليهود حتـى يومنا هـذا، لا يؤمنـون إلا بشـريعة موسـى، دون الشـرائع الإضـافيَّة الأُخرى.

ولعلَّ القس وليم هشلر (١٨٤٥- ١٩٣١) الذي وضع نفسه في خدمة استراتيجيَّة النبوءات التوراتيَّة، يُعَدُّ النمـوذج الأفضـل لإنجيلـيّ يفهـمُ التوراةَ على هواه، وقبل النظر في أهمية هـذا القـس بالنسـبة لتـاريخ الحركة الصهيونية، وما نذر نفسه في سبيل إنجاحها قبل هرتزل بسنوات، فإننا نمعن النظر في مدى تأثير مدرسة التأويـل اليهوديـة في مسـيحيَّة

(هشلر)، حين راح يُطبق حسابات تنبؤيَّة على رؤيا يوحنا.

وكربطٍ بين الدين أو التنبوءات في العهدين (القديم والجديد) جاء في كتاب (شيكينة) أمور متشابكة، عنوان هـذا الكتـاب (العـراق أولاً حرب إسرائيل الخاطفة على نفط الشرق الأوسط) (عملية شيكنة) مـن تأليف (جو فيالز) ترجمة (مروان سعد الدين) تـاريخ النشـر ٢٠٠٣م، ومعرفة تاريخ طبع هذا الكتاب مهم جداً للقارئ، لأن فيه أمور حـدثت قبل طبع هذا الكتاب. يدور هذا الكتاب حول محاور مهمة على الساحة السياسيَّة، والاقتصاديَّة أو بالأحرى السيطرة على النفط، ونلخص فكرة هذا الكتاب في "أنَّ فكرة سرقة المخزون النِّفطـيِّ لشـعبٍ آخـر ليسـت ابتكاراً إسـرائيليَّاً، بـل رُبَّمـا تعـود إلى عـام ١٩٤١م، عنـدما فـرض (رُوزفلت) حظراً كاملاً على تزويد اليابان بالنِّفط خلال (الحـرب علـى الإرهـاب الأمريكيَّـة الأُولى)، ويـأتي هـذا الكتـاب ليفضـح عمليَّـة (شيكنة) التي خطَّطت لها (إسـرائيل) لتُسـيطر علـى نفـط العـراق، وَسَعَتْ لتحقيقها، لولا الهجمات على مركز التِّجارة العـالمي في أيلـول ٢٠٠١م، وذلك بعد أنْ عقـدت (إسـرائيل) العـزم علـى شـنِّ اعتـداء مُباغت على جنوب العراق، لإحكـام السَّـيطرة علـى حُقُولـه النّفطيَّـة الجنوبيَّة، ومن ثَمَّ استخدام خطِّ أنابيب نقل النّفط العَرَبيِّ الموجود سابقاً (التّابلاين) لضخِّ النّفط إلى مصافيها في حيفا، كمـا يُوضِّـح الكاتـب الأمريكيُّ بأنّه مـن أجـلِ تنفيـذ هـذا المُخطَّـط سَـعَتْ (إسـرائيلُ) إلى التّسلُّل إلى جنوب العراق وشمال السُّعُوديَّة، وكيف مَنَحَتْ بعض المُسلمين الشّيعة - دُون أنْ يدروا بأنَّ (إسرائيل) وراء هذا التّخطيط - ممرَّاً مجَّانيَّاً إلى بُلدان أُخرى، بعيداً عن عدوُّهم (صـدَّام حُسـين)، ويُـبرز الأمريكـي (فيالز) كيف تمَّ التّخطيط لما سُمِّي بعمليَّة (حُرِّيَّة العراق)، وهي الجُـزء الثّاني من عمليَّة "شيكنة "، وكيف سيتمُّ قَطْعُ رأس (صـدَّام حُسـين)،

وتعيين (جي غارنر) الذي هُو عُضو في المعهد اليهُوديّ لشُؤُون الأمـن القوميّ، ليكون حاكماً عسكريًّاً للعراق، ثُمَّ سيأتي دور (أحمد الجلبـي) كإداري مُؤقّت للعراق، علـى أنْ يـتمَّ - فيمـا بَعْـدُ - إبـدال الـرّئيس السُّوريّ (بشّار الأسد) بالأخ الأصغر لأحمد الجّلبـي، وإذا رفضت سُـوريَّة هذا، فإنَّه سيجري تدميرها وإعادتها إلى العصر الحجريّ، ولكنْ، لم تسـر الأُمُور كما خُطّط لها...، وهناك تفاصيل دقيقة ومُثيرة وسرِّيَّة يكشـفها الكاتب الأمريكيُّ (جُو فيالز) في ثنايا هذا الكتـاب المُـدعَّم بالصُّـور والخرائط اللاَّزمة. ومع هذا ارتأينـا مـن بـاب الاطـلاع والمعرفـة علـى مـاجريات الأمـور الظـاهرة والباطنـة قَـدْر الإمكـان أن نعـرض هـذا الكتاب، كتكملةٍ لمشروعنا في هذا الكتاب الذي نحنُ بصددِ تأليفه.

وقد يكون هذا الكتاب بحدِّ ذاتهِ تمويهاً وتشويهاً للحقائق، وقد يكون مقدمة لتخطيط قادم حيث يطفحُ بالاتهامات من قبل كثير من الناس، وقد تكون حقيقة ضاعت في كنف المبهمات.

أولاً: نبدأ بتعريف كلمة شيكنة "فالشيكنة: معناها الحـرفي مكـان الإقامة، روح الله، وهي تنطبق بظهورِ الله على مسرح هذا العـالم عنـدما يسكن هو نفسـه في أبعـد مكـان في السـماء وبالطريقـة نفسها التي تميز الشمسُ بأشعتها أنحاء الأرض.

والشيخينا كذلك هو: النور الإلهي يشعرنا بوجوده في كل مكـان من الأرض، ويوصف الشيخينا أيضا بأنه النور، وقد شُرحت هـذه العبارة في التوراة كالتالي: تتلألأ الأرض من مجده "فإذاً تمجد إله إسرائيل قد أتى من طريق الشرق، وصوته كصوت ميـاهٍ غزيـرة، والأرض قد تـتلألأُ مـن مجده"(سـفر حزقيـال ٤٣، ٢) إنـه وجـه شيخينا "رأى نور الله"، و"ليمنحـك نـور شـيخينا"، و"يُضـيء الرب بوجههِ عليك، ويرحمك". تلـك التفاسـير المعطـاة للمباركـة

الكهنوتية قد جاءت في سفر العدد (٦: ٢٥).

ثانياً: وفي تعريف (خط انبوب تابلاين) نرى أنه في "في العام ١٩٤٦م كان هناك خطان من أنابيب النفط يصبان في مصفاة (حيفا)، الأول بقطر عشر بوصات من العراق رأساً إلى (حيفا)، والثاني بقطر (١٦) بوصة من العراق إلى (حيفا)، ويمر بالأردن، وتم الإعداد لمدِّ خطٍ ثالث بقطر (٢٠) بوصة من البحرين عبر السعودية إلى (حيفا)، أُطلق عليه اسم "تابلاين". وكان التخطيط يرمي إلى تسديد ضربة عسكرية مفاجئة تضع تلك الخطوط ومنابعها تحت قبضة إسرائيل، بحيث تقوم بفرض الرسوم والاتاوات على نفط الكويت والسعودية والعراق، لكن إقدام اليهود على قتل ضباط بريطانيين وعرب أوجب أن يكون هناك من يطلق صفارة الإنذار، وينبه الدول الكبرى ومنها بريطانيا إلى تلك الطموحات المخيفة. كانت الخطة تقضي بمرور خط الأنابيب الجديد في شمال فلسطين، ولكن قيام دولة إسرائيل فرض تحويل الخط ليمر داخل الأراضي السورية، في هضبة الجولان، إلا أن إعراض البرلمان السوري على مشاريع (التابلاين) آنذاك أغرى الاستخبارات الأمريكية على التدخل لإعداد انقلاب (حسني الزعيم) الذي وقع على الاتفاقية بعد أيام من تسلمه السلطة. وفي العام ١٩٦٧م شنت إسرائيل "حرب بيرل هاربر" الخاصة بها، وضمَّت سيناء والقسم الأكبر من الجولان. وبينما ركّزت أنظار الدول الكبرى على الجانب العسكري وعواقبه السياسية كانت إسرائيل قد وضعت يدها على خط الأنابيب، ولم ينتبه أحد إلى أن ذلك الجزء من خط الأنابيب أصبح في قبضة اسرائيل، وهذا من الجانب الخفي من حقائق الحرب، وكل مشكلات الشرق

الأوسط. ثم اكتشفت السلطات الأردنية أن ما طوله (٥٠) كيلومتراً من أنابيب النفط قد قطع إلى جهة مجهولة هي قطعاً ليس الأردن ولا سوريا أو مصر أو فلسطين. وليس من الصعب معرفة المستفيد. فتلك الخمسين كيلو متراً من الأنابيب تطوي المسافة الممتدة من طرف الخط في (الجولان) إلى (حيفا)، وذلك عندما تقرِّرُ إسرائيل تحويل النفط، بتحقيقِ خِطة (شيكنة)، وتنجحُ في السيطرة على منابع النفط العربية. على الخط نفسه وللأسباب نفسها تخطط إسرائيل لهجوم مباغت على جنوب العراق للاستيلاء على آبار النفط، ومباشرة ضخِّ النفط إلى مصفاتها في (حيفا)".

وقد جاء في الكتاب نفسه[1] أنه "في مطلع شهر آذار من العام ٢٠٠١م، تلقت وكالة استخبارات أوروبية رئيسة أخباراً من أكثر عملائها موثوقية في تل أبيب. اجتمع مجلس الوزراء الإسرائيلي لمناقشة الخيارات المحدودة المتوفرة لديه للمضي قدما في الخطط الإسرائيليّة الرامية إلى ضمِّ باقي الأراضي الفلسطينيّة مع أو بدون دعم الحليف الرئيسي أمريكا، وما قد يترتب على ذلك. كما وبحث المجلس عن مصدر بديل للنفط بحيث يكون هذا المصدر مجانيَّاً. وبالعودة إلى الستينيَّات من القرن الماضي، حيث وضع إسرائيليون طموحون خططاً مفصلة للاستيلاء بالقوة على مصدر بديل للنفط، ولكن كان لا بد من وضع تلك الخطط على الرفِّ لأسبابٍ جيوسياسيَّة، حيث كان للبريطانيين والروس والأوروبيين استثمارات ضخمة في الشرق الأوسط، مما يعني توقع ردود أفعال سلبيَّة غاضبة ضد إسرائيل، وربما بداية النهاية لاستمرار الدولة اليهودية في فلسطين. وعلى هذا الأساس تم وضع هذه

١- العراق أولاً.. حرب إسرائيل الخاطفة على نفط الشرق الأوسط، ص٩-١٠.

الخطة على الرف ليأكلها الغبار. هذه القيود الجيوسياسية لم تعد موجودة في العام ٢٠٠١م، لذلك تم فتح هذه الملفات بعد نفض الغبار عنها وإعادة تسميتها "عملية شيكنة".

نستعرض في هذا القسم حقائق أخرى طرحت في الكتاب، وهي على جانب كبير من الأهمية، وتحتاج إلى بعض الدقة والتروي في استقرائها، ومنها[١] أن "مجلس الوزراء الإسرائيلي قدَّرَ أن المخاطر الناجمة عن عملية (شيكنة) منخفضة أو لا وجود لها في حال تم تنفيذها بالشكل الصحيح، وقد ساهم الوضع الجديد في العراق في تغيير الاحتمالات. ففي نهاية عقد الثمانينيَّات وخلال عقد التسعينيَّات، أنفق النظام العالمي الجديد ووسائل الإعلام ملايين الدولارات في تصوير الرئيس العراقي (صدام حسين) على أنه شيطان العصر. إلى الدرجة التي أضحى يعدُّ من قبل ٩٥٪ من الرأي العام الغربي "سفاح بغداد"، ولم يكن (صدام حسين) - فقط - تلك الشخصية الشريرة التي تحاول تصنيع أسلحة الدمار الشامل كما هي صورته لدى أولئك القابعين في أمريكا، ولكنه - كذلك - الطاغية الذي "سمم شعبه الكردي في حلبجة".

ويذكر الكاتب أيضاً في الصفحة نفسها "لم يكن الرئيس (صدام حسين) من قام بمثل هذا العمل في شباط من العام ١٩٩٠م، وقد أصدرت الكلية الحربية الأمريكية تقريراً بعنوان "القوة العراقية وأمن الولايات المتحدة في الشرق الأوسط"، والذي أثبت أن الكورد في حلبجة ماتوا - كنتيجة مباشرة - لهجوم إيراني بغاز الفسجين (غاز سام)، له رائحة العشب المحصود حديثاً. لكن الإعلام الغربي، الواقع في قبضة اللوبي اليهودي - الأمريكي، لم يكن ليسمح للحقيقة بالظهور في حملته المسعورة لتشويه صورة النظام العراقي. وفي ضوء الصورة الشيطانيَّة

١- العراق أولاً.. حرب إسرائيل الخاطفة على نفط الشرق الأوسط، ص١٣.

الجديدة لصدام حسين، وعلى هذا الأساس استنتج المجتمعون في مجلس الوزراء الإسرائيلي في آذار ٢٠٠١م، بأنه ما من أحد سيُعارض قيام إسرائيل بعملٍ عنيف ضد مجرم الحرب المعروف وقاتل الأطفال. وبدلاً من ذلك أظهرت التقديرات أن الرأي العام الغربي سينظر إلى هذا العمل على أنه جسور"، وعندما طالعت هذا الكتاب أشفقت على شعوبنا، التي لا تدري ما نحن فيه ومما يحاك حولنا من مؤامرات وبيع وشراء، كثيراً ما أؤكد لزملائي في موقع العمل يا ترى كم مرة نباع ونشترى يومياً بأيدي (تجار القارات)، ولأكثر من ١٥ عام لا يزال يتاجر بنا الساسة والكتاب، نعم. فبعد أن أُدين النظام العراقي بقصف حلبجة، نرى اليوم يقوم هذا الكاتب بتبرئة صدام.

وذكر الكاتب أيضاً أنه "وقبل إطلاق عملية (شيكنة)، تحتاجُ إسرائيل إلى أشخاص عرب مناصرين لها على الأرض في منطقتي: شمال العربية السعودية، وجنوب العراق. ولذلك كان لا بُد من رسم أو تجديد الخطط التفصيلية لتلك المناطق، ولا بد من تحديد نقاط الهبوط والتجمع للطائرات الإسرائيلية المهاجمة، واتخاذ الترتيبات اللازمة للقوات الأرضية."[1]، وعملية (شيكنة) تعدُّ مورداً مهماً لإسرائيل لتمويل دولة اليهود لخوض معركته الفاصلة والنهائية ضد الشعوب المسخرة لليهود.

ويذهب الكاتب بالقول إلى أنه: "وبحلول منتصف نيسان عام ٢٠٠١م، كانت العملية التمهيدية قد جرت بسرعة، وبدأت أسراب من المسلمين الشيعة تغادر - بهدوء - المنطقة إلى أمريكا، وأوروبا، واستراليا، مكلفين الإسرائيليين مبالغ طائلة. وكانت عمليات تهريب شعب بكامله مكلفة للغاية، بالإضافة إلى تكاليف الإعلانات الخاصة

١ -العراق أولاً.. حرب إسرائيل الخاطفة على نفط الشرق الأوسط، ص١٤.

بالمهاجرين والنفقات الأخرى. مرة أخرى - وعن قصد - هبت أمريكا للنجدة. من خلال بيوتات مالية معينة في مركز التجارة العالمي، والتي قامت بعمليات غسل للأموال الضخمة التي استخدمت في العملية، وبتوافق مع هذا النشاط بدأ اللوبي اليهودي - الأمريكي يحث البيت الأبيض ووزارة الخارجية الأمريكية بقوة على تفعيل تنفيذ مناطق "حظر الطيران" غير القانونية أصلاً فوق شمال وجنوب العراق. وتظهر السجلات بأنه قد جرت فعلاً زيادة الهجمات خلال تلك الفترة، مع العلم أن الطيارين الأمريكيين والبريطانيين لم يكونوا يعلمون بأنه يجري استغلالهم لتعمية الدفاعات الجوية العراقية، والتأكد من بقائها عمياء خدمة لعملية "شيكنة" الإسرائيلية. وهكذا عندما يتم إعلان الهجوم الإسرائيلي في نهاية المطاف لا توجد أدنى فرصة بأن يتم اكتشافه من قبل بغداد قبل فوات الأوان"[١].

ويشير الكاتب إلى أنه لا يمكن التغاضي عن التأثير العالمي لعملية (شيكنة). فالسماح لإسرائيل بالتمركز في جنوب العراق، وسرقة نفطه، وبالتالي تجنيبها أي عقوبات سيكون عملاً غير مسؤول. ولن تكون إسرائيل الجديدة قادرة فقط على تهديد باقي الدول العربية بشكل مباشر، وإنما ستكون قادرة على تهديد أوروبا وجميع الدول غير المنتجة للنفط بشكل غير مباشر.

ويشير إلى أن العربية السعودية، المضيفة عن غير قصد منها لعملية (شيكنة) والرافضة لها، سيجري تقويض قوتها بثبات وتأن. ففي الوقت الذي تكون فيه الطائرات الإسرائيلية المهاجمة تضرب أهدافها في جنوب العراق، ستكون العربية السعودية خائفة للغاية من فقدان السيطرة على حقولها النفطية كلها، وبالتالي لن تتخذ أي إجراء

---

١ -العراق أولاً.. حرب إسرائيل الخاطفة على نفط الشرق الأوسط، ص١٥- ١٦.

دفاعي شمال البلاد. كما سيتم استخدام التهديدات المبطنة عن العلاقـة المزعومة بين القاعدة والسعودية كسـبب للقيـام بهـذه الهجمـات. ولأن الكويت والبحرين مضمونتان ضمنيّاً، فإن الأخطار الرئيسة على عملية (شيكنة) تأتي نظريّاً من الأردنيين والسوريين. وبالنتيجة دعـت الخطـة إلى اقتطاع مساحة واسعة من الأراضي الأردنية ليتم إلحاقها بإسـرائيل، وهو ما يعدُّ تسلية اليهود المفضلة. لكن ذلك كان سيصـطدم بالمقاومـة الشديدة من قبل الشعب الأردني.

ويرى الكاتب بأن سـوريا تمتلـكُ تاريخـاً طـويلاً مـن الصـراع مـع إسرائيل في كل المجالات، لن تسمح بأن يتمَّ حشـرها في الزاويـة بهـذه السهولة. وأكثر من ذلك فهي تمتلكُ حدوداً إلى جـوار النهايـة الغربيـة لخطِّ (التابلاين). ولتعزيز هذه الحدود بالذات، والتقليـل مـن المخـاطر، خططت إسرائيل لتوسيع بعض حقول الألغام القريبة منها باتجاه الشرق، في محاولة لإبعـاد القـوات المسـلحة السـورية. وسيقوم التفـوق الجـويِّ الإسرائيليِّ بالتكفل بكل ذلك.

ويرى الكاتبُ أن سببَ تأخيرِ أو إفشالِ هذا المخطط يعود إلى أحداث الحادي عشر من سبتمبر، حيث يقول: "تسارعت وتيرة التخطيط لعملية (شيكنة) في صيف العام ٢٠٠١م، وتم تحديد موعد ثابـت للغـزو في ٢ تشرين الأول ٢٠٠١م، وهو اليوم الأول من إحدى العطل اليهودية، التي تستمر لسبعة أيام، وبالتالي أكثـر التـواريخ اسـتبعاداً لتوقـع هجـوم إسرائيلي. ثم كالقادم من العدم تم تـدمير مركـز الصـهاينة المـالي في نيويورك وسوي بـالأرض في ١١ أيلـول ٢٠٠١م. هـذا مـا بـدل مخطـط العملية الإسرائيليَّة الذي كان يتصور القيام بضربة مفاجئة على جنوب العراق، يتبعها الاستيلاء على احتياطيات النفط، وإعـادة ضـخها إلى (حيفا) عبر خط (التابلاين). وهكذا مع بداية نيسان عام ٢٠٠٢م، تمت

برمجة (جورج دبليو بوش) للبدءِ بمهاجمة الطاغية (صدام حسين)، والمطالبة بتدمير أسلحة الدمار الشامل المزعومة، وتقديم حافز أمريكي شرعي لعملية "حرية العراق"[١].

يرى الكاتب أن اسرائيل توقع رداً أمريكيّاً على هجوم إسرائيل على العراق إلا أنها خططت أيضاً لذلك الرد. يبدو أن إمكانية التدخل العسكري من قبل الولايات المتحدة الأمريكية قد أزعجت وزير الخارجية الإسرائيلي، لكن عملية تقييم المخاطر المحتملة أنقذت الموقف، وهدأت من مخاوفه، لأنه، ورغم إمكانية تدمير بضع طائرات حربية أمريكية موجودة في الكويت، إما على الأرض أو في الجو، فقد تم التقدير بأن ذلك لن يكون مشكلة بالاعتبارات الفنية أو للعلاقات العامة. تقنياً، فإن الطائرات الإسرائيلية مزودة بأنظمة تحكم بالنيران أكثر تطوراً بكثير مما لمثيلاتها الأمريكية، ويمكن الاعتماد عليها في إسقاط المقاتلات الأمريكيَّة بسرعة، وبأقل الإرباكات. وفيما له صلة بالعلاقات العامة، فإن (إسرائيل) ستدَّعي - لاحقاً - بأن ذلك كان نتيجة "اشتباه بالهوية"، مثيرة جدلاً محدوداً في واشنطن، ومن ثم سيتم رمي المسألة كلها جانباً. ومن جهة أُخرى، ناقش مجلس الوزراء الإسرائيلي سابقة مشابهة في هذا المجال، ألا وهي الهجوم على المدمرة الأمريكية "يو إس إس ليبرتي".

في ٨ حزيران من عام ١٩٦٧م خلال حرب الأيام الستة بين (إسرائيل) والبلاد العربية، هاجمت طائرات وزوارق طوربيد إسرائيليَّة سفينة الاستخبارات الأمريكية المنزوعة السلاح "يو إس إس ليبرتي" لمدة (٧٥) دقيقة. مات نتيجة الهجوم (٣٤) شخصاً، وجرح (١٧٢). وعلى الرغم من الحقيقة المثبتة أن "يو إس إس ليبرتي" كانت بعيدة

---

١ - العراق أولاً.. حرب إسرائيل الخاطفة على نفط الشرق الأوسط، ص١٩.

عن الشواطئ في المياه الدولية، وتحمل علماً أمريكياً واضحاً وساطعاً، ألا أن (إسرائيل) أصرَّت أن المسألة برمتها كانت عبارة عن اشتباه بالهوية، وهو ما لم يكن صحيحاً إطلاقاً. فقد هاجمت (إسرائيل) "يو إس إس ليبرتي" في محاولة لمنع سفينة الاستخبارات الأمريكية من تقديم معلومات عن الضربات الإسرائيليَّة إلى البنتاغون (وزارة الدفاع الأمريكية).

عمل اللوبي اليهودي - الأمريكي في "واشنطن" - بقوة - لاحتواء الأمر، لدرجة أن جريمة قتل (٣٤) جندياً أمريكيا على السفينة "يو إس إس ليبرتي" المنزوعة السلاح مرَّت مرور الكرام على الرأي العام، فيما كانت أجهزة الإعلام صامتة - تماماً - على هذا الأمر .

ورغم منح قائد "ليبرتي" الكابتن "ويليام لورين مكغونكل" ميدالية الشرف من الكونغرس لاحقاً لشجاعته اللافتة للنظر وجسارته في المخاطرة بحياته وفاءً بنداء الواجب، إلا أن تلك الميدالية قدّمت له - بصمت - في "ساحة البحرية في واشنطن"، وليس في البيت الأبيض كما جرت العادة. وقد سمح السياسيون الأمريكيون لهذا الأمر بالمرور لتفادي إحراج قتلة البحارة الأمريكيين الـ(٣٤). لهذا فإن مجلس الوزراء الإسرائيلي على دراية كاملة بأن أي "ضرر" في العلاقات مع الولايات المتحدة خلال عملية "شيكنة" يمكن إصلاحه فيما بعد.

ويُحدِّد الكاتب بأن المسلمين الذين ساعدوا إسرائيل هم من الشيعة في مطلع حزيران عام ٢٠٠١م، وتحوَّل تقاطُر المهاجرين الشيعة للخروج من شمال السعودية وجنوب العراق إلى فيضان، مما استرعى انتباه جاهزي استخبارات أوروبيين على الأقل. ولأسبابٍ غير معروفة، لكنها على ما يبدو في السياق نفسه، ادّعى كل الشعية - وبتصلب - أنهم من الأفغان، وهو ما لم يكن حركة ذكية منهم.

يتكلم الأفغان الفارسية، لكن أولئك الناس لم يكن بمقدورهم النّبس بشفة منها، مما أثار الدهشة، إذ إن العربية هي اللغة الأم في شمال العربية السعودية وجنوب العراق.

في ذلك الوقت، ساور روسيا[1] القلق من العملية الإسرائيلية الجارية،

١- وهنا أود أن أشير إلى دور روسيا في المعادلة الدولية، فهناك إشارات ودلالات نسبية شائعة بين المجتمعات البشرية، وهي تتغير من مجتمع إلى آخر، حسب التقاليد والأعراف، ويسمى ذلك في الدين الإسلامي بالطيرة، وفي العصر الحديث بالتشاؤمية، فصوت البومة مثلاً غير مرغوب فيه عند المجتمع الكردي، لأنه لا يبشر بالخير، وهكذا الغراب والثعلب عند بعض المجتمعات الأخرى.

وإنني أمعنت النظر في تحركات روسيا عند الأزمات السياسية، سواء كانت الأفغانية أو العراقية أو الصربية وغيرها، قد لا أتذكرها كلها الآن، وكانت العواقب معلومة للعيان، فكلما تحركت الدبلوماسية الروسية عند أزمة ما - لا أراها موفقة في تحركها حيال الأزمة وذلك لأسباب - باءت تحركاتها بالفشل، وسحب دعمها بتبريرات وحجج واهية قد لا ترضي قاصراً.

فروسيا تثور وتغضب في بداية الأمر حيث تتفاعل وزارتها الخارجية، وتنطلق في جولات مكوكيَّة، وفي النهاية تواجه محاولاتها احباطاً غير متوقع..! وإنني أفسر هذه الحركات في النقاط الآتية:

١. إن كيان روسيا المعاصر هو فتات من بقايا الاتحاد السوفياتي المنحل.
٢. وقد انتقلت إليها جميع هذه العوارض كمضاعفات جانبية، وكبقايا المرض الذي أدَّى إلى انهيار هذا الاتحاد.
٣. ولا نشك أن جميع أشلائه أصيبت بشلل مميت، وهذا أمر طبيعي يصيب كل امبراطورية بعد السقوط.
٤. وحتى يفك عن نفسه هذا الشلل والإحباط يقوم بحركات ولو جزئية، وذلك كعلاج طبيعي، كالإنسان إذا أصابه شلل بسبب انفجار في دماغه، فروسيا بعد سقوطها إلى الآن تمارس هذا العلاج الطبيعي.
٥. جميع حركات روسيا الدبلوماسية حتى الآن تنم عن محاولات لإثبات نفسها ككيان حي على الساحة الدوليَّة، هذا من جانب، ومن جانب آخر تريد أن تستفيد مالياً وسياسياً من هذه الأزمات ضاربة عرض الحائط القيم والمبادىء.

على الرغم من أنه لا يعلم - لغاية الآن - فيما إذا كانت تلك المعلومات قد تسرّبت إليها من جهاز استخبارات أوروبي، أو أنها حصلت عليها مباشرة من أحد عملائها في "تل أبيب".

ويُشير الكتاب إلى أن الأمور قد جرت بانسيابيَّة وصمت لبضعة أسابيع، حتى ١٢ تموز، عندما قدّمت صحيفة (البرافدا) الروسية، والتي ما زال يعدها الكثيرون صوت الحرس القديم للشيوعيين الذين يتحكمون بالجيش ووكالات الاستخبارات، على صدر صفحتها الأولى قصة بعنوان: هل سيسقط الدولار وأمريكا في ١٩ آب..؟!! لـ"د.تاتيانا كورياجينا". هل كانت روسيا تستخدم رأي هذه الخبيرة، وبالتالي، تقدم تاريخاً مغلوطاً، لكي تبعد نفسها عن التورط في هجمات ١١ أيلول على مركز التجارة العالمي، بغية الحصول على المعنى الحقيقي لأهمية النفط بالنسبة (لإسرائيل)، ولا بد من العودة بالذاكرة عبر التاريخ، إلى وقت كانت السماء فيه مضاءة - دائما - بوميض طلقات المدفعية والقنابل المتفجّرة، حيث الأمم حول الكوكب تتصارع في الحرب العالمية الثانية، لكن، فيما تصارع الطرفان مع بعضهما البعض، كانت تدور معركة ثالثة منفصلة خلف الستار.

وفيما قاتل الأمريكيون والبريطانيون وحلفاؤهم بشراسة، وماتوا

---

٦. وعندما تتحرَّكُ الدبلوماسيَّة الروسيَّة وفق هذه النقاط المذكورة يتجسد أمامي مشهد كثيراً ما نراه، وهو عندما يشارك بعض الناس في المزايدات العلنية، فهم لا يشاركون بهدف الشراء أو الربح! إنما يشاركون لصناعة الضغط على المجموعة التي تريد بالفعل المشاركة الفعالة، وهذه المجموعة لا تزال تعمل جاهدة لإخراجهم من هذه المنافسة حتى لو علموا أنهم لا ينوون الشراء، وإنما يريدون بعض المال، والخروج من هذه المزايدة، وهكذا أرى الحكومة الروسية وتحركاتها الدبلوماسية..!

بالآلاف في سبيل ديمقراطيتهم العَلمانيَّة، قاتل الآخرون في حرب شبه دينيَّة وسريَّة. كاد الصهاينة في أنحاء العالم كله مكيدة لاستلاب فلسطين وتقديمها "كملاذ" لليهود الفقراء من كل أنحاء الكرة الأرضيَّة، خصوصاً أولئك الذين عانوا الأمرين على أيدي النازيين في ألمانيا.

ويذكرُ الكاتِب بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر فشل عملية (شيكنة) فبدأوا بالحل الثاني أو النسخة الثانية: "الحل الوحيد كان تنفيذ النسخة الثانية من عملية (شيكنة)، والتي أعيد تسميتها بعملية "حرية العراق" والمخططة للتحكم بمفاصل النفط في العالم، ولتزويد الدولة العبرية بدخل هائل من النفط العراقي المسروق. وتمثلت الأهداف الرئيسة في قتل الرئيس العراقي (صدام حسين)، وهو ما أُطلق عليه عملية "قطع الرأس"، وتحطيم بنية الجيش العراقي، وإشاعة الفوضى وعدم الاستقرار الكلي في البلد. بعد ذلك يتمُّ تنصيب حاكم عسكري منتقى بعناية، يتبعهُ اختيار إداري مؤقت يمكن الاعتماد عليهما للعناية بالمصالح الإسرائيلية أكثر من المصالح الأمريكية. وقد تفحص اللوبي اليهودي في نيويورك عدة مرشحين محتملين قبل التوصل إلى خيارهم النهائي. الحاكم العسكري الجديد للعراق قد يكون الجنرال الأمريكي المتقاعد "جي غارنر"، وهو مقرب جداً من إسرائيل وداعم متحمس لها. كما وإنه عضو في "المعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي"، وهم مجموعة ضباط الجيش من اليهود الأمريكيين الذين ينادون منذ أمد طويل بتقديم الحاجات الأمنية الإسرائيلية على احتياجات الولايات المتحدة، ومن وجهة النظر الإسرائيلية، فإن "غارنر" هو رجلهم المثالي في العراق وضمانتهم لحلِّ المشكلات الصغيرة، التي قد تعترض إنشاء خطي النفط الممتدين من (العراق) إلى (حيفا). وبعد ذلك يأتي "الإداري المؤقت" الجديد "أحمد الجلبي" وهو

الذي تمت إدانته في الأردن عام ١٩٩٢م بإحدى وثلاثين تهمة اختلاس، وإساءة استخدام للأموال العامة، بينما كان يُدير مصرف البتراء، الواجهة المعروفة للموساد. وقد تم الحكم على الجلبي بالسجن لمدة ٢٢ سنة، ولكنه استطاع بطريقة ما تدبر هروبه من الحراسة الأمنية المفروضة عليه في عمان قبل نقله إلى السجن. وبوجود رجل الموساد في المشهد يكون مستعداً لانتقاء الحكومة العراقية الديمقراطية، شعرت إسرائيل بأنه من الممكن حل المشكلات الصغيرة الأُخرى كلها التي قد تواجه نقل النفط إلى حيفا "روتردام الجديدة" إمَّا ترغيباً أو ترهيباً. بعد ذلك يبدأ اللوبي اليهودي النافذ الصبر فوراً بتوجيه الرئيس (جورج بوش) وعصبته باتجاه سوريا، التي كما أشرنا سابقا تمثلُ الرقم الصعب في عملية (شيكنة). وفي ١٤ نيسان الماضي، وبعد الإعلان المجلجل لجوقة (بوش - رامسفيلد - باول) "أن سوريا تخفي أسلحة دمار شامل أدلى (باول) بحديث للجنة اللوبي الإسرائيلي- اليهودي المعروفة باسم "إيباك"(لجنة العلاقات العامة الأمريكية الإسرائيلية) مؤكداً أن الولايات المتحدة لن تتوقف عند العراق".

ويذكر الكتاب أرقاماً خيالية عن حجم سرقة نفط العراق أي: بما سيكون عليه من ذلك التاريخ، ولا نعلم مدى تحققه الآن، وكما قلت سيبقى هذا الكتاب وغيره من الكتب محط أنظار وشبهة، لأن هناك من يرى من الكتاب العرب بأن لليهود ضلعاً أو على الأقل علماً بما حدث في ١١ أيلول ككتاب الخديعة الكبرى، وكتاب الـ(سي. آي. إيه)، و١١ أيلول ٢٠٠١م، والإرهاب العالمي، ودور أجهزة الاستخبارات للكاتب اندرياس فون بولوف، وهناك آراء ووجهات نظر مختلفة ومتفاوتة حول هذا الموضوع، نسأل الله العافية لشعبنا.

طبيبٌ يداوي الناس وهو عليل

كتاب (عولمة الكراهية) صدر أول طبعة منه عام (٢٠٠٣م) وهو من تأليف الدكتور أحمد الطحان، وكي نكون منصفين فإن الكتاب يتناول قضايا هامة ومحاور حساسة، وخاصة في مجال المعلومات، وأثبت أن الغرب وكان ولا يزال يقابل الإسلام وتراثه بحروب الإلغاء، والدلائلُ التي يسوقها هي دلائل منطقيَّة وعقلية ووثائقية، وقد استفدت من هذا الكتاب كثيراً، وذلك من جانب المعلومات (الحوادث والشخصيات)، ولكن تبقى هناك نقاط مهمة تحتاج الى التوضيح والتنبه والتصحيح، قد غفل عنها الكاتب، وهذا أمرٌ طبيعي في عالم البشر، ولكن تبقى الخطورة كامنة في إذا كان الأمرُ تغافلاً أو استغفالاً، وهي كما ستأتي:

١- وقع الكاتب في خطأ كبير وخطير عندما هاجم الغرب واتهمه بأنه لا يزالُ يحاربُ الإسلام بحروب الإلغاء والإقصاء، ونسي الكاتب (كما نظن به) أنه حمل على الأقوام والشعوب المسلمة بحروب الالغاء وتغيير الهوية، فمثلاً عندما يستدل الكاتب بالعلوم الإسلامية وتراثه الزاخر يقول "وهذا يدلُّ على أصالةِ العلوم العربية"[١]، ويمكننا هنا أن نؤول قول الكاتب بأنه يقصد العلوم المكتوبة باللغة العربية، ولكنه في سياق آخر يؤكد على أن (الخوارزمي) عربي، فيقول "وهو اختراع عربي بحت"[٢]، مع أن الخوارزمي المسلم، ليس عربياً، ويقول في موضع آخر إن "الكيميا علم عربي النشأة"، ويضيفُ أن (الفارابي، والمجريطي، والرازي، وابن رشد، وابن سينا... إلخ) هم كانوا علماء عرب، مع أن ألقابهم واضحة، فإنها تنسب إلى مواطنهم التي ولدوا فيها، إلا

١- عولمة الكراهية، ص٤١.

٢- عولمة الكراهية ص٥٠.

أن الكاتب يأبى إلا أن يغير هويتهم، ويستعربهم، رغماً عنهم، لكن الحقيقة التاريخيَّة تؤكِّد أن من هؤلاء مَنْ كان فارسيّاً، وتركيّاً، وكورديّاً وكلهم شاركوا في بناء هذا الصرح الحضاري القيم، لذا فإن من الإنصاف أن ننوِّه بدور كل الشعوب والأقوام التي شاركت وساهمت في تكوين وبناء هذه الحضارة. أمَّا الكاتب فلا يقيم لأحدٍ فضلاً ووزناً، ولا يقر لغير العرب بالعلم والفن والإبداع، وهذا ما يخالف الواقع والمعقول، والعقل والنقل..

٢- يقول "ماذا كانت نتيجة الرفض الغربي لحتميَّة قيام الدولة العربيَّة القوية"[١]، وأودُّ هنا أن أسوق ملاحظاتٍ حول (الرفض الغربي)!! وأقول ليس صحيحاً أن الغرب رفض قيامَ (دولة عربيَّة قوية) على حدِّ تعبير الكاتب..! بل الأصح كما نرى أنه اعترفَ بالكيانات العربيَّة الفتاة، فالغرب اعترف ببعضِ الدول والإمارات العربية التي لا تتوفر فيها الشروط الكاملة كي تكون دول مستقلة، لا من الناحية السكانيَّة، ولا الجغرافيَّة، ولا الاقتصادية، وهي اليوم أعضاء في الأمم المتحدة، مع أن هناك شعوباً لديها كل إمكانيات الدولة، وليس لها كيان حتى الآن، وإن كانت مستوفية لكلِّ الشروط والأركان، كما يقول الفقهاء..! (والقوية) كما عبر عنها تأتي استجابة للواقع السياسي والتفاعل الاجتماعي مع ذلك الواقع. فالعالم العربي وتحت هذا الامم تحديداً أبدى فشله في القرن الماضي سياسياً وفكرياً واجتماعياً، والحلم العربي كما يوصف الآن أصبح كوابيس وأضغاث أحلام..!

٣- وما زاد الطين بلة هو عندما يظهر الانكسار والهزيمة يتحوَّلُ الخطاب إلى الاستشهاد بأقوال وأفعال المسلمين الأوائل، ونحنُ نرى

١- عولمة الكراهية ، ص٩.

اليوم أن الكثير من النخب الفكرية والسياسيَّة في الواقع العربي، وإن كانت من أصولٍ ماركسيَّة أو عَلمانيَّـة، فهـي عنـد الهزيمـة تصيحُ بالأقوالِ العمريَّة، وتنسى أو تتناسى قول الفـاروق (رضـي الله عنـه) حين قال: "كنا أمة أعزنا الله بالاسلام..."، فلا عزة لنا بغير الإسلام، والواقعُ والتأريخ خير شاهدين على ما نقول.

الجاهلون بالتاريخ

ورغم أن للبُعْدِ الديني تأثيراً واضحاً على العقليَّـة الغربيَّـة، ويُعَـدُّ من أهمِّ الدوافع للمنظومة الغربية، إلا أن شعوبنا المغرمة بـالغرب، لا تعي هذه الحقيقة، وتصدقه في كل شيء، فإذا قال: إننـا تركنـا ديننـا، فحققنا التقدم في ميادين التطور والإبداع، فإننا نـرى مـن العَلمـانيين من تلامذة الغرب من يُروِّج لهـذا الخطـاب، ويـدعو شـعوبها إلى تـرك الإسلام. ورب سائل يسأل: كيف آلت الأمور إلى ما آلت إليه.

طبعاً هناك أمور كثيرة ساهمت وساعدت على إيجـاد هـذا الواقـع، ومن ضمنها الإعلام، وحديثنا هنا سيدور حول (أثر الإعلام في الوقـت الحاضر)، وإنني أرى بأن هناك جدل حول أثر الإعلام على المجتمـع، أو أثر المجتمع على الإعلام، وكثيراً ما نرى الإعلام وهو يـؤدي خـدمات للمجتمع، بكل شرائحه، كما نرى أيضاً خدمة المجتمع للإعلام، فهناك تأثيرٌ وتأثر متبادل بين الإعلام والمجتمع.

١- الإعلام والمجتمع: ولمعرفة أثر الإعلام في الوقت الحاضر نستشهد بحادثة قتل (دعاء)[1]، الفتاة اليزيدية، والـتي دار حولهـا جـدل

١- فتاة يزيدية يقولون إنها أسلمت، وذلك بعد أن أحبَّت شـاباً مسـلماً، وبعـد أن علم أهلها بذلك قتلوها شرَّ قِتلة.

واسع: هل هي أسلمت أم ماتت وهي على دينها..؟! فوقعت هذه الحادثة على نفوس الملايين من الناس وقعاً شديداً، حتى باتت حديث كل بيت ومحفل سياسي، وقد غدت مصدر رعب وتهديد لفتنة كادت تودي إلى إزهاق أرواح الكثيرين.

ولولا وجود الكاميرات لما كان لها هذا الصدى والضجة، لأننا نعرف ونعلم بأن هناك المئات من هذه الحوادث التي تقعُ هنا أو هناك حتى في داخل كوردستان، ولكن في غياب وسائل الإعلام لا تكون لها مثل هذه الأهمية، ولا ننسى هنا أن نشير إلى حادثة (محمد الدرة) التي هزت الضمير الإنساني المنهك، مع أن هُناك أطفالٌ أبرياء قتلوا وبأبشع الوسائل، ولكن كما قلت في غياب وسائل الإعلام دفنوا في طي النسيان..!

٢- الإعلام والقانون: ومن جانب آخر اختلط الصحافة بالقانون، ولديها صلاحيَّاتٌ قانونيَّة، وفي بعض البلدان تحوَّلت إلى قضايا دستوريَّة، فالقانون البريطاني حتى الآن يجيز للصحافة الحديث عن أسرارِ الحياةِ الشخصيَّة، هذا إذا كان صاحب القصة من الذين يشغلون مناصب كبيرة، كالرؤساء، والوزراء، والتجار الكبار، ويجيز أيضاً الحديث عن رأس مال أصحاب النفوذ، والذين يترشحون أنفسهم لتسنم السلطة، وهذا أيضاً متبع في أمريكا حيث يعرض كل ما يملك من يرشح نفسه لرئاسة أمريكا، وللمعلومات فإن الصحف في الولايات المتحدة الأمريكية هي التي ترتب من أولويات الوسائل نظراً لشدة تأثيرها.

٣- الإعلام والفكر أو الآيديولوجيا: لولا وسائل الاعلام لما كان للفكر هذه الهيمنة السريعة، فمثلاً: أن الصحف ووسائل الإعلام تعمل جاهدةً على تأصيل نظرية فرويد في كلِّ ما يُدار على

شاشات التلفزة وصـفحات الصـحف والمجـلات، فـالإعلام كـل شامل من حيث الخطاب، ولكن مـن حيـث المضـمون فالمضـامينُ منحازة إلى الفكرة، وبهذا كمـا قلنـا فـالإعلام وسـيلة، والـذين يسيطرون على وسائل الإعلام هم المسيطرون على توجيـه الحيـاة، والذين يُسيطرون على الإعلام يسيطرون على العـالم، ومـا يُـدار وما يُحاك على المنصات، ومـا يُـدبر وراء الكـواليس والأسـتار، وهناك من يقـومُ باسـتغلال الـنص، وتوظيـف الصـور، وقولبـة النمـاذج لمقاصـده ومآربـه الخاصـة. فهـذا التعسُّـف في تحريـفِ النصوص، والالتزام بتفسيرٍ معين وخـاص لمـا يُسـاق مـن الأدلـة لفبركة فهم معين لكل تلك النصـوص أمـر واضـح وطـاغ علـى أسلوب الإعـلام العـالمي، ومـا نريـدُ تأكيـدهُ هنـا أن الإعـلام الأمريكي قد أفاد من نظرية فرويد في التحليلِ النفسي، ويرى أن ما جاء به (فرويد) له أصـول علميَّـة، وهنـاك معـادلات مهمـة وحساسة داخل الهيكل الإعلامي للغرب، وكيفية استحواذه علـى قلوب وعقول الملايين من الناس، ضمن لقطاتٍ خليعـة، ومشـاهد دعائية مثيرة، وكل ذلك وفق أسس نظرية محكمة، ويسـتفيدون في ذلـك بالدراسـات الحديثـة سـواء كانـت سـايكولوجيَّة، أو سيوسولوجيَّة، أو برمجة لغويَّة عصبيَّة..إلخ.

٤- الإعـلام والجـنس: هنـاك تضـمين بالإخفـاء، وتقنيـات التـأثير اللاشعوري، وهذا ما تناوله كتاب خفايـا الاسـتغلال الجنسـي في الإعـلام، وهمـا تقنيتـان مسـتخدمتان للتـأثير لا شـعورياً في المواطنين. وغيرها من الوسـائل المتاحـة والمـؤثرة. يقـول الكاتـب (معتز الخطيب) في مقاله المعنون (صـناعة الجسـد.. الـدخول إلى أسـواق الرقيـق): "ضـجيج الجسـد الـذي تعـجُّ بـه السـينما

والفضائيات والصِحَافة والشوارع أحال حياتنـا إلى استعراضـات مفرطة أصابت الجسد والجنس بكثير من الترهل والإطناب، بل إنـه أعاد صياغة رؤيتنـا للجسـد مـن خـلال إحـداث تغـيرات علـى مستوى المفاهيم والقيم. وبات حضور الجسد يرسم تحولات مختلفـة، ثقافية واقتصادية واجتماعية وأخلاقية، بل وربما سياسية.

فالمتأمل للمشهد العام يجد أن السينما (نحن لم نعـرف إلا سـينما الترفيه) على الدوام تحتفل بالجسد الأنثوي، لما يحققـه مـن جـذب وكسب، بل إن الجسد اللذة شكّل في السـنوات الأخـيرة موضـوعاً لأفلامٍ عديدة، فنشأت ظاهرة "سينما الجنس"، فتحوَّل الجسد من عامل للجذب إلى موضوع للسينما، وهو ما نظر إليه أهل الفـن على أنه "تطور"، لأنه يعني تهميش الرقابة إن لم نقل غيابها.

وما يلفت النظر هو أن وسائل الإعلام قد استطاعت أن تسـيطر على ما يُسمَّى بالدفاعات الطبيعيَّـة للإنسـان، فالإنسـان ومـع الأسف استلذ أموراً ومشاهد مستقذرة علـى النفـوس السـليمة، مثلاً: عملية وطء الحيوانات هناك نماذج وقعـت في المجتمعـات، ولكنها لم تكن موضع تقدير، وإنما كـان الفاعـل يحـس بـالنقص والرذيلـة، أمَّـا اليـوم فإنهـا تحوّلـت إلى مدرسـةٍ مسـتقلة عـبر الشاشات، وما يسمى بمص فرج الحيوانات ودبرها، والدعاية لعمل قوم لوط، والمصيبة في هذا الواقع هـو التلـذذ بهـذه الحالـة غـير الصحية والدعاية لها عبر الأفلام والحلقات.

٥- الإعلام واستغلال العقول: الإعلام يقوم اليـوم باسـتغلال العقـل الإنساني وتوظيفه لمآرب معينة، فـ"الفيديو كليـب" مـثلاً بـات يشكل اليوم الظاهرة الأكثـر طغيانـاً، فهـو مثـال صـارخ علـى تلاشي الكلمة أمام الصـورة، لتصـبح الرسـالة المعلَنـة للمغـني

والمخرج هي بث الإثارة من خلال الأجساد المتراكمة والموزعة بالمجان هنا وهناك. وهناك إحصاءات دقيقة أجريت لما يعانيه الشباب في هذا الزمن (زمن عولمة الإعلام أو إعلامية العولمة).
وهنا نعرض دراسة حول هذه التأثيرات على عقول وميول شبابنا وأجيالنا القادمة والصاعدة إلى مراكز القرار والقيادة، وفي جميع الميادين في تقرير أعده (صابر مشهور) على صفحات (إسلام أون لاين) بعنوان (دراسة الهوية العربية كما تعكسها أغاني الفيديو كليب). فقد كشف مؤتمر عُقد بالقاهرة عن وجود علاقة كبيرة بين أغاني الفيديو كليب ومحاولات العولمة التي تروج لنمط الحياة الغربية بشكل متعمد، وأظهر مؤتمر "الإعلام المعاصر والهوية الوطنية" الذي عقدته كلية الإعلام جامعة القاهرة في الفترة من (٤-٦ مايو ٢٠٠٤م) ارتفاع معدلات مشاهدة الشباب لأغاني الفيديو كليب، حيث تأكد في بحث أجراه الدكتور (حسن علي) بكلية الآداب في جامعة المنيا بعنوان "استخدامات الشباب الجامعي للقنوات الغنائيَّة" أن (١٠٠%) من الشباب الذين شملتهم العينة يشاهدون (نانسي عجرم، وإليسا) رغم عدم قناعتهم بمشاهدتهما، في حين أكد (١٧%) فقط من العينة متابعتهم لأغاني (هاني شاكر). في الوقت الذي كشفت فيه الدراسة عن أن (٤٠%) ممن شملتهم العينة يتابعون أغاني الفيديو كليب رغماً عن أسرهم.
وأكد الدكتور (عاطف العبد) الأستاذ بكلية الإعلام في كلمته بالمؤتمر: "إن دراسات ميدانية أجريت على (١٠٠) أغنية شبابيَّة احتوت على (٧٥٧٣) لقطة اتضح أنها تتضمن (٢٠٥٦) لقطة بها مشاهد راقصة، و(١٤٠٩) لقطات تركز على المناطق المثيرة،

و(٢٤٠٠) لقطة قريبة من مناطق مثيرة، و(١٤٦) لقطة تلامس، و(١٢٦) تشتمل على عناق.

في الوقت نفسه أظهر بحث للدكتور (أشرف جلال) المدرس بـإعلام القاهرة بعنوان "الهوية العربيَّة كما تعكسها أغاني الفيديو كليب وانعكاساتها على قيم الشباب أنه بتحليل (٣٦٤) أغنية بثتها قنوات (مزيكا، وروتانا، وأبو ظبي، ودريم١، والفضائية المصرية، والأولى المصرية) بلغت نسبة اللقطات المثيرة (٧٧٪)، والتي تتمثل في الرقص والحركة بنسبة (٥١٪)، وفي الملابس بنسبة (٢٢٪)، وبإيماءات الوجه بنسبة (١٠٪)، وبالألفاظ بنسبة (١٠٪)، وفي فكرة الأغنية بنسبة (٥٪).

وأشارت الدراسة أيضا إلى أن عينة الأغاني تعكسُ البيئةَ الغربيَّة بنسبة (٧٠٪)، والبيئة العربيَّة بنسبة (٣٠٪). وبلغت نسبة الرسائل بين الجنسين على قناة روتانا (٧٦٪)، والتهنئة الأُسرية (٢٠٪)، والرسائل المتبادلة للنوع نفسه (١٩٪).

وغلبت القيم السلبيَّة على القيم الواردة في الأغاني بنسبة (٥٨٪)، منها نسبة (٣٣٪) لقيم الخيانة، و(٢٥٪) للغدر، و(٢٢) للتجاهل وعدم التقدير، و(٥٪) للكراهية. بينما بلغت نسبة القيم الإيجابيَّة (٢٢٪) فقط، منها (٣١٪) عن الحب، (٢٠٪) للوفاء، (١٣٪) للإخلاص، (١٣٪) للانتماء.

٦- الإعلام واليهود: ولو تحدثنا بمنطق الحساب لا تزيد نسبة اليهود عن الـ٣٪ من سكان الولايات المتحدة أما بمنطق ما يملكون في هذا البلد الذي انفرد أو يكاد بالهيمنة والتأثير على العالم فالنتائج مذهلة.. ٥٠٪ ممن اعتبروا أفضل مائتي مثقف في الولايات المتحدة خلال العقود الأربعة الماضية من اليهود، و٢٠٪

من أساتذة الجامعات الرئيسية هم أيضا من اليهود، ٤٠٪ من الشركاء في المكاتب القانونية الكبرى في نيويورك وواشنطن من اليهود و٥٩٪ من الكتاب والمنتجين للخمسين فيلماً التي حققت أكبر إيراد بين عامي ١٩٦٥ و١٩٨٢ من اليهود، ٥٨٪ من المديرين والكتاب والمنتجين لاثنين أو أكثر من المسلسلات التي تبث في وقت الذروة هم من اليهود، هذا إلى جانب أن عدداً كبيراً من ملاك الصحف الأميركية الكبرى هم أيضا من اليهود، يعني هناك دراسات أخرى.. ١٥٪ من المناصب الرسميَّة ١٧٪ من رؤساء المنظمات غير الحكومية ٢٥٪ من الصفوة في الصحافة والنشر، وهم نصف البليونيرات الذين يملكون رؤوس الأموال، أكبر ثلاث شركات تلفزيونيَّة، أكبر أربعة استوديوهات للسينما، وأكبر دور لإصدار الصحف، وإلى آخره، والمصدر هو دراسة أمريكيَّة لسايمور لبست وإير راب، وهي موجودة على موقع الجزيرة فالمصدر أميركي.

٧- الإعلام والرأي العام: لماذا قضايا معينة تشغلنا عن لب الموضوع، ولماذا نهتم ببعض ما أُطِّر في عقولنا دون غيره، كالفقر في بلادنا، وسوء الإدارة، وتردي الأحوال المعيشيَّة، وتفشي الأمية، والتعليم والتشريعات المقيدة للحريات..؟! والصحافي عندنا يُصبح بطلاً عندما يناقش الدولة العظمى في القضايا التي تطرحها. نتكلم في ختان الإناث فقط، عندما تطرح أمريكا الموضوع. ونتكلم عن الأقليَّات عندما تطرح أمريكا الموضوع نفسه. نحن لا نناقش أقل من الدول العظمى، ولكي نتمكّن من توظيفِ هذه الطاقة للخير، وإسعاد الآخرين، وجب علينا أولاً أن نتعرَّف

عليها، وأن نستوعبها، وندرك حقيقتها، ونعمل فيما بعد على إرجاعها إلى حقيقتها الأصليَّة، ومن ثم العمل على توظيفها لما فيه خيرٌ لديننا ودنيانا.

٨- الإعلام والسياسة: وكما أشرنا كان دور الاعلام حاضراً في جميع ميادين الحياة قاطبة، وقد كان لـهُ أيضاً تأثيرٌ على السياسة والسياسيين، ففي البعد السياسيِّ مثلاً كان لـهُ تأثيرٌ على الانتخابات في السباق الانتخابي بين نيكسون وكندي، ومن جرَّاء هذا التاثير فاز كندي، لأنه كان رشيقاً وجميلاً، والصِحَافة هي التي جعل الرئيس نكسون يستقيل بعد فضيحة ووترغيت المشهورة، ومن ضمن التأثيرات الإعلاميَّة انسحبت أمريكا من (الفيتنام) مخذولة تجرُّ أذيالِ الهزيمة، وكلنا يتذكر ما عاناه الأمير تشارلز على يد الإعلاميين، وينقلُ الكاتب عبدالرحمن الراشد - نقلاً عن جريدة "الشرق الأوسط" اللندنيَّة - المؤتمرَ الصحفي الذي كان يهدفُ إلى تحسينِ سُمعةِ الأمير قبل موعد زواجه، غير المرضي عليه، من صديقته إلا أن الحفلة تحوَّلت إلى مأساةٍ له. ففي الوقت الذي كان يُوزِّع ابتساماتهِ على المصورين، ويجيبُ عَنْ أسئلة الصحافيين نسي أن المايكروفونات تستطيع التقاط زفيره وهمهاته، وتعليقاتِ وَلَدَيْه. وجاءت المفاجأة أثناء مراجعة الأشرطة في غرفِ الأخبار حيث سمعوه يتمتم همساً: كم يكره الإعلاميين، وتحديداً مُراسِل الـ«بي بي سي»، المتخصص في متابعته.

على أيِّ حال ليس من عادة الإعلاميين تصديق الابتسامات من قبل ضيوفهم. يرونها علاقة مصلحة متناقضة، فالذي يرضي الصحافة لا يسعد ضيوفها، والعكسُ صحيح أيضاً. لكن أن يقف أمامهم مُهَمْهِماً بكرهه لهم، كانت سقطة مريعة لأمير ويلز، رغم

أدبه ولباقته، وموافقته على لقائهم مع ابنيه. عجز عن كبت مشاعره الكارهة، فهو يعدُّ الإعلاميين مسؤولين عن إفساد حياته التي صنعوا منها عناوين تجاريَّة، وأملوا عليه كيف يعيش أو لا يعيش..!

وخير نصيحة للذين يكرهون الإعلام، أو يخشون تعليقاته، تحاشيه ما أمكن. فلا تنفع طويلاً نصائح مكاتب العلاقات العامة، ولا سكرتارية الإعلام الرسمية في تحسين الصورة الرديئة أو الغاضبة مهما بدت جيدة. وبالطبع لم تفلح محاولات مستشاري (تشارلز) في إقناع الصحافيين أن الأمير مزاجه سيء ذلك اليوم، وأنه كان متوتراً، لأنه لم يعلم بالمؤتمر الصحفي إلا قبل دقائق في وقت جاء للراحة مع أولاده، وغيرها من القصص التي لم تنطلِ على أحد".

ومن ضمن هذه التأثيرات قامت أمريكا بفتح خطابٍ إعلاميّ خاص يخاطب العقل العربي من خلال قنوات متعددة.

إصلاحات إعلاميّة في سياقاتٍ أمريكيّة

لقد خصصت الولايات المتحدة الأمريكية ٦ ملايين دولار لدعم الإصلاحات الإعلامية في العالم العربي، وكما قام من قبل بإصلاحات ديمقراطيَّة في المنطقة بعد حادثة ١١ من سبتمبر، والذي خلف وراءها مخلفات وترسبات وتغيرات: سياسيَّة، واجتماعيَّة، واقتصاديَّة، قد يصفها البعض بالإيجابيَّة، والبعض الآخر بالسلبيَّة، وقد يدخلُ تحت لافتة مصائب قوم عند قوم فوائد، والعكس صحيح أيضاً..!!

وقد تناول الساسةُ والكتاب والباحثون هذا الموقف الأمريكيّ بتفسيراتٍ مختلفة ومتباينة، ونوعاً ما متناقضة بين النوايا الحسنة في

بعـض التفسـيرات، والتـدخل في الشـؤون الداخليـة لـدول المنطقـة ذات السيادة العسكريَّة الالتزاميَّة عند البعض الآخر..؟!

وقد وصف رئيس تحرير أحد الصحف المصريَّة في برنـامج (مـا وراء الخبر) لقناة الجزيرة الفضائية أن هذا الموقف الأمريكي موقف لا أخلاقـي بكل المعايير، وليس وراءَهُ نياتٌ حسنة. وإنني هنـا لا أنكـر النيـات وراء هذا المشروع، ومع هذا لا أثبت نوعاً معيناً من النيات، لأننا كلنا نعلـم لسان حال سياسة هذا العصر، وما يحمـلُ المشـروع الأمريكـي للمنطقـة، ومقـدار حـرص الولايـات المتحـدة الأمريكيـة علـى مصـلحتها ونجـاح مشروعها لا سيما إذا كانت هذه المشاريع تدخل ضمن استراتيجية بعيـدة المدى، ولكن لا أزيد رأيه وإنما اتفق مـع الـدكتور (عمـرو الحمـزاوي) في طرحه لكيفية التعامـل مع هذا المشروع حيث قال: إن هذا المشروع آتٍ لا محالة، والأفضل لنا أن نحاول حسن توظيفه وإرشاده.

هذا إذا ما رفض هذا المشروع من قبـل أنـاس مخلصـين، فـإن غيرهـم يستفيد من هذا الوضع، ولا أستبعد أن يكون مـورداً لإعلام السلطة، أو جهاتٍ انتهازيَّة، لذا أن توجيـه وترشـيد هـذا المشـروع - نحـو الإصـلاح الإعلامي في المنطقة - يعدُّ إفادة من حيث التقاء المصالح، واليوم عالمنـا يحتاج ومنذ فترة طويلة إلى إصلاحات وفي ميـادين شتى.

وقد ساهمت هذه المشروعات الأمـريكيَّة وبشكل مباشر وغير مباشـر في زعزعة بعض الحكومات الدكتاتوريَّة سواء كانت هذه الزعزعـة سـبباً لسقوطها أو إجبارها لإعادة النظر في سياساتها ونهجها، ويندرج هـذا - كما قلت - ضمن مشروع الولايات المتحدة الاستراتيجية، وتبقـى هنـاك كيفية إسقاط أو ترشيد هذه المشروعات لصالح هذا البلد أو ذاك، وكيفية استفادة شعوب المنطقة من هـذه الإصـلاحات، وإيجـاد وسـائل إعلاميَّـة نشطة وفعالة وإعلاميين جريئين ومؤثرين يخدمون ويسـاهمون في تطـوير

وإعادة البناء الفكري والعقلي والإداري والسياسي. والأمثلة كثيرة، ولا يسعنا أن نورد جميع النماذج والأمثلة في هذا السياق، وانما هي نظرة عامة حول تأثير الإعلام في الوقت الحاضر.

خفايا الاستغلال الجنسي

إن التعمق في ثنايا وخبايا عالم الفن والإعلام والصحافة والسينما أمر أصبح خطراً وملحاً..! إذ تكمُن خطورته في أنه يخاطب الكينونة الإنسانيَّة من الداخل، وقد يسيطر على سلوكياته من حيث لا يدري، لذا فإن الكثيرين يرون بأن الخطاب الإعلامي بكل ما فيه يخاطب العقل الباطني أو اللاوعي، إذ إن هناك نزوات وغرائز مفطورة داخل الإنسان، وهذه الفطرة المخلوقة داخل الإنسان لها ميول جذابة مثل: اللون والصوت والحركة، وإبراز لون معين على لون آخر، والهمس في الصوت، والسكون في الحركة، والسكوت في الصوت، كلها مؤثرات كونية مخلوقة تؤثر على الإنسان، وقد عمل الإعلام على توظيف هذه الميول لمقاصد تجاريَّة سياسيَّة...إلخ، وقد تصلُ هذه التأثيرات إلى حدِّ الاستحواذ على المفاهيم، والقدرة العقليَّة، والنِشاط الإنساني، وجميع سلوكياته، فقد ذكر الأستاذ (ويلسون براين كي) في كتابه (خفايا الاستغلال الجنسي في وسائل الإعلام) إن "أحد الظواهر المبهمة لظاهرة الإدراك اللاواعي مؤخراً تتعلق بدراسة هي الأكثر امتيازاً وشمولاً أسست في انكلترا من قبل الدكتور ن. ف. ديكسون. كتابه يظهر الإدراك من منظور تجريبي وعلم نفس سلوكي، وتفاصيل مستمدة من أبحاث مخبرية على الظواهر اللاواعية"[١]. فالأنظمة الإعلاميَّة، أو الامبراطوريَّة الإعلاميَّة في

١- خفايا الاستغلال الجنسي في وسائل الإعلام، ص٣١.

عصرنا الحديث استطاعت أن تكشف أموراً في غاية من الأهمية، إذ من خلالها تستطيع أن توقظ وتستفز وتنهض ما بداخل الإنسان من حبٍّ، وبغضٍ، وحقدٍ، ورحمةٍ، وشفقة...إلخ.

ـ هذه الاكتشافات المتطورة في الغرب أصبحت تهدِّدُ الوجود الإنساني. فالإنسان مهدد تحت ظل هذه الضغوطات النفسية والجمالية (الزائفة) والصور المرعبة حتى استطاعت هذه الشاشة أن تجسد الأسطورة والخيال في أجسام وجسيمات، حتى أنها فاقت في عملية التدليس بين مكونات الخلق من وجهته الظاهرية. فهي استطاعت أن تنقل وصف الشيطان في الكتب الأسطورية إلى جسم آخر، وهي عملية تحويل وتحوير، ولأن البعد الفني متطور والتقنيات متطورة تمكنت من إنجاح هذا الاندماج الخطير، فالعين الجميلة حورتها إلى عين مرعبة. هذه التداخلات والتحولات والتحورات في الأجسام والجسيمات أصبحت ظاهرة في المنازل والعقول والحقول، فلم أر أحداً ممن شاهد فلماً معيناً أو دعاية معينة، ولم يتأثر بهذه المشاهد سواءً أكان هذا التاثير سلباً أم إيجاباً، فمثلاً استطاعت الشاشة أن تحكم على تسويق بضاعة معينة مثل: موضة (الجينز) التي أصبحت ظاهرة مستحوذة على رقعة هائلة من الكرة الأرضية، و(الموضة) أصبحت العامل والدافع الرئيس في تسويق الألبسة في معظم بلدان العالم، ولأن أثرها كبير ومحقق أصبح لديها الآن قنوات فضائية ومواقع على شبكة الإنترنت، وخاصة التي تعنى بعرض الأزياء والدعاية لها، وقِسْ على ذلك كل ما تراه من الألبسة والغذاء والمواد الكهربائية والالكترونية وغيرها مما يحتاج إليها الإنسان، أو قد يضطر إلى الاحتياج إليها..!! وجاء في الكتاب المذكور نفسه: أن "الإعلانات مصممة من أجل التأثير العاطفي، وليس الفكري، أي بالمفاهيم التعليميَّة من أجل الإغراء العاطفي. رجال الإعلانات ليسوا معتمدين

على التفكير، بل على الشعور"[١].

وكما نقل الكتاب قول البروفسور كي: إنه "ليس هناك أي طريقة لحماية أنفسنا من الدوافع (الدون واعية) بما أنهم يتحايلون على دفاعاتنا الطبيعيَّة الآلية، الآلية تم تحديدها من قبل (فرويد) على أنها تشكيل رد فعل وتصور وترسيخ ورجعة"[٢].

ورغم قوة وتقنية معارضين غربيين لما يشنه الإعلام الغربي على العالم عامّة والغرب خاصّة من قيم فاسدة إلا أن موجة هذا الإعلام قوية وعاتية إلى درجة لا تبقي قيماً إلا وجعلتها هباءً منثوراً، هذا فما بالك بعالمنا في الشرق الذي يعاني من فقر في التقنيات الإعلاميَّة، حتى أن إدراكاتِنا أصابها التعب والإرهاق، ولا تكادُ تستوعبُ ما يُلقى إليها، فما بالك بالتمحيص والاستيعاب. فإدراكاتنا أصبحت عُرْضة للاستغلال والابتزاز، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى برزت قنوات تتحدث بلغتنا، وتقلدها تقليداً أعمى دون تردد. ومن ضمن ما نحن بصددهِ وهو قراءة الكتب وعرضها توقفنا عند هذا الكتاب المثير للجدل، لأن هذا الكتاب يقومُ وكما يصفهُ (سعيد أبو معلا) في مقاله الذي بعنوان (الميديا.. وخفايا استغلالها الجنسي) في إسلام أون لاين: أن "المؤلف يعتمدُ في كتابهِ على نظريَّاتٍ نفسيَّة وإعلاميَّة، وعلى بصيرته الإدراكيَّة الحسيَّة كمنطلق جديد، إضافة إلى منهج وصفي دقيق يقومُ على ملاحظاتٍ حقيقيَّة نقلها من وسائل الإعلام والإعلانات في الصحف والمجلات الأمريكيَّة.

ومن خلال ذلك يكشفُ لنا الكاتب سياسة "التضمين بالإخفاء"، وهي إحدى التقنيات المستخدمة لإخفاء المعلومات بمكر وخداع عبر

١- خفايا الاستغلال الجنسي في وسائل الإعلام، ص١٥.

٢- خفايا الاستغلال الجنسي في وسائل الإعلام ، ص١٧.

الإعلان وخلفياته، حيث تلعبُ الصورة في الإعلان دور المصيدة، فما تدركه بشكل لا شعوريٍ (أي خلفية الإعلان) أقوى وأكثر رسوخاً في العقل مما تدركه شعورياً.

وما يجري في أمريكا الشمالية يشهدُ امتداداً كبيراً له في منطقة الشرق الأوسط والدول العربية والإسلاميَّة. فالإعلانات التي تظهرُ في فضائياتنا وصحفنا وعلى أغلفة مجلاتنا أكبر دليل على تلك السياسة، لكن مع فارق بسيط هو أننا نغفل أثرها، وأساليبها في التأثير على الناس، وتغيير نمط حياتهم، وقيمهم، وثقافتهم.

بدأ المؤلف كتابه من فكرة أن الثقافة الأمريكيَّة أُسست على مفهوم حرية الإرادة، والاعتقاد بأن كل الأفراد باستطاعتهم وعبر وعيهم الإرادي أن يحدِّدوا لأنفسهم قيمهم الأخلاقيَّة، واهتماماتهم السياسيَّة، والاقتصاديَّة، ومحيطهم الاجتماعيِّ، لكنه ما يلبث يفند هذه الفكرة من خلال إفساد المجتمع وخصخصته لمصلحة نظام اقتصاديّ فعَّال مُوجَّه من قبل التجار.

ويتم ذلك عبر الأدوار التي تلعبها التقنية السريَّة في الإعلاناتِ مستهدفة اللاوعي أو (العقل الثالث، أو اللاشعور، أو العقل الباطن) الذي يشمل على نظام تخزيني هائل في الذاكرة، بغية السيطرة على السلوك، وحصر أنظمة القيم الأساسية، وإدارة الحافز البشري، وتوجيهه لخدمة القوى الخاصة.

وقد نجح الإعلان في إضفاء الجنسية على الأفراد، والمشروبات، والأطعمة، والنقود، وغيرها... وبذلك عمل على تشويه الفكر العقلي، وقاده إلى الانحراف بسياسة "الإخفاء اللاشعوري"، وإخفاء رموز هادفة ليصبح الاستهلاك ثقافة وسلوكًا مرَضِياً.

وببساطة تكون المعلومات المخفية مرفوضة من قبل الجمهور في منطقة الوعي، لصعوبة التعامل معها لعدم منطقيتها، أو لحرمتها، أو

لتناقضها مع معلومات سابقة، لتستخدم تقنيات لاشعوريَّة ومحفزاتها لخلق ذلك التأثير.

ويعدُّ "هوس الموضة" إحدى هذه الصور التي تهدف إلى زيادة المبيعات، فهي صناعة مربحة للغاية، ولكنها أداة وحشية لاستغلال المرأة، حيث تمكن ذلك الهوس من رسم تصور ذاتي للمرأة الأمريكية، وجعلها "الشكل المثالي" وفقاً لموهبة "المنح الجسدي"، أي قيام الفرد بتغيير أو تعديل ما يمكن تعديله أو تغييره في جسده. فحقق الإعلام شعوراً عميقاً بالذنب والنقص، وهما شعوران متعلقان ببنية الرجل والمرأة معاً، والحلُّ هنا يكمُن باللجوء إلى النهر الذي لا ينضب من المنتجات التجارية الجديدة، مما يحقق شعار "أنا أستهلك.. إذن أنا موجود". وجاء على غلاف الكتاب لمحة عن الكتاب "ما هُو الهدف من الاستغلال الإعلاميّ الجنسيّ؟!" هذا الكتاب غير العادي يكشف كُلَّ الطُّرُق التي تقوم بها كُلٌّ من المجلاَّت والصُّحُف والأغنية التّلفزيونيَّة، والأفلام، والمُوسيقى الشَّعبيَّة، والتي تقومُ على مبدأ الاغتصاب والاستغلال الفكْري للشّعب. بعد قراءته، لا بُدَّ أنَّكَ ستنظرُ، وتُنصتُ، وتُدركُ، ولكنْ، بطريقة جديدة تماماً - لا تدعهم يضعون السّتار أمام عينَيْكَ وأُذنَيْكَ وفمكَ وأنفكَ وحواسّكَ كُلّها... أيُّها المُشتري، كُنْ حريصاً! كُنْ حريصاً! أوّلاً من أنَّ الإعلان مُصمَّمٌ من أجل أنْ يضعكَ في عالم الخيال، تلك هي رسالة الاستغلال الإعلامي الجنسي... ما هي الرُّمُوز المخفيَّة في وسائل الإعلام الأمريكيَّة؟ ما هي كيفيَّة قيام تلك الرُّمُوز ببَرْمَجَة وتكييف عقلنا الباطن؟ إنَّه كَشْفٌ مُثير لعواقب الإغواء اللاّشُعُوري، لأنَّ وسائل الإعلام تَعْلَمُ كُلَّ شيء عن مُخيِّلاتكَ، ومخاوفكَ، وعاداتكَ المُتأصِّلة والعميقة، فهي تعلم - إذاً - كيف تستغلُّ مشاعركَ وسُلُوككَ الشّرائي - كيفيَّة قيام إعلانات الحلوى

بإزالة مخاوفكَ من زيادة الوزن - كَشْفُ أنَّ مجلاَّت مثل "بلاي جير"، و"فيفا" المُخصَّصة للنّساء، هي - في الواقع - تستهدف الرّجال - كيفيَّة قيام إعلانات السّجائر بإزالة مخاوفكَ من الإصابة بالسَّرَطَان - كيفيَّة قيام الأفلام بابتكار طُرُق تعذيب جديدة من أجل إيلامكَ، ومن أجل زيادة أرباحها - كيفيَّة قيام إعلانات الأزياء بالتَّوجُّه إلى السُّحاقيَّة المُسْتَتِرَة -كيفيَّة نجاح مُوسيقى الرُّوك الشّعبيَّة السَّاحق في ترويج المُخدّرات، كيفيَّة قيام صُور الأخبار بقَوْلَبَة وصياغة آرائكَ، كيفيَّة تَضْمين وإخفاء كلمة من أربعة أحرف في صُور طعامكَ وفي صُور ملابسكَ من أجل إثارة الرّغبة الجنسيَّة - كيفيَّة قيام كُلِّ ذلك - وأكثر من ذلك بكثير - بإثارتكَ، واستعبادكَ، ومن دُون أدنى علم حسِّيّ بذلك! (صدمة مُدهشةٌ!) (سحْرٌ شديدٌ!) (الأمرُ يتطلَّب أقصى درجات الحرْص!).

ولأن الخطاب الإعلامي يدخلُ في عمليَّةِ الاسترجاع والتأثير على العاطفة، وزيغ البصر، وتمويه السمع، يكون من السهل الاستحواذ على التفكير، ومنطق التفكير، وضبط عملية الشعور. وعندما أقول أصبح الإعلام أمراً ملحاً، وذلك لأن إلحاحه نتيجة هيمنته على العالم، ومعرفته عائد إلى النزعة الإنسانيَّة ومطالبه الجماليَّة والحسيَّة.

فرويد في كل ما يُدار على شاشات التلفزة

هذا الكتاب كما هو واضح من عنوانه يدور حول آلية وكيفية الاستغلال الجنسيّ في وسائل الإعلام، ولكن لا يفوتنا أن نقول إن صاحب هذا الكتاب يعملُ جاهداً على تأصيل نظرية فرويد في كل ما يُدار على شاشاتِ التلفزة، وصفحات الصحف، والمجلات، رغم أنني لا أختلف معه حول ما يُدار وما يُحاك على المنصات، وما يُدبر وراء

الكواليس والأستار، ولكن أسلوب الكاتب أراهُ يقومُ باستغلالِ النص، وتوظيف الصور، وقولبة النماذج لمقاصده ومآربه الخاصة. فهذا التعسف في تحريف النصوص، والالتزام بتفسير معين وخاص لما يسوقه من الأدلة لفبركة فهم معين لكل تلك النصوص أمر واضح وطاغ على أسلوب الكاتب، فهو كثيراً ما يستشهد بأقوالِ فرويد، وحول منهج المؤلف نستشهدُ بما جاء في مجلة (العربي) العدد (٥٦٤) نوفمبر ٢٠٠٥م "أن الكاتب اعتمد على نظريَّاتٍ نفسيَّة بالتطبيقات العلميَّة للإعلام، ونظريات "فرويد للتحليل النفسي"، الذي يريد من خلالها أن يبرهن على أن الإعلام الأمريكي أفاد من نظرية فرويد حقاً..!! وكل ما جاء به (فرويد) له أصول علمية والدليل الإعلام الغربي، ومع هذا يبقى لهذا الكتاب أهميته الكبيرة، لأنه يقوم بطرح معادلات مهمة وحساسة داخل الهيكل الإعلامي للغرب، وكيفية استحواذه على قلوب وعقول الملايين من الناس، ضمن لقطاتٍ خليعة ومشاهد دعائية مثيرة.

وتضيف المجلة أنه "إضافة إلى بصيرته الإدراكيَّة الحسيَّة كمنطلقٍ جديد، وإلى منهج وصفي دقيق وصارم يعتمد على ملاحظات ونماذج نقلها من وسائل الإعلام والإعلانات في الصحف والمجلات الأمريكيَّة، باستخدامِ نظريَّاتٍ انضباطيَّة مُتعدِّدة ليصلَ تلكَ الملاحظاتِ بالنظريَّات".

الانصياح نحو اللاشعوريَّة

من الناحية العمليَّة دخل السينما أو الإعلام بصورة بشعة ومفرطة في أذهان الناس، ومن ثم أثر على نمط علاقاتهم الاجتماعيَّة والسياسيَّة، ومن جانب آخر بدأ الإعلام ينظر للمستقبل، ويستحوذ

على التفكير الإنساني بحيث أصبح الإنسان مسخراً لعقله الباطني، وسلوكياته أصبحت مذعنة للعمليَّة اللاشعوريَّة، وفي فلم (ماتريكس أو الفاني) لآرنولد يفصح عن الخطر القادم من قبل الأجهزة المستحوذة على القلوب والعقول، وأن الإنسان تحوَّلَ إلى آلةٍ بأيدي أُناس يمتلكون قوة السيطرة والتحكم بالناس، ويستلذون بعملهم، ويسخرون كفاءاتهم ومؤهلاتهم العقليَّة.

يقول هربرت أ. شيللر في كتابه (المتلاعبون بالعقول): "يقوم مديرو أجهزة الإعلام في أمريكا بوضع أسس عملية تداول "الصور والمعلومات"، ويُشرفون على معالجتها وتنقيحها، وإحكام السيطرة عليها، تلك الصور والمعلومات التي تحدد معتقداتنا وموقفنا، بل وتحدد سلوكنا في النهاية، ويعمد هؤلاء إلى طرح أفكار وتوجهات لا تتطابق مع حقائق الوجود الاجتماعي، مما يعني أنهم يتحولون إلى سائسي عقول.

هذه الأفكار التي تنحو إلى استحداث معنى زائف - للمفاهيم -، وإلى إنتاج وعي لا يتماشى مع الواقع، ولا يحقق شروط المعيشة الفعلي، ليست سوى أفكار مموهة مضللة - التضليل كأداة للقهر، ينطوي على عملية إخضاع للجماهير العريضة لرأي الأقليَّة التي تحكمُ وتحرِّك خيوط الرأي العام باتجاه ما تشاء وحين تشاء..

التضليل Manipulation يعني التأثير في شخص أو جماعة أو هيئة أو أمة بطريقة تنطوي على التمويه والخداع والتلاعب.

النخب الحاكمة تتبنى أسلوبين كأدوات للسيطرة الاجتماعيَّة:

١- القمع الشامل: أداة تستخدم عندما يكون الشعب مضطهداً ومغلوباً على أمره.

٢- الدعاية والتضليل: يستخدم عندما يبدأ الشعب في الظهور

كقوة وإرادة اجتماعيَّة.

قليل من المجتمعات قد أفلتت من الظروف القاسية، ومن القمع الشامل. أمَّا أمريكا الشمالية فلها خصوصية شديدة بالنسبة لغيرها، فهي التي انتزعت نهائياً ودون رجعة من سكانها الأصليين بالأداتين بالقوة المسلحة، ثم بالخداع والحيلة..!

ولم تدع الحاجة في أمريكا إلى استخدام أداة القمع - باستثناء الملونين والسود وهو استثناء يشمل الملايين - إلا قليلاً، ولكن تمثلت العبقرية المرعبة للنخبة السياسية الأمريكية منذ البداية في قدرتها على إقناع الشعب بالتصويت ضد أكثر مصالحه أهمية.

وحين تكون الدعاية والتضليل الإعلامي أداة أساسية للهيمنة الاجتماعيَّة تكون الأولوية لتنسيق الوسائل التقنية لهما على الأنشطة الثقافية الأخرى، وباستخدام أذكى المواهب إليها. وهذا الكتاب الذي نحن بصدده (خفايا الاستغلال الجنسي) وغيره من الكتب يتضمن صيحات وصرخات منذرة بما وصل إليه الحال بأيدي وسائل الاتصال والإعلام الحديث. يقول المخرج العالمي (بيتر واتكنز): "ويبدو أن النظام التعليمي والمؤسسات الإعلاميَّة هي المثال الأوضح على هذه الصفات. بيد أنه من الواضح أن فساد الحياة في مجتمعاتنا المعاصرة يزداد بمعدلاتٍ مُتسارعة، ومع تزايده يتزايد العنف، وتدمير الكوكب. وربما كان أهم جانب في هذا الفساد هو رفضنا العنيد أن نتعلم من الدروس التي يُعطيها لنا التاريخ.

من المستحيل أن نتصوَّر مدى اهتمام أو عدم اهتمام الناس بالأزمة الكوكبية المتزايدة بأشكالها المختلفة، أو حتى مدى معرفتهم بمدى هذه الأزمة حقاً. ما أنا متأكد منه هو أن معظم الناس في شتى بقاع الأرض يأخذون موقفاً سلبيّاً فيما يتعلّق بدورِ وسائلِ الإعلام. وأعتقد أنه من

الضروري والمنطقي أن نبحث عن أسباب هذه السلبيَّة، ونبحثَ عن العَلاقةِ المباشرة بين تلك الظاهرة والأزمة العالميَّة الكبرى بما في ذلك فقدان التاريخ..!!

ثمة ثلاثة عناصر أساسية للأزمة:

١- المشكلات الناجمة عن العَلاقةِ الحالية القائمة بين الناس وإنتاج واستهلاك منتجات وسائل الاتصال البصريَّة والسمعيَّة.

٢- اعتقادُنا غير الصحيح في أن المجتمع لا يستطيعُ أن يستخدم الصوت والصور المتحركة بطرق مغايرة تماماً من أجل التواصل، ومن ثم يكون بوسعنا التغلب على هذه الأزمة.

٣- المرشحات المتعددة الموجودة في المجتمع التي تمنع الناس من مناقشة كل هذه العوامل بشكل حر ومفتوح. هل ما زلنا بخير فعلاً أم نتصور ذلك..؟!

تتمثلُ إحدى العوائق الأساسية أمامنا في علاقتنا التقليدية بالصورة والصوت، فمنذ اختراع الراديو والسينما - والآن الفضائيات - تسقط كل المناقشات حول هذه الوسائط في فخ تقليدي، هو هل تُستخدم هذه الوسائط بوصفها أشكالاً للإمتاع، أو تستخدم بوصفها وسائل إشباع عقلي وثقافي..؟!

المشكلة أن الأطروحتين سواء الإمتاع أو التثقيف ترى تلك الوسائط بوصفها أُحادية الاتجاه من الصانع إلى المتلقي والمشترك، ونادراً ما تطرحُ قضية التواصل ثنائي الاتجاه الفاعل الحقيقي". والمشكلة كما أرى ناجمة عن مدى جهل الناس أو عدم إدراكهم وقلة تقييمهم لأهمية الصوت والصورة وأثرهما على الإنسان كونه عالماً كبيراً وعصياً في داخله، وإن ما يكنه أكبر مما يبديه، وعندما يجهل الإنسان ما يلقى إليه أو يكون

على الأقل لا يقدر الأمور وفق نصابها، فإن رؤيته للحياة تكون قاصرة، وأمانيه تسلك مسلك رؤيته، وتنعكس فيها مطابقة لرؤيته القاصرة. فالإشكالية لا تزالُ قائمةً داخل الإنسان كونه جاهل أو متجاهل، ما لم يفق إلى رشده فإن مصيره لا يكون إلا بقدر فهمه وإدراكه لما يحول ويصول حوله، والاطلاع على هذا الكتاب وغيره من الكتب ومعرفة أثر الصوت والصورة على النفس الإنسانيَّة، وتقييم وقع الصوت والصورة على ذاكرة الإنسان، وتشكيل الرؤية تعود إلى الخلفية الذهنية للإنسان، وتتحكم هذه الخلفية على سلوكيات الإنسان وقراراته المصيرية. فإن طبيعة استغلال الإعلام العالمي لبني البشر شاملة وعامة بحيث سيطر الإعلام على جميع نواحي حياته، ولكن هذا الكتاب (خفايا...) يعالج مسألة معينة، وهي الاستغلال الجنسي في وسائل الإعلام. فقد أصبح الجسد هي السلعة الرائجة للإعلام، وقد قبل هذا الموقف بشكل طبيعي وتدريجي، فقد استطاع الإعلام بكل قوته وعناصره إقناع المقابل، وذلك بالسيطرة على عقله اللاواعي، فكل اللواتي يخرجن على الشاشات هن بنات من بني جلدتنا، وأباؤهن - قبل عقد من الزمن - كانوا ينكرون هذا الفعل ويشنعونه، وكانوا يرونه كبيرة لا تغتفر، ولكن بعد عمل وسائل الإعلام المنهجي وأثره على العقول والشعور الباطنة والظاهرة أصبحت هذه الظاهرة طبيعيَّة، والرغبة في استثمار الجسد كانت وراء "أَنْثَنَة الإعلام".. وتحوُّل نساء الإعلان إلى مذيعات، كلٌّ مؤهلاتهن نصيبهُنَّ من الجمال، حتى إن عدداً من الفضائيات شهد تحوُّل عارضاتِ وملكاتِ جمال إلى مذيعات، مما أدَّى إلى غياب المضمون ومقتضيات العمل الإعلاميّ، ليتحوَّل الهدف إلى جذب المشاهد.

وفي هذا السياق تأتي صحافة الفن التي لا تهتمُّ إلا بشؤون الفنانين الخاصة، والحضور الطاغي للجسد، في ظل غياب المضمون النقدي

الفني، وتسطيح المفاهيم، وباتت برامج "التجميل" وعروض الأزياء والرياضة النسائية من أهم البرامج في بعض الفضائيات.

هذا الحضور الطاغي للجسد من شأنه أن يثير مجموعة من الأسئلة حول علاقة الصورة بالقيمة والمضمون بما تشكل مدخلاً مهمًا لقراءة تلك التحولات المشار إليها بمستوياتها المختلفة والمتشابكة".

تعاطي الاستيلاء التجاري على اللاوعي

في المحاور السابقة سلطنا الضوء على مسائل مهمة تطرق إليها هذا الكتاب، هذا، وقد قسم الكاتب كتابه على اثنتي عشر فصلاً، وكان ذكياً في اختيار العناوين، وخبيراً في فكّ الرموز، وحلِّ الشيفرات، وتحليل الألوان والأقمشة، واستقراء سايكولوجيَّة الموضة...إلخ. ففي الفصل الأول يشرع في تعاطي الاستيلاء التجاري على اللاوعي، قائلاً: إن هذا الكتاب يسبرُ آثار وسائل الإعلام والاتصالات على الفرد والمجتمع، ويدرسُ استخدامها لتقنيات اللاوعي، وما تقومُ به تلك الوسائل بالمجتمع الأمريكي"[١]. الثقافة الأمريكية قد أسست على أساس مفهوم حرية الإرادة، والاعتقاد بأن كل الأفراد باستطاعتهم وعبر وعيهم الإرادي أن يُحدِّدوا لأنفسهم قيمهم الأخلاقيَّة، واهتماماتهم السياسيَّة، والاقتصاديَّة، والمحيط الاجتماعي"[٢]. وينهضُ الكاتب في محاولة منه لمحاججة هذا المفهوم ورده، ويرى أن الأمريكيين مخدوعون بما يتعرضون له من تضليل إعلامي، ويذهب بالقول إلى أن "الأكثر من

١- خفايا الاستغلال الجنسي في وسائل الإعلام، ص٢٤.
٢- خفايا الاستغلال الجنسي في وسائل الإعلام، ص٢٤.

ذلك هو أننا جميعاً نستمتع بكوننا مخدوعين"[١].

وفي الفصل الثاني يتناول الكاتب حركة الوسائل الإعلاميَّة الأمريكيَّة، ودخولها في حمأة الإباحة الجنسيَّة، بقوله إن: "وسائل الإعلام الأمريكية تصدر وتذيع - بلا توقف - الإباحة الجنسيَّة. الواقع الحزين - على أيِّ حال - يبدو أنه تلك الجنسانيَّة المفرطة في أفضل أحوالها - هي مجرد خيال ووهم مخادع آخر لتقنية التجارة"[٢].

"وفي أكثر من مائة مقابلة مع إناث جامعيَّات، وجدنا أن معدي المقابلات الأنثوية استطاعوا إقناع أقل من ٥٪ فقط من الإناث لإبداء موقف إيجابي تجاه إصدارات كتلك التي هناك، وهناك قلة بلغت نسبتهن حوالي ١٠٪ أعربن عن سخطهن من التصوير الجنسي، والمنحط، والمهين للمرأة على أنها كأدوات هشة، وخاملة من الأثاث المنزلي المهمل في الإصدارات كلها، أما فيما يتعلق بالنساء اللواتي بلغت نسبتهن ٨٥٪ فقد رأين أن الإصدارات كانت نوعاً من الدعابة. لقد أبدين أنهن غير مباليات بتلك الإصدارات بشكل لا يمكن إبداؤه لأي شيء آخر. وعندما تم سؤالهن إن كن سيشترين المجلة كانت إجابة أكثر من ٩٥٪ منهن بـ(لا)، ومن اللواتي قلن إنهن من الممكن أن يشترين إصداراً واحداً فقط، فلم ترغب أيهن بشراء اثنين أو أكثر. في الجواب عن السؤال الأخير ما نوع الفتيات اللواتي يقرأن مجلة (بلاي جينز)؟ كانت الإجابة من قبل معظم المجيبات: إنهن لا يعلمن، أو ليس بإمكانهن أن يكن متأكدات من الإجابة الصحيحة، ومن هذه العينة فقد وجدنا أن ١٥٪ أجبن بإجابات مثل: غريبات الأطوار، أو

١- خفايا الاستغلال الجنسي في وسائل الإعلام، ص٢٥.

٢- خفايا الاستغلال الجنسي في وسائل الإعلام ، ص٤٣.

العاهرات، أو الشاذات جنسياً، أو الفاسـقات..إلخ"[١]. و"كتمويـه قـام أصحاب الشركات بترتيب طالبات جامعيات لتمثيـل المجلـتين أثنـاء المقابلات على أنها إصدارات مخصصة للنساء. لقـد تم تـدريبهن بشـكل خاص على إظهار الحماس تجاه المجلات أثناء المقابلة"[٢].

وقد رأينا وسائل إعلاميَّة في العراق تحاول أن تفبرك أمـوراً شـبيهة بتلك التي أوردناها. فقد قامت إحدى القنوات بإعداد برنـامج يتنـاول مشكلات الشباب، وذلك وفق اعترافات مباشرة وعلى الشاشـة، ألا أن التصنع والتمثيل كانا السمة البارزة في البرنامج. وقد اتضح بعد ذلـك أن الذين قاموا بمقابلتهم كانوا من منتسبيهم.

وفي الفصل الثالث يتناول الكاتب مشكلة كبيرة، وهي التي تحوَّلت الآن إلى الشرق، ومن ضمنه العراق وكوردستان، وتتمثـل في إشـكالية التجديد في أثاث البيت بدون حاجة تلجئ المواطنين إلى ذلك، وهذا مـا أثقل كاهل رب البيت دون مراعاة الدخل الشـهري المحـدود. ويـذهب الكاتب إلى أن الإعلام استطاع أن يؤثر على عقل المشـاهد، وأن يخـرج ما في جيبه دون أي حاجة يُذكر، وهـو يقـول: "حتـى إن العديـد مـن الرجال تحدَّثوا بحماقة عن رغبتهم في أخذ بنطالين إضافيين مع بدلاتهم، ولكن المفاجأة أنه بحلول عام ١٩٧٠م، كانت حتى أغلى بذلـة مـن عـام ١٩٦٨م، قد بطلت صناعتها، وأغلبهـا لم يـتم ارتـداؤها، واسـتعمالها أيضاً. أي رجل سـيكون - آنـذاك - غـير مرتـاح بارتدائـه بذلـة عمـر ماركتها سنتين حتـى ولـو لمسـافة قصـيرة لا تتجـاوز دكـان في زاويـة الحي"[٣].

١- خفايا الاستغلال الجنسي في وسائل الإعلام، ص٦٢.
٢- خفايا الاستغلال الجنسي في وسائل الإعلام ، ص٦١.
٣- خفايا الاستغلال الجنسي في وسائل الإعلام، ص٧٢.

مكمن جمال المراة..!!

ويشيرُ أيضاً إلى أن الإعلام سيطر على سايكولوجيَّة المرأة. حتى أنه جعل المرأة التي تمتلك صدراً صغيراً تحسُّ بنقصٍ في ذاتها. فالثقافة الإعلامية الأمريكية أبرزت أن جمال المرأة يكمُن في صدرها، وقد انعكست هذه الثقافة على شعوب غير أمريكيَّة، فمثلاً قبل أن تسيطر وسائل الإعلام على عقول المجتمعات كان لكل مجتمع ثقافته ورؤيته في المرأة والطفل والرجل والأرض. فإن الصينيين كانوا يرون أن جمال المرأة يكمُن في صغر قدميها، فالكاتب يؤكد أن المرأة الصينية مثلاً في ظل العولمة قد أحسَّت أن جمالها قد خرج من قدميها، وتحوَّل إلى صدرها، وذلك تحت ضغوط الثقافة الأمريكيَّة، حتى أن الألمانيات السمينات يشعرن بالنقص أمام أزواجهن، أو أبنائهن، حتى أنهن يخجلن أمام أصدقائهن، فعندما يتجوَّلن في الأسواق يتقدمهن الفتيان خجلاً من نظرة المجتمع حيالهن. وقد تحوَّل هذا المرض إلى مجتمعاتنا. فالمرأة السمينة في هذا الجيل الصاعد لا تحظى بالرضا والمقبولية، فهي تحاول أن تقلل من أكلها وطعامها، وتستخدم نظاماً قاسياً في فن الحرمان الذي يسمى بـ(الريجيم) خشية السمنة، في حين أن جمال المرأة في قيمها وأخلاقها وروحها، وليس في سمنتها أو هزالها، ولكن الإعلام جعل من المرأة وعاءً لا أقل أو أكثر، فهي تتلقى المعطى الإعلامي بشكل منتظم وفق آلية مبرمجة سلفاً.

هيمنة القاصرات

يشيرُ الكاتب إلى شيوع مرض متفشٍ داخل الذاكرة الأمريكية، ويتمثل في أن "الثقافة الأمريكية لديها محرمات قوية ترتبط بالعلاقة ما بين الرجال الكبار مع النساء الصغيرات، وهو أحد المحرمات

الأمريكية الرئيسة، وتسمى - في بعض الأحيان - تزامن الرجل الشاذ المتقدم في السن، حتى أننا حتى اليوم، بالإضافة إلى ما سبق نسمعُ عن نظير ذلك، أي عن المراة الشاذة المتقدمة في السن، إن ذلك مشتق مما يسمى سفاح القربى، حيث أنه يجسد العلاقة الجنسية بين الوالدين مع أولادهم."[1].

ويؤكد الكاتب بأن الإعلام الأمريكيّ جعل من كل حركة، وإن كانت تعبر عن حنان الأم وعطفها حيال أبنها إلى إيحاءات جنسية "الأم الأمريكية متدربة - بشكل تام - عبر حياتها لأن تخاف من ذلك الضرر الذي قد يتسبب به إرضاعها لطفلها، وهو ظهور التجاعيد، والتي من شأنها أن تقلل من الجاذبية الجنسية للأم، وبالتالي، القضاء على حياتها"[2].

ويتحدَّث الكتاب عن الخطاب الأمريكي لجمهوره الخاص، وكل كلمة أو صورة توحي بايماءات جنسية مستقذرة، يُراد من خلالها تأصيل نظرية فرويد المنهارة بأدلةٍ علميَّة.

وفي فصل مستقل يتحدثُ عن النطافة في الفكر الاستثماري وانعكاساته على الشعب الأمريكي "تلك النظافة تعني رائحة الأحاسيس الشمية هي تيقظ مبهم وأحاسيس نصف مفهومة، وهي التي تكون مصحوبة مع عواطف جيَّاشة"، كما أشار الكاتب في الصفحات الأولى من الكتاب إلى أن الإعلام الحديث ووسائله المتطورة استطاع أن يكتسح دفاعاتنا الطبيعية أي أن يدمر الفطرة، ويذكر شركة IFF وهي شركة النكهات والعطور الدولية المحدودة (شركة عظيمة عالمية، مقرها نيويورك)، وهي شركة عملها السيطرة على

١- خفايا الاستغلال الجنسي في وسائل الإعلام، ص٩٦.

٢- المرجع نفسه، ص٩٩.

التجربة الحسية لملايين الأفراد في العالم. في مختبراتهم، يوجد حوالي ٦٠ ألف رائحة، و٢٠ ألف نكهة. هذه الشركات تتفاخر - وبشكل صريح - أن عملها هو عمل شهوة وجنس، هذان المسلكان هما الأهم بالنسبة لبقاء البشر عبر المليون سنة المنصرمة، أو ما شابه من مراحل التطور البشري. الكثير من روائحهم مصنفة لا شعورياً، بعدما يتم إدراكها شعورياً"[١].

اشتهاء الموتى

وفصل آخر: اشتهاء الموتى (الانجذاب المرضي نحو الجثث) والانجذاب إلى ما هو ميت، وفاسد، وعديم الحياة، وميكانيكي صرف، هو أمر يتزايد عبر مجتمعنا الصناعي، الذي يستخدمُ التقنيَّات في السيطرة الحيوية. الشعار الكتائبي الذي يقول: (يحيا الموت) يُهدِّد بأن يصبح المبدأ السري لمجتمع يشكل فيه غزو الآلات للطبيعة المعنى الأقوى للتقدم، وحيث الإنسان الحي يصبح ملحقاً للآلة"[٢]، وبعد عرض هذا الفلم الذي يسمَّى بـ(الرقية)، "وعملياً بعد عرض هذا الفلم تعرَّض المشاهدون إلى أمراضٍ نفسيَّة وباطنيَّة"، وهذا يعني أن الإعلام تخلل إلى داخل نفوس الشعب واستغلاله والتلاعب به. وخلال هذا العرض السريع لعنوان المواضيع يتبيَّنُ لنا ماهية المواضيع التي تطرَّق إليها الكتاب، ونلخصها في الآتي لضيق الوقت:

الاستيلاء التّجاري على اللاّوعي[٣]. وقد أشرنا آنفاً إلى حيثيَّات هذا الفصل، وقد طالعت تعقيباً حول الدعاية في السينما الأمريكية

١- خفايا الاستغلال الجنسي في وسائل الإعلام، ص١٢٦.
٢- خفايا الاستغلال الجنسي في وسائل الإعلام ، ص١٤٨.
٣- خفايا الاستغلال الجنسي في وسائل الإعلام، ص٢٤.

جاء فيه: "قد تمّ اختيار موضوع الدعاية المقدمة من خلال أشرطة الخيالة، باعتبارها إحدى وسائل الاتصال الجماهيري، حيث استخدم مُقدّمو الدعاية، فنون وتقنيات هذه الوسيلة الإعلاميَّة، من أجل إيصال الأغراض الدعائيَّة في قوالب ترفيهية، تم إعدادها بكلّ اهتمام ودقة، واضعين في الاعتبار، جذب انتباه أكبر عدد ممكن من المتلقين، حيث أن الخطوات أو المراحل النفسيَّة الأساسيَّة التي يجب أن تتضمنها العمليَّة الاتصالية الإقناعية وهي أولا جذب الانتباه والحفاظ عليه".

الجنسياسة

وفي عنوان آخر يورد "الجنس في السِّياسة"[١]. والمقلق أن هذه التحولات على مستوى القيم والمفاهيم ترتهن لمتغيرات سياسية اقتصادية تتمُّ في سياق صراع حضاري، وتدافع القيم الإسلامية مع الغربية، وتتم على أيدي نخبة من الأدباء والفنانين والمثقفين تتلاقى مع توجهات الساسة، والمتغيرات الدوليَّة. فإلغاء الرقابة "وهي حكوميَّة بالأصل تراعي الحد الأدنى من قيم المجتمع"، وتناول موضوعات الجنس هو (تطور) بحسب المخرجين والفنانين، بل ظهر توجه مماثل في العقد الأخير لدى بعض المثقفين. ويتفاخر هؤلاء جميعاً ببلوغ هذا التطور عبر إنتاجهم التجاري (الثقافي في الأصل) من دون أن يعيقهم تناقض ذلك مع تخلفهم الإنساني وسلوكهم الشخصي..!

و"هتك المحرم" (يقتصر عندنا على الجنس والدين دون السياسة!) مفهوم حداثي ينبع من صميم الفردية والحرية الليبرالية اللتين قامت بهما أهم ركائز الحداثة الغربيَّة، وهذا يكون مع نخبتنا العربية بمنزلة الإعلان عن الانتماء إلى المنظومة الغربية، ومن هنا نفهم احتفال

١- خفايا الاستغلال الجنسي في وسائل الإعلام ، ص٣٢.

المؤسسات الغربية بمثل هؤلاء، وتكون ممارسة "هتك المحرم" - حسب هؤلاء - "تنويرًا" للمجتمع من جهة أخرى.

كانت هذه التحولات أبرز سمات الرأسمالية التي أرست قيم الاستهلاك الطاغية، وحولت الإنسان إلى "شيء"، والجسد الأنثوي إلى صناعة عالمية تستغل البؤر البالغة الحساسية في الطبيعة الإنسانية لاستثمارها اقتصاديًا. فالثقافة الاستهلاكيَّة تحتفلُ بالجسد بوصفه حاملاً للذة يَشتهي ويُشتهى بحيث تتحول العلاقة بين الجسد والآخر إلى علاقة قائمة على الحاجة والإشباع، ويكون العرض والطلب والإنتاج والاستهلاك أدواتها الفاعلة في عملية التسويق (الثقافي والفني). من هنا نجد أن "المتعة" "فقدت بُعدها التواصلي الإنساني إلى نوع من الشغف الاستعراضي المثير الذي يهدف إلى إثارة مجموعة من الاستيهامات بين الرجل والمرأة".

وفي فصل آخر يذهبُ الكاتب إلى أن الجنس بإمكانه أن يكون صلباً، وسَهْل الكَسْر أيضاً[1]، "ضجيج الجسد الذي تعج به السينما والفضائيات والصحافة والشوارع أحال حياتنا إلى استعراضات مفرطة أصابت الجسد والجنس بكثير من الترهل والإطناب، بل إنه أعاد صياغة رؤيتنا للجسد من خلال إحداث تغيرات على مستوى المفاهيم والقيم. وبات حضور الجسد يرسم تحولات مختلفة، ثقافية واقتصادية واجتماعية وأخلاقية، بل وربما سياسية.

وفي بحث آخر يقول: ما نوع الفتيات (في الواقع) اللاَّتي تقرأن مجلَّة "بلاي جيرل"؟[2]. وسائل الإعلام الأمريكية تصدر وتذيع - بلا توقف - موضوعات عن الإباحية الجنسيَّة. الواقع الحزين - على أيِّ حال - يبدو

١- خفايا الاستغلال الجنسي في وسائل الإعلام، ص٩٥.
٢- خفايا الاستغلال الجنسي في وسائل الإعلام ، ص١٦٥.

أنه يتمثل في تلك الجنسانية المفرطة، وهي مجرد خيال ووهم مخادع آخر لتقنية التجارة"[١].

الجنسانيّة المُغلقة

أشرنا في المواضيع السابقة إلى الكثير من القضايا التي عالجها الكتاب بدقة، وفي هذا القسم الأخير نستعرضُ جوانب أخرى من هذا الكتاب الذي يثير قضايا مهمة في هذا المجال، ففيما يتعلق بالمجلات التي تصدر خصيصاً للنساء فإن الإحصائيات التي قامت بها الجهات المختصة أظهرت النتائج الآتية: " ففي أكثر من مائة مقابلة مع إناث جامعيات، معدو المقابلات الأنثوية استطاعوا إقناع أقل من ٥٪ فقط من الإناث لإبداء موقف إيجابي تجاه إصدارات كتلك، وهناك قلة من النساء بلغت نسبتهن حوالي ١٠٪ أعربن عن سخطهن من التصوير الجنسي، والمنحط، والمهين للمرأة على أنها كأدوات هشة، وخاملة من الأثاث المنزلي المهمل في الإصدارات كلها، وكان تجاوب معظم النساء والتي بلغت نسبتهن ٨٥٪ رأين الإصدارات كأنها نوع من الدعاية. وقد لُوحظ منهن أنهن غير مباليات بتلك الإصدارات بشكل لا يمكن إبداؤه لأي شيء آخر. وعندما تم سؤالهن: إن كن سيشترين المجلة كانت إجابة أكثر من ٩٥٪ قطعاً بـ(لا). ومن أولئك اللواتي قلن: إنهن من الممكن أن يشترين إصداراً واحداً فقط، فلم ترغب أيهن بشراء اثنين أو أكثر. وفي الجواب عن السؤال الأخير: ما نوع الفتيات اللواتي يقرأن مجلة بلاي جينز؟ كانت الإجابة من قبل معظم المجيبات: أنهن لا يعلمن، أو ليس بإمكانهن إن يكن متأكدات من الإجابة الصحيحة، وقد أجابت

١- خفايا الاستغلال الجنسي في وسائل الإعلام ، ص٤٣.

ما يقارب ١٥٪ إجابات مثل: غريبات الأطوار، أو العاهرات، أو الشاذات جنسياً، أو الفاسقات... إلخ"[١].

وهنا نقتطف بعض العناوين الرئيسة التي عرضها الكاتب في كتابه وتتمثل في: رسالة المُوضة، وهي أفضل طريقة لتجعل الهَجْر النَّفسي المُخطَّط، التَّصوُّر الذَّاتي الإيجابي أمراً حَيَوياً، الدَّاخل والخارج، في غابات "مانهاتن"، تسويغات الوعي، اللّون البدائي، الواقعيَّة أمام الحُلم، الوردةُ هي وردةٌ، حُماة السِّرِّ، لُغة الجسم التّطبيقيَّة، أفضل ما في الأعمال، أطفال ثقافة الحَلَمَة، مع النّتائج الدّائمة مدى الحياة، المُحرَّمات التّقليديَّة القويَّة، لُوليتا ما تزال حيَّة، (حسناً)، ولكنَّها تعيش في وسائل الإعلام، الثّقافة الشّاملة المُتكاملة، الاستغلال بالعُنف من قبَل وسائل الإعلام، التّنقيح يهزم المَسّ، فجوات كريست، النّظافة الأمريكيَّة، التّسويق الصّعب للنّظافة، الانتظام الأمريكي، التّزامن الشّرجي، النّاعم هُو الأفضل، الجنسيَّة المُغلقة، أجهزة الإعلام المُتَدفّقة المجّانيّ، كُن نظيفاً باستخدام "الفازيلين"، كريمات التّجميل المَنويَّة، الحيوانات الأليفة اللاّشُعُوريَّة مُختلفة، تلك النّظافة تعني لا رائحة، الشّمُّ هُو عمل تجاريٌّ كبير، التَّكيُّف الثّقافي على الإدمان".

والذي يخيفني هو السيطرة الإعلامية على توجيه السلوك لدى الأفراد. فالغربُ حريصٌ على إلزام المقابل برؤيته، وإن كانت رؤيته سقيمة، ولا يقبل الجدل في هذا، والذي يقوم به الغرب من الاستهتار والسخرية بمستقبل العراق وأفغانستان يندى له الجبين: "وهذا الاستهلاك يتصل بالتنميط الغربي الذي يكشف عن تشوهات أحدثها الاستنساخ الثقافي، فمثلاً مسرحية تنيسي وليامز "عربة اسمها الرغبة" تم استنساخها في ثلاثة أفلام مصرية (الانحراف ١٩٨٥م -

---

١- خفايا الاستغلال الجنسي في وسائل الإعلام، ص٦٢.

الفريسة ١٩٨٦م - الرغبة ٢٠٠٢م)، وهو بحسب الروائي يوسف القعيد "تمصير سيء"، حيث لم يتم تمصير البارات الكثيرة، وفتيات الليل اللاتي يقفن في الشوارع ليلاً تحت أعمدة النور، ويناولن الكحول بصورة إدمانية. فبينما يبدو المجتمع الغربي منشغلاً بلذاته ورغباته، وفقيراً بالقضايا الكلية التي تشغله، يكون استنساخنا لرغباته واهتماماته إسهاماً في تغييب القضايا الكلية والمصيرية في مجتمعاتنا المثقلة والمثخنة بالأزمات، وهذا من شأنه أن يصب في مصلحة السياسي، إذ يشغل عن مداخلة الفعل السياسي، ومناقشة القرار السياسي، فضلاً عن أن "الرقابة" تصير إلى أن تكون قاصرة على المحظور السياسي وهو المهم..!

ربما نكون تجاوزنا مرحلة "الخصوصية" أو كما يسميها الفرنسيون "تلذذ الاستثناء الثقافي". لننخرط في تنميط العولمة والاندماج في الآخر بحيث تكون اهتماماته هي اهتماماتنا، ومفاهيمه هي مفاهيمنا في خصوص الجسد على الأقل". وهذا ما يجعلنا في موضع (إدمان الاستهلاك)[1]. "بالطبع ثمة محاولات جادة يحاولها عدد متزايد من الناس في كل أنحاء العالم لمواجهة الأزمة الكوكبية وتلك "القيم" المعكوسة التي أودت بنا لهذه النقطة، لكن من الصعب أن نهرب من رؤية أن الكثيرين منا متورطون بشكل أو بآخر فيما عرف من قبل الحرب الباردة وخطر الحرب النووية باسم عدم المبالاة المتعمدة والمدروسة. فبينما نحن نتغاضى ولا نبالي يعاني بقية البشر في معظم أنحاء العالم كي ننعم نحن "بالحرية"، "والطعام" و"الطاقة". أي: كي نحيا بهذه الطريقة المدمرة.

ورغم أن وجودنا الموجه نحو الاستهلاك يبعد كل البعد عن حقيقة

١- خفايا الاستغلال الجنسي في وسائل الإعلام، ص٢١١.

حياة ملايين البشر على كوكبنا من أولئك الذين يعيشون على الكفاف ويأكلون بالكاد، فإن الرؤية الليبرالية الجديدة حول "الحرية"، و"التقدم" يتمُّ الالتزام بها في كلِّ مكانٍ من إفريقيا إلى الصين إلى دول الاتحاد السوفيتي السابق بوصفها النموذج الاجتماعي والاقتصادي المنشود.

هذه الرؤية التي تفرضُ علينا خطاً معيناً لتطور كوكبنا هي أحد العناصر الأساسية فيما يسمى بـ"العولمة" التي يقولون لنا: إنها حتمية، ويتمُّ فرضُ هذه الرؤية من خلال سلوك معظم حكومات العالم، وأيضاً عبر وسائل الإعلام الكوكبيَّة، والسينما الهوليوديَّة، ومستنسخاتها في أوروبا وآسيا. وتستمر عملية وضع أساس القبول الأعمى للعولمة من قبل بلايين البشر في كل أنحاء العالم بشكل منتظم ودائم. وتقوم وسائل الاتصال البصرية والسمعية بدور حيوي في هذا المجال". وإذا كان هناك نوع من الإفاقة من قبل الشعوب المغلوبة إلا أنه في كوردستان لا يزال التلقي الأعمى والتبعية المذمومة في بدايتها، والناس مشغوفون بما يتوافد عليهم دون التمييز بين الجيد والرديء، وبين الصحيح والسقيم. فقد جعلوا من شعبنا أن يلتهم كل المواد المستهلكة والنافذة المفعول، بحيث يتسابق الناس لكسب فضلات الثقافات الأخرى، وهكذا ينسلخ بالتدريج عن تراثه وفكره وتاريخه تحت مسميات متنوعة. ويُرجى من المثقفين أن يطالعوا هذا الكتاب ويتعمَّقوا فيه.

غيبوبة الولايات المتحدة الأمريكيَّة

الإنسان في كثير من الأحيان يندمُ على أشياء فعله ويقول: يا ليتني لم أفعل كذا.. وكذا..! وياليتني لم أخط هذه الخطوة و...و...! وإنني كإنسان

كثيراً ما ندمت على أعمال بدرت مني، ولكنني لم أندم على قراءتي لكتاب أو صحيفة أو شيء من هذا القبيل..! إلا في هذه المرة أستطيع أن أقول إنني ندمت فعلاً على قراءتي لهذا الكتاب، وذلك لأسباب لا أستطيع ان أجمعها في عبارة أو جملة واحدة، ولكن الذي أستطيع أن أشخصه هو أن نفسي قد تأذت من خلال قراءتي لهذا الكتاب لما يحتويه من ظلم واغتصاب وتسيب وجرائم منظمة ومحصنة قانونياً و...إلخ، وإنني في هذا المجال أعرض أهم المحاور - أو بعبارة أدق ما رأيته جديراً للعرض - مما تناولته في هذا الكتاب، وقد لا يحتاج القارىء إلى قراءة الكتاب مكتفياً بما ألخصه في هذا المقال:

فالكتاب من تأليف (كاثي اوبراين)، و(مارك فيليبس) فمضمون الكتاب (غيبوبة الولايات المتحدة الأمريكيَّة) كما جاء على غلافه يحتوي سيرة ذاتية موثقة لضحية التحكم الحكومي الرسمي بالعقل. كاثي اوبراين هي الناجية المعلنة الوحيدة التي شفيت من آثار عملية "مونارك" للتحكم بالعقل التابعة لمشروع وكالة الاستخبارات الأمريكيَّة (MK- ULTRA) أما العبارة المحفورة على الحجر الأبيض لمبنى مقر قيادة وكالة الاستخبارات المركزيَّة الأمريكيَّة في (لانغلي) بولاية فرجينيا والمتقطعة من الكتاب المقدس ومن كتابات القديس يوحنا، والتي تقول: "... والحقيقةُ ستجعلكَ حُرًّا"، فإنها مثل الوكالة نفسها، حقيقية تماماً، ذلك أن البناء الذي حُفرت عليه تلك العبارة يضم أكبر وأنجح مجموعة من مفبركي الأكاذيب التي تسهل شن الحروب النفسيَّة في العالم.

وفي الثالث من أغسطس/ آب لعام ١٩٧٧م افتتح الكونغرس الأمريكيِّ الخامس والتسعون جلسات الاستماع إلى الانتهاكات المبلغ عنها والتي تخص برنامج أبحاث التحكم بالعقل البالغ السرية، وفي

فبراير/ شباط ١٩٨٢م كانت كاثي اوبراين، وهي ضحية من ضحاياهم قد أنقذت بسرية من عبوديَّةِ التحكم العقلي بفضل أحد العاملين في الاستخبارات مارك فيليبس. إن سعيها لتحقيق العدالة طوال سبع سنوات أوقف لأسباب تتعلّق بالأمنِ القومي. إن هذا الكتاب يكشفُ الحقيقة وراء الاستعمال الجرمي وغير الدستوري لقانون الأمن القومي الصادر ١٩٤٧م. فالنقاط البارزة في الكتاب هي كما يأتي:

١- استطاع القوة المهيمنة أن تتلاعب بالمعلومات من حيث المصدر فمثلاً جاء في ص١٥ "وربما أصبحت الآن مدركاً من خلال النقص الموجود في قاموس راندوم هاوس، وقاموس وبستر طبعة اوكسفورد، إنك وقعت ضحية للتحكم بالمعلومات". وجاء في ص١٦ "إننا نحيا اليوم في عالم يعتمد فيه الوجود المتواصل للحكومات والأعمال المتعددة الجنسية على الاتصالات المباشرة، ومع ذلك ونظراً لما يسمى الإفراط أو التضخم في المعلومات يظهر لأكثر الناس إننا نرى ونسمع من المعلومات ما يكفي لكي نتخذ قرارات عقلانية فيما يتعلّق بحياتنا الخاصّة، ولسوء الحظ فإن هذا غير صحيح. إن هذه المعلومات تشكل تدميراً سريعاً للمجتمع الذي عرفناه".

٢- إن الأمريكيين كما نراهم في وسائل الإعلام وطنيون ومتفاعلون مع المفاهيم الوطنية، وذلك لتلك الخصائص الموجودة كالحرية وحقوق الإنسان "ربما أكون أحببت يوماً ما قدَّمته لبلادي لكنني الآن أشعر بالخجل من كوني أمريكيَّاً" ص٣٩، وإذا تلاشت أو اضمحلت هذه المفاهيم كانت الانعكاسات سلبيَّة" لذا هناك انطباعات تتشكل وتتكاثر بأن القوة أو النظام السياسي الأمريكيِّ بدأ يُهدِّد جميع تلك المفاهيم الإنسانيَّة، وبحجة الأمن القومي والذي أصبح يُهدِّد الامريكيين ووطنهم وتجربتهم

الديمقراطيَّة"[1]. لقد أصبح واضحاً إن قانون الأمن القومي وضع بشكل خاص ليحمي النشاط الإجرامي للطبقات العليا ليحمي الأسرار العسكرية". وفي ص٧٧ "واليوم نحن جميعاً (كاثي وكيلي وأنا) وكُلُّ المواطنين الصادقين نقفُ على تقاطع طريق بين الثورة والتطور فمن خلال الثورة المسلحة سنتلاشى نحن الوطنيين وينبثق مجتمع تسيطر عليه الحكومة كلياً إيذاناً ببدء عصر من (عصور الظلام).

٣- ما يُعانيه الرؤساء الأمريكيون من شذوذ في العلاقات الجنسية وأمراض نفسية مرعبة، فالكتاب يذكر أسماء كثيرة من الرؤساء وأعضاء كونغرس وسيناتورات وقيادات عسكرية وغيرهم كريغان، وتشيني، وجورج بوش الأب والابن، وأسماء أخرى ذكرت في الكتاب وأخجل من ذكر تلك الممارسات الجنسية الشنيعة.

٤- ضلوع كثيرين من أولئك الرؤساء المذكورين في النقطة الثالثة في أعمال تهريب وتجارة المخدرات وتجارة بأجزاء الإنسان غير الشرعية وضمن سلسلة اتفاقيات وآليات منظمة مرعبة وبيع الأسلحة و... مما لا تعد ولا تحصى" بحيث تصور تلك القادة أو تلك السلطة المهيمنة بعصابة قاتلة تسيطر على المال والقوة ومن ضمنهم يذكر اسم كلينتون، وتشيني، وغيرهما.

٥- وقد جاء في الكتاب على إن الاستخبارات الأمريكيَّة تدير تجارة تعبيد الناس وبيعهم فقد وردت في ص٣٧ أنه "وبعد دقائق من الاستماع إلى تفاصيل تتعلق بتجارة الرقيق من السرية والضخامة التي تقوم بها وكالة الاستخبارات المركزية في جميع أنحاء العالم".

٦- يعرضُ بأن الإدارة الأمريكيَّة تستعين بالشعوذة والسحر

١- غيبوبة الولايات المتحدة الأمريكيَّة، ص٢١.

والطقوسات الدينية لنيل مآربها "ففي عام ١٩٧١م نشرت جريدة نيويورك تايمز تقريراً سمعت بنشره حكومة الولايات المتحدة في إطار ما يُسمَّى (حرية المعلومات)، وهو عبارة عن تقرير مقدم للكونغرس يبين بوضوح أن وكالة الاستخبارات المركزية مهتمة بدراسة نتائج التأثير السريرية لهذه الطقوس الدينية الغامضة على ممارسي السحر الأسود". وذلك للتأثير على الآخرين والذي حظي بالمكانة الأولى من حيث الأهمية في بحوث وكالة الاستخبارات المركزية طقوس آكلي لحوم البشر والدم. ص١٩، وفي ص٤٠ يذكر أنه قد تم توظيف سطور من الكتاب المقدس لأغراضهم الدنيئة، وكذلك السيد المسيح للسيطرة على عقول الآخرين.

٧- علاقة الكنيسة الكاثوليكيَّة بالإدارة الأمريكية فقد جاء في ص١٦١ "وبالطبع فإن لدى الكنيسة الكاثوليكية بنيتها السياسية الخاصة بها مع البابا الذي يترأس الجميع، والروابط القوية بين الكنيسة الكاثوليكية وحكومة الولايات المتحدة كانت ظاهرة بشكل واضح من خلال العلاقة المعلنة بين الرئيس والبابا في عهد ريغان. وقد كنت مطلعة - تقول كاثي - على هذه العلاقة منذ مشاركتي الأولى في القداس، وكانت مراسم المحافظة على الصمت تغطي هذه العلاقة. وتجربتي مع تورط المركز الكاثوليكي المباشر في التشريط الجسدي والنفسي لصالح مشروع مونارك يؤكد أن هناك اتحاداً بين حكومة الولايات المتحدة والكنيسة الكاثوليكية".

٨- اهتمام الرؤساء الأمريكيين بموضوع الممارسات الجنسية الماجنة فقد جاء في ص٢٢٩ :"ومما لا شك فيه أن ريغان قد شاهد فيلمي

"كيف تقسم شخصية وكيف تصنع جارية للجنس" الذين تم انتاجهما في (هانستفيل) بولاية (الاباما). وقد تصرف معي بلطف بالغ كما لو كنت قد شاركت فيهما بملء إرادتي. وفي الدقائق الأولى من لقائي به، كان يزودني بإرشادات لاتبعها في عمليات أفلام الدعارة الحكوميَّة. وقد قال لي عندما تندمجين في دورك فسيزداد أداؤك قوة، مما سيزيد من قدرتك على أداءِ دورك من أجل بلدك، لا تسألي ما الذي يمكن أن يفعله بلدك لك، واسألي عما يمكنك أن تفعلي من أجل بلدك "، والسؤال كيف يمكن أن تخدم بلدها والجواب كما جاء في ص٢٣٠ هو من خلال "إمتاع السياسيين جنسيّاً".

٩- ومما لا شك فيه أن لكل عمل إنساني دوافعه والإنسان بطبيعته ميال لاستخدام هذه الدوافع كمبررات وأعذار لنفسه، ومن إحدى المبررات التي ساقها الكتاب في ص٢١٥ هو "وبرر (بيرد) أيضاً تقديمي ضحية بالقول: على كل حال لقد فقدت عقلك، وعلى الأقل مصيرك الآن بيدي". إن ضلوع بلدنا في نشر المخدرات، والأفلام الإباحية، والمتاجرة بالرقيق الأبيض قد تمَّ تبريره على أنه وسائل كسب السيطرة على النشاطات اللاشرعيَّة في جميع أنحاء العالم لتمويل ميزانية النِشاط السريّ المشين. ذلك الذي يُؤدِّي إلى سلامِ العالم عبر الهيمنة عليه، والتحكم الكلي به".

١٠- وقد يكون الذي عرض في هذا الكتاب تضليل وتلبيس لرؤية ما، ويقوم بما قامت به المعاجم في التلاعب والسيطرة على مصادر المعلومات، وبذلك يؤدي إلى خلق جو مليء بعدم الثقة، وتدمير مواقع المعلومات، أي بعبارة أخرى قد يكون هذا الكتاب مساهمة في تضليل الوعي الإنساني..؟! ولكن بطريق غير مباشر، وهذا

بالتأكيد قد يكون من أعمال وكالة الاستخبارات الأمريكيَّة.

هل ستسقطُ الولايات المتحدة الأمريكيَّة..؟!

هذا السؤال طرحه الدكتور عبدالله النفيسي، وكثيرون من قبله قد طرحوه، وقد يطرحه لاحقاً آخرون، ولكن يبقى الإجابة مرهونة بقضايا موضوعية وسننية قيد الاستفسار والتساؤل الى أن يبين للعيان ما سيؤول اليه المستقبل.

لقد تنبأ سيد قطب (رحمه الله) بسقوطِ الولايات المتحدة الأمريكيَّة، ولكنه لم يُحدِّدْ التاريخ، لأن ذلك من علم الغيب، وإنما عرض الأعراض الموجبة للسقوط والتدهور، وقد فعل ذلك غيره، وحاول تشخيص العوامل الموجبة للسقوط أمثال ابن خلدون، وكولن ولسون، وشبنجلر، وتوينبي، وكثيرون غيرهم.

وفي هذه الصفحات نعرضُ رأي الدكتور عبدالله النفيسي في إحياء أو تجديد السؤال في هذا السياق الزمني، والذي قد يكون من الصعب علينا وعلى غيرنا أن يفكر في سقوط الولايات المتحدة الأمريكيَّة، والدكتور يثير هذا السؤال في جو من المقارنة بين كتلتين متخاصمتين طوال عقود في سجل الإجرام، وتسخير وتعبيد وتدمير الشعوب، تحت عنوان (الحروب الباردة)، ويبدأ بالقول: "في سنة ١٩٩٢م كانت فيها قوة عظمى في السياسة الدولية تسمى الاتحاد السوفياتي USSR أمَّا في سنة ١٩٩٤م فقد انهار الاتحاد السوفياتي وتشرذم، وتحوَّل إلى خمس عشرة جمهوريَّة، وقبلها بعامين كان الاتحاد السوفياتي يجوب العالم رائحاً غادياً يُوَزِّع القروض والسلاح والنفط والغذاء على حلفائه في العالم، وكانت موسكو نقطة المركز بالنسبة لكثير من الدول لا بل لكثير من الشعوب والأمم، بعدها بعامين كانت شوارع موسكو تعج بالجريمة والمتسولين

والبغايا والمافيا واليأس، كيف حدث كل ذلك..؟! ولماذا..؟! وفي لحظة تاريخية، وهل ما حدث في الاتحاد السوفياتي (وهو جلل) من الممكن أن يحدث في قوى دولية أخرى..؟! هل من الممكن أن يحدث للولايات المتحدة..؟! سؤال مشروع. ويقومُ الذكتور بتصنيف العوارض التي كانت كامنة داخل الاتحاد السوفياتي كالآتي:

١- لم يدخل الاتحاد السوفياتي في حرب فعلية مع خصم دولي ١٩٩٢م، وانهزم في هذه الحرب ١٩٩٤م، ثم انهار. ولم يدخل في حروبٍ أهليَّة.

٢- الذي حدث سنة ١٩٩٤م هو أن الاتحاد السوفياتي فقد مبرر وجوده التاريخيِّ، وفقد ما يُسمِّيه ابن خلدون (العصبيَّة) الداخليَّة التي تحافِظُ على تماسُك الدولة، ولذلك نستطيع القول بأن الاتحاد السوفياتي ذاب من حيث هو تشكيل سياسي، وفق نظرية ماركس التي تقول بأنه تأتي مرحلة في عمر الدولة تفقد فيها الدولة مبرر وجودها، ومسوّغ استمرارها، فتذوب كما يذوب فص الملح مهما كانت كبيرة وعظيمة نظرية ذوبان الدولة (Withering of the State).

٣- لأن القوة كانت حاضرة وفاعلة (الجيش الأحمر The Red Army) الذي كان يرعب المارة في شوارع براغ، وبودابست، وبوخارست، وكراكوف، وكييف، ويريفان، وغيرها من المدن المكتظة بالملايين من الناس. وقد شكلت هذا الجيش فيما بعد عصابات تتاجر بالدماء والأطفال والأسلحة النووية وهذا ما يريد تجسيده فلم صانع السلام.

٤- وكان له حلفاء. كيف تعايشوا مع الانكشاف السياسي، والانكشاف العسكري.

٥- يقوم بعرض القوة السوفياتية من الجانب المؤسسي الذي حفر عميقاً لتوطيد أركانه (قام نفوذ السوفيات على شبكة من المؤسسات السياسية والعسكرية والثقافية والحزبية والشبابية والاقتصادية الضخمة وعلى مستوى دولي، وكان لهذه المؤسسات حضورها النفسي الكبير في نفوس عدد كبير من الدول والشعوب. كان الاتحاد السوفياتي الأب والراعي لحلف وارسو Warsow Pact الذي يضم القيادات العسكرية لكل الدول التي تحكمها الأحزاب الشيوعيَّة، وقد تدخل الحلف في عدة أقطار أوروبية لنصرة الأحزاب الشيوعيَّة الحاكمة فيها، وحقق عدة انتصارات في هذا المجال، وكانت منظمة الكومنترن Comintern تضمُّ كُلَّ الأحزاب الشيوعيَّة في العالم، وكان لها مؤتمراتها ومهرجاناتها شبه السنوية التي تعقد في موسكو، وكان دور هذه المنظمة تنظيم وتمويل وتوجيه النشاط الحزبي الشيوعيِّ في كُلِّ أنحاء العالم، وكان يحضرُ هذه المؤتمرات مندوبون من كُلِّ أنحاء الأرض، وكانت من ضمن الوفود أعدادٌ من اليمن، والبحرين، والسعوديَّة تحضر المؤتمرات، وتحصلُ على التوجيه والتمويل، وتعودُ لأقطارها لمزاولة نشَاطها السياسيِّ.

٦- ومن جانب المنظمات كان له قوة فاعِلَة، وكانت هناك منظمة الكوميكون Comicon أي المنظمة الاقتصاديَّة التي تقومُ بالإشراف وإدارة المعونات الاقتصاديَّة السوفياتيَّة لحلفاء الاتحاد السوفياتي التي تزودهم بالنفط والسلاح والغذاء وغير ذلك تحت مظلة الاتفاقات الثنائيَّة. وكانت هناك المنظمات الشبابية Komsomol التي تشرف على نشاط الشبيبة الشيوعيَّة في كل أنحاء العالم، ولها ميزانيَّات ضخمة، وإدارة كبيرة، وأجهزة

تنفيذيَّة ضخمة تنظم المباريات العالميَّة والمعسكرات والمهرجانات وغير ذلك.

٧- أما حركة النشر التي تقومُ (دار التقدُّم) في موسكو، فكانت استثنائيَّة في نشاطها، ولقد نشرت هذه الدار مئات الكتب والدراسات الاختصاصيَّة عن العالم العربي وعن الخليج والجزيرة العربية خصوصاً، وكانت دراسات عميقة في معالجاتها، وفي رأيي أكثر عمقاً من التي كانت تصدرُ في أوروبا والولايات المتحدة، ومن أشهر الكتاب في مجال الخليج والجزيرة العربية بونداريفسكي، ولوتسكي، وبونوماريف، وسميرنوف، ودانتسيج، ورايزنر، ودوبروليوفسكي، وبيلاييف، وكاليموفيتش، وروزكوف، وتومار، ومورزوف، وغيرهم. لقد نشط هؤلاء في تفسير تاريخ الأقطار العربيَّة، وتاريخ الجزيرة العربيَّة وشعوبها، وظهور الإسلام في الجزيرة العربيَّة، والمراحل التي مرَّت بها الأمة العربيَّة وشعوب الجزيرة العربيَّة والإسلام، وكان لهم في هذه المجالات آراء خطيرة وجريئة تأثرت بها النخب العربيَّة والمثقفون العرب أمثال: د.حسين مروة، ود.عبدالله العروَي، ود.محمد عابد الجابري، ود.طيب تيزيني، ود.لطفي الخولي، وبندلي صليبا، ود.اميل توما، وغيرهم كثير لا تحضرني الآن أسماؤهم. ويقول: كان النفوذ السوفياتي أعمق - نوعياً وعلى مستوى دولي (رسمي وشعبي) من النفوذ الأمريكي اليوم، ومع ذلك انهار الاتحاد السوفياتي، وذاب مثل فص الملح. ألا يمكن أن يحدث الشيء نفسهُ للنفوذ الأمريكي..؟! موضوعيَّاً ليس هناك ما يمنع ذلك. وفرق شاسع بين (الثورة) و(الدولة)، وبين (الثوار) و(رجال الدولة)، المؤسسون الأوائل للدول تحركهم - في الأعم والأغلب - منطلقات ربما تكون مبررة ومقبولة، لكن

بعدِ أن تتحوَّل الثورة إلى دولة، ويتحوَّل الثوار إلى رجال دولة تتغيرُ تماماً الشروط الموضوعيَّة والفنية للعبة، ويتغير المناخ الأخلاقي والرسالي والسيكولوجي الذي يعمل ضمنه (الثائر سابقاً)، ويتعرَّضُ إلى ميكانيكيات عمل جديدة تحرفه عن نقائه وطهره لذلك قالوا إن «القوة تفسد power corrupts»، إذا حدث هذا - وغالباً ما يحدث - تتآكلُ مصداقية الدولة والعاملين فيها، وتبدأ الانحدارة التاريخية نحو الانهيار التام. هذا ما حدث في الاتحاد السوفياتي، وكان ما كان من انهيار، وهذا ما يحدثُ حاليًّاً في الولايات المتحدة - التي تآكلت مصداقيتها التي وصلت قمتها أيام جون وودرو ويسلون - وسيكون لذلك نتائجه الخطيرة على الولاياتِ المتحدة ككيان. التاريخ لا يرحم. ويرجع ذلك إلى الاختلال في التطبيقات، لأن الشعارات كانت في واد والتطبيقات في واد آخر، ويستشهد بآراء و أقوال مفكرين ومنظرين من أهله، وانعدام الأسباب أو زوال الأسباب المؤدية إلى اجتماعهم كالحروب الخارجيَّة، والتهديدات المتنوعة. وبعد تشخيص هذه النقاط وغيرها من الأسباب يعرضُ جانباً بما يتوافق مع ثقافته الواسعة (الآباء الأوائل للولايات المتحدة Founding fathers) الذين كانت تحرِّكُهم معركتهم مع الاستعمار والاحتلال البريطاني - وهي معركة مبررة تاريخيًّاً وأخلاقيًّاً، لكن ما الذي يحدثُ اليوم من طرف الولايات المتحدة؟! إنه العكسُ تماماً لما قام به الآباء الأوائل، الولايات المتحدة اليوم - في سياساتِها العامَّة - تقفُ مع الاحتلال، وتتوسَّعُ في استخدامِ قوتها العسكريَّة - وتتمدَّدُ استراتيجيًّاً أكثر من اللازم وهذا - حسب بول كينيدي - سيؤدي إلى سقوطِ المجتمع الأمريكي - في تاريخه

المعاصر القصير جداً - هو في الجوهر مجتمع استيطاني، وليس مجتمعاً أصيلاً متوارث الأصالة فوق الجغرافيا الأمريكيَّة. ولذلك لا نبالغ إذا قلنا بأن الأمريكان - في الجوهر - مستوطنون Settlers جاءوا من أصقاعٍ شتى ولأسباب شتى للاستقرار في الجغرافيا الأمريكيَّة التي لم تكن أرض فضاء بدون سكان، بل كانت مأهولة بما يسمونه الأمريكان (الهنود الحمر Red gndians). ومن يقرأ تاريخ الجدل بين المستوطنين البيض والجدُد القادمين من أوروبا والسكان الأصليين من الهنود الحمر لا تخونه دموية البيض ووحشيتهم في استئصال شأفة الهنود الحمر، وعزلهم في معازل جغرافيَّة، وقطع سبل العيش والماء عنهم، حتى تحوَّلوا إلى أجراء عند البيض القادمين الجُدد من البر الأوروبي. وأرى أن الأستاذ يخرج في مسار مقاله عندما يقوم بربط الاستيطان الأمريكي في القارة الأمريكيَّة مع الاستيطان الصهيوني، وأرى أيضاً أن ذلك لا يخدم البحث، لأن هناك مفارقات تاريخيَّة وسببيَّة بين الحدثين مع وجود تشابه بينهما. ولكن في تشخيصه الثاني فيه قوة ومتانة علميَّة، ويستندُ إلى وقائع تاريخيَّة، يقول: لأن المجتمع الأمريكي هو في الجوهر مجتمع استيطاني، ولأن الأمريكان - خاصة البيض الأنجلو سكسون البروتستانت Anglo White - Saxon Protestants ما هُم إلا مستوطنون Settlers جاءوا من أصقاع شتى، سنلاحظ أنه ليست هناك في الولايات المتحدة (ثقافة أم) موحدة لهؤلاء الأجناس، كما سنلاحظ أن لكُلٍّ فئة من هؤلاء المستوطنين ثقافتها الأم، وأسلوب حياتها، وأن هناك نوعاً من الحنين nostalgia النوستالجيا إلى المنشأ، وهذا ينطبقُ

على كُلٍّ الأقليات التي تشكل الفسيفساء السكاني الأمريكي (الأقليات اليونانيَّة، والإيطاليَّة، والإيرلنديَّة، والبولنديَّة، والألمانيَّة، والإنجليزيَّة، واليابانيَّة، والصينيَّة، والإفريقيَّة، والآسيويَّة، وغيرها). غياب هذه الثقافة الموحدة في إطار حقيقة الطبيعة الاستيطانيَّة للمجتمع هناك - من حيث المنشأ - يدفعنا إلى القناعة بأن المجتمع الأمريكي مجتمعٌ هش معنويَّاً وأدبيَّاً، وأقل اختلالاً في أمنه العام، ومن الممكن أن يعرضه للانهيار العام (تجربة لوس أنجلوس منذ سنوات قليلة مضت، شاهدٌ على ذلك). فإنني هنا أؤيد ما ذهب إليه الأستاذ، ولكن يبقى علينا أن نعيد تصفح التاريخ، ونلمّ بالمستجدات المطروحة على الساحة الأمريكيَّة، وذلك أن موجة التحديث، أو التيار الحداثي، والمحافظين الجدُد كما عرضه برنامج (سلطان الخوف) على قناة الجزيرة الفضائيَّة، أو العودة إلى التدين قبل أو بعد عهد (جورج بوش الأب) كانت بمثابة إفاقةً سريعة، لإيقاف ما ستؤول إليه الحضارة الأمريكيَّة من تدهور وسقوط كما أصاب الاتحاد السوفياتي، والفرق بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأمريكيَّة هو القابلية النقديَّة لدى الأمريكيين، واستجابتهم لتحديات العصر مع الأخذ بقراءة أدبيات المقابل، وسرعة تكييفهم مع موجات المد والجزر. نعم قد يكون وجه التشابه قويَّاً بين ما ذكره الدكتور في تقسيم المؤسسات والمنظمات والاقتصاد وغيرها، ولكن الأمريكيين ما داموا متمسكين بالسنن الكونيَّة، ويحاولون استكشاف المزيد من السنن، فإن عامل البقاء والمعطيات ستدوم بقدر ما هم يحاولون التجديد والتأقلم مع المتغيرات.

آيات للموقنين

يعدُّ يومُ سقوط النظام ٩/٤ يوماً تاريخياً بالنسبةِ للشعبِ العراقـي، فهذا اليوم يؤرخ لفترة زمنيَّة عاشها الشعب والمنطقة بأكملها، فقد طـوى هذا اليوم صفحة مظلمة من صفحات الاستبداد السياسيِّ، الذي تمخّض عن نظامٍ طالما مارس الظلم والاستبداد، فيوم سقوط النظـام كـان يومـاً طالما تمناه الغالبية العظمى مـن الشـعب العراقـي، فأدخـل السـرور في قلوب الذين تعرَّضوا لانتهاكاتٍ شتى من قبل هذا النظام المستبد، ونحـن هنا لا نشير إلى آلية السقوط، أو إلى المظالم التي مارسها (صدام حسين)، لأن الكثيرين كتبوا عنه، ولا زالـوا يكتبـون عنـه إلى الآن، وستتوالى الكتابات في المستقبل، كلما مرَّت ذكرى هـذا السـقوط، إلا أنـه تبقـى هناك نقاط جديرة بالملاحظة والـتأمل وهي كالآتي:

١- ما آل إليه مصير الظلم والطغيان من الهوان والمذلة والخزي، ومـا حصل وحدث لصدام هو مصير كل طاغية وكل مسـتبد، ومصـيرُ كل من ينتهك أستار الحرمات، فالتاريخ البشري مليء بمثل هـذه الأحداث، فقد كان هناك كثيرون يشبهونه سلوكاً وظلماً واستبداداً، فكانت عاقبتهم عذاب دنيوي قبل عـذاب الأخـرة، ويؤكـد هـذه الحقيقة قول الرسـول الكـريم (صـلى الله عليـه وسـلم): (إن الله ليُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته). وهذه سنة جاريـة مـن سـنن الله سبحانه وتعالى.

٢- كلنا مجمعون على أن العصر البائد كان عصراً دمويًّاً ووصمة عار في جبين كل من شارك مع هذا النظـام ولـو بكلمـة، ولكـن مـع الأسف هناك الآن من يقارن نفسَهُ بتلكَ الحقبةِ من الـزمن، ويقـول في معرض انتقاداتِ البعضِ لممارساتهِ السياسـيَّة: لمـاذا لم تفعلـوا هذا عندما كان النظام موجوداً..؟! أو لمـاذا لم تتكلّمـوا آنـذاك..؟!

فعند هؤلاء أن ممارسات النظام السياسيَّة هي (ستاندر) الحركة، والسلطة، والسياسة، فكل شيء يواجهونه يقارنوه بذلك العصر المخزي.

٣- على كل من له كلمة أو مساهمة أو مشاركة في هذا الوطن أن يجعل من هذه المناسبة نقطة تحول نحو البناء والتوعية بكل ما تحمل هذه الكلمة من مضامين البناء والتوعية، وعلينا أن نجعل من عقول شعبنا عقولاً مانعة للظلم، بحيث لا تستسيغ ولا تقبل الظلم والاستعباد مهما كانت التضحيات، لأن الحرية حق يؤخذ - على حد قول الشيخ جمال الدين الافغاني - وليس منحة من أحد. ولا أراها قد تمنح من قبل أحد لأحد، لأن الطبيعة البشريَّة مجبولةٌ على هذا، يقول رب العزة جل جلاله: ﴿كَلاَ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾ فهذا تشخيص نوعيٌ من قبل رب العالمين ﴿ أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[١] وقوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾[٢]، وهناك جوانب كثيرة يجب على الشعب أن يلتفت إليها، وأخذها بنظر الاعتبار، وعليه أن يطالب بحقه، وأن لا يتورَّع من الأزمنة البائدة، لأننا أبناء اليوم، وأن يتعوَّد على الصراحة والشفافيَّة، ومن هذه الوسائل التي يجب تعويد الشعب عليها:

أ- أن يُعبِّر عن تقرير مصيره، وعن إرادته في الحياة.

ب- أن يسأل عن من ينوبون عنه في المحافل التشريعيَّة، والتنفيذيَّة.

ج- تسهيلُ الدراسة لكُلِّ أبناء الشعب، لأن تداوي الجروح، وإزالة

١- (سورة الملك: الاية ١٤).

٢- (سورة الإسراء:الاية ٩٦).

رواسب الماضي بحاجة إلى التسلح بالعلم والمعرفة، ثم بعد ذلك التفكير في المستلزمات الماديَّة للبناء والعمران.

د- إبعاد الأجيال القادمة عن المسكرات، والمخدرات، وسفاسف الأمور، والأمراض الجنسيَّة، لأن ذلك يُؤدِّي إلى حَجْبِ العقل وتغليفه بغلاف الحمق والسذاجة، وسلب الإرادة، لأن كُلاً مَنِ استخفَّ بعقله فالاستخفاف بماله وحقه أولى.

التغير بين عاطفة الشعراء وصرامة العقلاء

هناك ابتلاءاتٌ كثيرة لا تُعَدُّ ولا تحصى ابتلي بها عالمنا المنكوب، فقد أثارت حادثة (تسونامي) شفقة الناس، وقد بكت لها القلوب إنسانيًّاً، ودُقّتْ طبول المساعدة سياسيًّاً وتجاريًّاً، أما نحن فمنذ القدم نواجه (تسوناميات) متعددة ومتنوعة..!! فقد واجهنا رعد النكسات، وبرق الهزائم، وعواصف الفشل، وتصدُّع النكبات، وكانت هناك تجارات حثيثة، وتجار لا زالوا هائمين في سفن أشحنت منذ عهد سندباد، وكانت القوافل تتوافدُ الواحدة تلو الأخرى محمَّلةً بالمواكب الفارغات..! والجرائدُ والصحف مليئة على شوارع عُكاظ، وتحت أستارِ المعلقات، معلقاتٌ عالِقَات، وفي منتديات انتدبت الجيوش، وفي معتقلات الفكر عُلِّقتِ الأقلام، وفي مخاضٍ دام قروناً وقرون قمنا بإصلاحاتٍ لم تتجاوز أعناق الشعراء...!!



لطيف ياسين علي (عبداللطيف ياسين)
من مواليد 1971
عمل مديراً ومن ثم رئيساً لتحرير
صحيفة (الافق الجديد).
ومديراً لصوت يةكگرتوو إذاعة أربيل.
وسكرتير تحرير لمجلة (الجودي).
وعمل في تلفزيون يةكگرتوو.
وله كتب وابحاث ومقالات منشورة
باللغتيين الكردية والعربية داخل و
خارج كردستان.
طالب ماجستير .
ومستشار في قناة (سبيدة) الفضائية